أمير عاطف

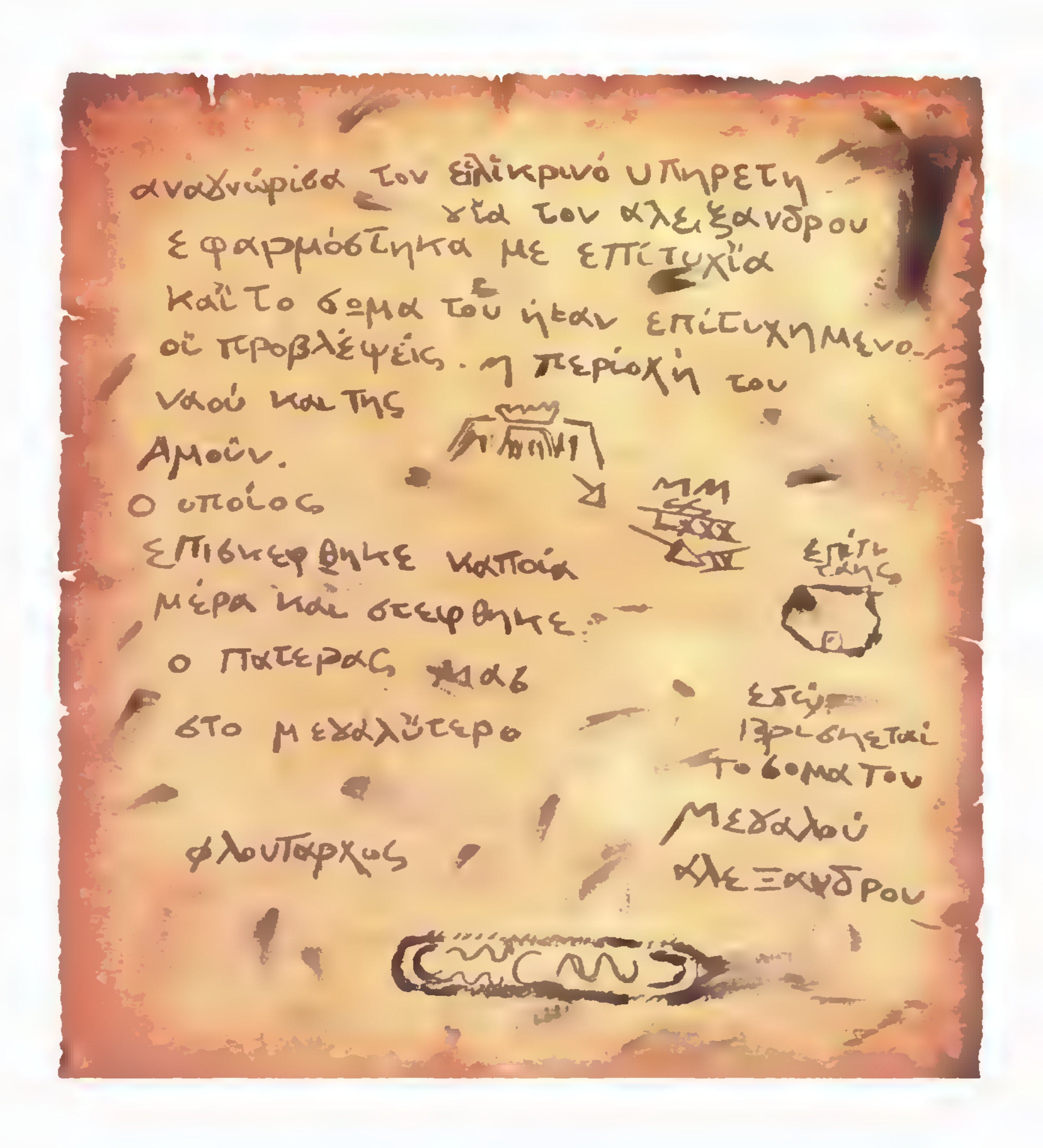


إهـــداء

إلى بيدق الشطرنج، الذي علّمني المثابرة، من خلال تنقله من مربع إلى آخر وسط المعركة الطاحنة بين باقي القطع في الرقعة، حتى يصل بإصرار في النهاية إلى المربع الأخير ويترقى إلى وزير.

"تبدأ حياتك مُحاولًا فهم كُل شيء، وتُنهيها محاولًا النجاة من كُلّ ما فهمت"

كـافـكـا



αναγνώρισα τον ειλικρινό υπηρετη
για τον αλεξανδρου
εφαρμόστηκα με επιτυχία
καί το σώμα του ήταν επιτυχημενο-
οι προβλέψεις. η περιοχή του
ναού και της
Αμούν.
ο οποίος
επισκεφθηκε κάποια
μέρα και σκεφθηκε.
ο πατερας μας
στο μεγαλύτερο
εδώ
βρίσκεται
το σωμα του
Μεγαλού
Αλεξανδρου
φλουταρχος

هدوء ما قبل العاصفة

اسمح لي أن أستحوذ على خيالك لدقيقةٍ واحدة..! حسنًا.. تخيَّل معي؛ اسمك كريم إسماعيل سحاب.. أنت لا تعرف أنك بعد ثلاث دقائق واثنين وأربعين ثانية من الآن سوف تأخذ فجأة.. القرار الذي سيُغيّر حياتك كلها ويقلبها رأسًا على عقب، وسيحيلها مائة وثمانين درجة!

لكنك على الأقل تعرف جيدًا ما أنت عليه الآن، في عام ٢٠١٢.. وتعرف أيضًا طَعْمَ الفقر المدقع الذي تعيش فيه هذه اللحظة، ذلك لأنك قد ورثت القليل جدًّا من والدك، أقل مما ورثه هو من جدك. وعلى هذا النحو سوف يرثُ أولادُك منك الأقل. أولادك الذين سوف تنجبهم لك في المستقبل تلك الفتاة التي تجلس أمامك الآن، بعد خطوبتكما منذ أربعة أشهر، لم تفعل فيهم أيَّ شيء سوى البحث عن عملٍ، بعد تخرُّجك من كليّة لعينة لم تستفد منها أي شيء حتى الآن، كلية الحقوق. إلى أن وجدت أخيرًا وظيفة مُتواضعة؛ مُساعد محامٍ درجة رابعة، مكتبه في شقة بائسة بالطابق الأرضي، يرسلك كل يوم إلى المحكمة لتنهي له العديد من الإجراءات، وظيفة شاقة ومُرهقة براتبٍ قليلٍ جدًّا، لا يكفي لعزومةٍ ثلاث مرات في الشهر بهذا المطعم الذي أنت فيه الآن.

أخبرني.. ماذا ستفعل كي تجعل تلك الفتاة - التي تتحدث

معك عن مستقبلكما!! - سعيدةً وتعيش في نفس مستوى المعيشة الذي تعيشه في بيت والدها الأحمق، والذي يحتل وظيفةَ مدير مبيعاتٍ في إحدى أكبر شركات الحديد والصلب. ولم يُكلِّف نفسه عناء عرض وظيفة عليك، حتى لو موظف أمن! رجلٌ جَلِف..!

ولكن، على أيّ حالٍ، لا تنتظر منه شيئًا. فهو أصلًا لا يحبك، وغير مُوافقٍ أو مبارك لخطبتك ابنته الوحيدة، هو وافقَ فقط على مضض لأنها متمسكة بك. تريدك ليس إلا، تريدك كأي شيء تريده وترغب فيه.

- مالك يا حبيبي بقالي عشر دقايق عمالة أكلمك وأنت ولا هنا؟! سألته خطيبته بعد أن استوقفت حديثها فجأة، فأجابها كاذبًا وهو يبتسم ابتسامة باهتة:

- مفيش يا شروق، غصب عني سرحت في جمالك يا حبيبتي!

في حين أردفت حديثها الذي لم ينتبه لأي حرفٍ فيه، شرع يستكمل التفكير في الحال التي عليها الآن. في نفس الوقت الذي كان فيه التلفاز في المطعم يعرض لقاء في برنامجٍ فضائيّ لبناني، يستضيف الزوجين المشهورين، عمر البطاوي ونبيلة خورشيد، بطليّ الفيلم الجديد لأكبر وأشهر شركة إنتاج سينمائي. تزوَّجا منذ حوالي خمسة عشر عامًا، بعد

قصة حبهما التي كانت مصدر إعجاب وإلهام للجميع، ولا يزالان كذلك. كل منهما قام بعمل أدوار لن تُنسى في أفلامٍ ستظل باقية في ذاكرة السينما، وراسِخة في الأذهان لعقودٍ وعقود، إلى أن جمعهما أخيرًا عمل سينمائيّ بعد طول انتظار الجماهير لمشاهدة مثل ذلك الحدث الجلل. في عز شرود كريم وتفكيره في حاله الذي يصعب على الكافر، حانت منه التفاتة إلى التلفاز، لفت نظره شيئان في هذا البرنامج. أول شيء قوام نبيلة خورشيد، والذي كان مذهولًا به منذ أن شاهدها لأول مرة في أول فيلم لها في السينما. الشيء الثاني كان سؤال المذيعة المُبتسِمة دائمًا، عن حجم ثروتهما الآن. لم يرفض عمر البطاوي الإجابة كما يفعل البعض، أو حتى أجابها إجابة دبلوماسيّة، بل على العكس، فالرجل أجابها بشكلٍ مباشرٍ وبكل وضوح أن ثروتهما قد تخطَّت المائتين مليون جنيه، بالإضافة لبعض الأصول الثابتة، والمُتمثلة في يختٍ مستقر بالعين السخنة، فِلَل، عقارات، وشاليهات داخل مصر وخارجها. ابتسم كريم حينها بسخرية مُتذكرًا جيبه الذي لا يحتوى إلا على سبعة جنيهات..!

هل حُكِمَ عليه أن يعيش فقيرًا موظفًا يقتات الفتات، ومن ثم يموت فقيرًا تاركًا ديونًا لأولاده. ظلَّ هكذا يفكر فيما هو عليه الآن حتى قرر أن يُغيّر كل ذلك، ويُقدِم على أكبر وأخطر قرار في حياته. بعد ثلاث وأربعين ثانية من الآن

سوف ينفِّذ هذا القرار، سيترك تلك الفتاة التي أحبته واختارته بعد أن تركت من أجله عشرات الشباب الأثرياء الذين يتهافتون عليها، وقررت الارتباط به رغمًا عن والديها. لماذا اختارته هو بالذات؟! هو نفسه لا يدري، لكنها على أيّ حالٍ ليس لها ذنب في أن تعيش معه حياة عسيرة وَعِرة، ويجب الآن أن يتركها ويرحل! نعم.. بهذه البساطة.. يتركها ويرحل.. ما الصعب في ذلك؟!

انهض يا كريم.. انهض الله لا يسيئك - حدَّث نفسه آمرًا - اتركها واذهب بعيدًا، ابحث في مشارق الأرض ومغاربها عن تلك الفرصة التي قد تنتظرك. انهض وابحث في طريق الثراء عن مكانٍ لك. الفقر ليس مكانك أيها البائس اليائس. انهض الآن. خُذْ القرار ونفذه.

وبينما استطردت شروق حديثها ضاحكة لتحكي له عما حدث لها أثناء مباراة التنس بالأمس في النادي الأهلي! أطرقَ مُبتسِمًا ابتسامةً مُنكسِرة ثم هزَّ رأسه في أسى وقطعَ حديثها حين نهضَ فجأة ليغادر دون أن يتفوّه بأي شيءٍ سوى كلماتٍ مُقتضبة، بوجهٍ مُتجهمٍ تكسوه ملامح الجديَّة والصرامة:

- أنا همشي يا شروق، هغيب عنك سنة لازم أعمل فيها حاجة، عشانك وعشاني، لو حبيتي تنفصلي عني مش

هلومك.

التقت عيناه بعينيها فأشاح بوجهه بعيدًا ونظر إلى اللا شيء، كي يتمالك نفسه ويسيطر على دموعه ألا تنهمر. لكنه فشل، عاد بنظره إليها مرة أخرى مُستكمِلًا:

- بحبك أوي يا شروق وعمري ما هحب غيرك، ومهما كان قرارك ومهما كان اللي هتعمليه. هفضل أحبك للأبد.

لم يمهلها لترد عليه، ولم يعطها وقتًا تندهش فيه حتى. لم يرد أن يرى دموعها أو حتى يسمع منها كلمة وداع، قال تلك الكلمات وانطلق مُغادرًا المطعم أمام ذهولها وعينيها المغرورقتين. تركها مُتهَدِلًا منكودًا ولا يملك في جيبه سوى سبعة جنيهات..!

* * *

وسط الظلام الحالك، في مقرِّ شركة سحاب؛ أحد أفضل المُطوّرين العقاريّين، ليس فقط في مصر، بل في أفريقيا والعالم العربي والشرق الأوسط كله. لم يتبقَّ سوى بضع ثوانٍ على بداية عام ٢٠٢٠.. تجمَّع الحضور والمدعوين من رجال أعمال وفنانين وعملاء مُهتمِّين بمجال العقارات وكل ما يندرج تحت هذا المجال.. ينتظرون فتح الأنوار لبدء السنة الجديدة، والكشف عن أحدث مشروعات الشركة، ناطحة

سحاب "سحاب"، وقد وعدَهُم بأنها سوف تكون مفاجأة وطفرة في مجال تصميمات البناء العالمية. اختار كريم أن يكون هذا المبنى في العاصمة الإدارية الجديدة، وهو يُعتبَر الأول والفريد من نوعه في أفريقيا والشرق الأوسط. وستبنى منه نسختان، الأولى في العاصمة الإدارية، والثانية في مدينة العلمين الجديدة.

أول ثانية في عام ٢٠٢٠

أضاءت الأنوار مرة أخرى ليكشف عن النموذج المصغَّر والمهيب لناطحة السحاب "سحاب" ذات التصميم الانسيابي الاستثنائي، والتي ستنفذها وتشرف عليها وتملكها شركة سحاب، لصاحبها كريم إسماعيل سحاب. والذي أثبتَ في غضون أعوامٍ قليلة أنه يستحق كلَّ ما هو عليه الآن. وبعد كل تلك المشاريع التي يملكها في عدة أماكن، سواء داخل مصر في العاصمة الإدارية، التجمع، الجلالة، العلمين الجديدة. أو خارج مصر في دبي والكويت. أصبحت شهرته ليست قابلة للشك، ولا تحتاج إلى دليل.

SFT “Sehab Festival Tower”

ما إن تم الكشف عن المُجسَّم حتى خطف أنفاسَ كل الحضور، ناطحة سحاب غاية في الروعةِ والإتقان، عبارة عن مبنى مُكوَّن من ثلاثة وأربعين طابقًا، مُغطى بالكامل بالزجاج

الأزرق عالي الجودة، يصعد مستقيمًا من الطابق الأول حتى الخامس، ليبدأ من الطابق السادس إلى السابع والثلاثين ويصعد بشكلٍ حلزونيّ، ثم يعود مستقيمًا مرة أخرى في آخر خمسة طوابق. بالإضافة إلى ثلاثة طوابق تحت الأرض. وحديقة تحيط بالمبنى على شكل دائرة نصف قطرها تلثمائة مترًا. بعد ثلاث سنوات عند بدء تسليم وتشغيل المشروع ستحتوي تلك الحديقة على أشجارٍ تعترش في جنباتها ونباتات نادرة في المنتصف.

وكما هو الحال مع أي ناطحة سحاب "Festival"، في معظم المناسبات ستتجه الأنظار إلى ذلك المبنى مترقبة ما سيعرض على طُولِ جداره بالكامل. ولكن في "سحاب" بالتأكيد سيكون الأمر مختلفًا بشكلٍ كليٍّ.

وسط ذُروة اندهاش وانبهار الحضور بهذا المبنى، أمسكَ مديرُ التسويق الميكروفون وبدأ في شرح مكوناته ومواصفاته للحضور، ورغم أن سعر المتر في هذا المبنى كان مُبالغًا فيه، إلا أنه يدرك جيدًا أنه حين يبدأ في بيع الوحدات لن يجد أي صعوبة أو عوائق. كما أنه يعي جيدًا أنه في يوم الإطلاق هذا سوف يتم حجز أو بيع أكثر من ستين بالمائة من الوحدات سواء تجارية، طبية أو إدارية. بقيمة تُقدَّر حوالي مليار وتلثمائة مليون جنيه.

بعدما انتهى مدير التسويق من عرض المشروع، صعدَ كريم سحاب إلى المنصة ليُلقي كلمته، مُنتزِعًا الإنصات من الجميع:

سيداتي سادتي الحضور الكرام، أهلًا بكم، كل عام وأنتم بخير، لقد أضفتم إلى الحفل بهاءً على بهائه، نحتفل اليوم بإطلاق أحدث مشاريعنا على أرض الكنانة، جمهورية مصر العربية، سحاب.. وبذلك نكون قد شاركنا في السوق العقاري المصري بثلاثة وثمانين مشروعًا، وفي الخطة القادمة نستهدف ثلاثة وثلاثين مشروعًا آخر. وفي الحقيقة هذا ليس مجهودي بمفردي، فهو مجهود كل شخص في هذه الشركة، شركة سحاب. بداية من عامل البوفيه إلى مديري التسويق والمبيعات، والأهم من كل ذلك هو أننا نتعامل مع أرقى طبقة من العملاء، صفوة الصفوة كما يقولون. ولولاكم ما كنا. شكرًا على ثقتكم فينا، ونعدكم بالمزيد والمزيد.

أتمنى لكم عامًا سعيدًا مليئًا بالنجاح والتوفيق، ومزيد من الاستثمار، ونعدكم أننا سنكون دائمًا سببًا وعونًا وحرصًا على استثماراتكم في العقار بمصر.. وخارجها.

لن أطيل عليكم بكلماتٍ ربما تعرفونها مسبقًا.. استمتعوا.

ما إن انتهى من كلمته حتى انفجرت القاعة بالتصفيق. وبينما نزل من المنصة، دون أن يتطلع إليها مدَّ يده إلى

سكرتيرته ومديرة مكتبه، ابتسام القاضي، لتأخذ منه الورقة التي كان يقرأ منها كلمته. بعدها أقبل عليه الصحفيون مُحاولين تسجيل كلمة معه لكنه ابتسم لهم واعتذر بلطف: "النهارده مش هقدر أتكلم في أي شغل تاني خلاص، يومين تلاتة وهعمل مؤتمر صحفي أجاوب فيه على كل أسئلتكم، اتفضلوا استمتعوا بالحفل.

انضمَّ بعدها لمجموعةٍ من رجال الأعمال، والذين كانوا قبل نصف دقيقة يتحدثون عنه فيما بينهم، بدهشة ممزوجة ببعض الاستنكار، من ظهوره المفاجئ في سوق العقار وسطوع نجمه بسرعة البرق، كان كلامهم ينم عن حقد وغيرة مما وصل إليه، لكن حديثهم تغيّر فجأة بمجرد أن اقترب منهم مُرحِبًا:

- أهلًا أهلًا ببشوات مصر، عماد بيه أخبارك إيه، إسماعيل دخان باشا ومعتز بيه الجوخي منورين الدنيا والله. صافحهم في نفس الوقت الذي جاءت فيه سكرتيرته بكأس كونياك تجرعه ببطءٍ بينما سأله أحدهم:

- عامل إيه في ظِل موضوع كورونا اللي ظهرَ جديد ده يا كريم بيه؟ الدنيا متأثرة معاك ولّا ماشية حلو؟

أخرج من جيبه سيجارًا كوبيًا ثمنه ثلاثة آلاف جنيه وأشعله ساحبًا نفسًا عميقًا قبل أن يجيبه:

- بالعكس..

زفر دخانه لأعلى، ثم استطرد بلهجةٍ واثقة:

- ده أحسن وقت تعمل فيه مشاريع، العميل اللي بيفهم بس هو اللي هيشتري دلوقت. وسوق العقارات في مصر بخير وعمره ما هيتأثر. فأنا مش قلقان.

قاطعه إسماعيل دخان الذي يعتبر من أهم المطورين:

- لكن السوق بقى فيه مطورين كتير مش فاهمين حاجة وده هيأثر بالسَّلب أكيد.

ردَّ عليه كريم متهكمًا:

- آه طبعًا ما هو ده شيء متوقع، أي مقاول دلوقت بقى يسمي نفسه مطور عقاري، اشتري حتة أرض في أي مدينة جديدة وادفع أول قسط للجهاز، هات استشاري مشهور واعلن عن سابقة أعمال وهمية إنشالله تقول إنك باني نص كوكب الأرض محدش هيدوَّر وراك. اعمل بعدها إعلان توظيف لمسوقين وانزل بإعلانات على المحور ووسط البلد.. هتلاقي الدنيا مشيت قوم اعمل حفلة وهات حماقي وروبي وبعدها مؤتمر صحفي يحضره موظفينك على كام صحفي وكام مقال واتكلم عن رؤيتك لسوق العقار في الخمسين سنة

الجاية.. خلاص بقيت مشهور ولك اسمك وهتبيع المشروع في ساعتين.. وتعدّي سنة واتنين.. فين الإنشاءات يا عم؟! مفيش. العملاء يبدأوا يطالبوك بوحداتهم تقوم تجيب ونشين تلاتة يخمسوا في الموقع رايح جاي ويشيلوا رملة من هنا وينزلوها هنا علشان العملاء تهدى وتطمن.. وتعدي سنة وبرضو مفيش.. والسيئة بتعم في الآخر.. حاجة في منتهى قلة الأدب.

انفجروا في الضحك بينما استأذنهم ليرحب بباقي الحضور. ولم تمر ساعتان حتى انتهى الحفل في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل. في الأسفل كان ينتظره سائقه بسيارة مرسيدس آخر موديل، شُحِنَت إليه من ألمانيا بمواصفات خاصة قد طلبها مُسبقًا، ركب سيارته فسأله السائق إلى أين سيتجه، فطلب منه سحاب أن يذهب إلى فيلّته بالتجمع الخامس، ذات الطراز المعماريّ الفريد، والتي لا يشبهها أي فيلّا أخرى في المنطقة. كان حريصًا على أن يختار لها أفضل موقع في التجمع بشارع التسعين الشماليّ. حين وصل السائق نزل كريم من السيارة طالبًا منه أن يحضر في تمام الساعة التاسعة صباحًا.

رغم أنه شرب كثيرًا لكنه لم يبدُ عليه أنه مخمورٌ، فهو في أكثر حالاته سُكرًا يستطيع أن يبدو مُتزنًا.. دخل الفيلّا وصعد

إلى الطابق العلوي حيث غرفة النوم، وجد شروق زوجته جالسة تقرأ كتابًا، وقد تفاجأت من حضوره. قائلة له باندهاش:

- إيه ده!غريبة! أنا قلت إنك مش هتبات هنا النهارده وهتبات عند الست هانم.

- هانم مين؟ هو أنا مقلتلكيش؟ سألها مُتهكمًا.

لم تجبه منتظرة أن يستكمل كلامه، مُتمنيةً بينها وبين نفسها إخبارها أنه طلقها، بعد ثوانٍ أطلقَ ضحكة ًقصيرة ثم استكمل مُستدركًا:

- آه صح مقلتلكيش.. أصل أنا طلقتها.

انفرجت أساريرها:

- بجد؟! ده إمتى؟

أخبرها وهو يخلع ملابسه أنه طلَّقها منذ يومين، سألته عن السبب وعيناها مغرورقتان من فرط فرحتها، لكنه لم يجبها مُكتفيًا بضمها إلى صدره لاحتواء فرحتها تلك ودعمها. هامِسًا في أذنها أنه افتقدها كثيرًا في الفترة الماضية، ويريد أن يقضي معها ليلة رومانسية يبدؤون فيها العام الجديد مع بعضهما البعض. مذكرًّا إياها بليلةٍ ما، مثل تلك الليلة، في مثل

هذا الوقت؛ ليلة رأس سنة ٢٠١٢ حين كانا مخطوبين وتحدَّثا مع بعضهما البعض من الساعة ١١.٥٣ م إلى الساعة ١٢:٣١ ص في السنة التالية. وعدها حينها ألا يتركها أو يسكن قلبه غيرها، لكنه فعل عكس ذلك تمامًا فيما بعد. في هذه الأثناء كان مجرد شاب قد تخرّج حديثًا ولم يجد عملًا دائمًا يستطيع من خلاله أن يفتح بيتًا ويكوِّن أسرة، ورغم ذلك كانت تحبه، بل تعشقه. وهذا الأمر كان السبب في خلافها مع والدتها نشوى السلحدار وكيلة وزارة التربية والتعليم، ووالدها فاحش الثراء المهندس سيف الشيمي. لكنهما أخبراها أنهما لن يتدخلا في حياتها واختياراتها، وعليها أن تتحمل وحدَها نتيجة أيّ قرار تأخذه. حتى لو كان الارتباط بشابٍ مُبهمٍ، مرميٍّ على قارعة الفشل، يراه الجميع خائبًا لا يملك في جيبه ورقة فئة مائة جنيه، وبعد شهرين من خطبتهما، وبينما كانا جالسين في مطعم وقد طلبا مشروبين لا يملك ثمنهما، نهض فجأة وتركها وذهب، دون أن يتفوه إلا بكلامٍ غير مفهوم. اتصلت به في اليوم التالي لتلومه على ما فعله حينها، لكنه أخبرها بنبرة هادئة أنه سيبتعد عن كل من حوله ويبحث بكل السبل عن عملٍ مناسبٍ، ليس بهدف الحصول على وظيفة يأخذ منها الفتات كل أول شهر، ولكن كان هدفه أبعد من ذلك. ورغم حداثة سنه وخبرته الضئيلة لكنه كان يعي تمامًا أن العمل الحر هو أفضل شيء، وأن المرء

لن يستطيع تكوين ثروة من خلال وظيفة من الساعة الثامنة إلى الساعة السادسة! ويعلم أيضًا أن الوظيفة قد تحميه من الفقر لكنها حتمًا ستمنعه من الثراء. أدرك ذلك الدرس مُبكرًا، مُستغِلًا شبابه، فيستطيع أن يبدأ في أيِّ عملٍ حُر، ترك القاهرة كلها وذهب إلى الإسكندرية. مُنتويًا العمل هناك كسمسار شقق للمُصيّفين، واتخذ من ميامي وشارع خالد بن الوليد مقرًا له، يجلس على الناصية منتظرًا فرج الله.

عكس ما كان متوقعًا، وجد أن الأمر صعبٌ في البداية؛ لأن السماسرة هناك عددهم كبير جدًّا، كان يقف بمفرده وحيدًا بالساعات مُترقبًا، ينظر يمينًا ويسارًا فلا يجد أيَّ سمسار بجواره، لكنه بمجرد أن يرى أسرة مُصيّفة قد وطأت شارع خالد بن الوليد، يتفاجأ بثلاثة أو أربعة سماسرة قد نبتوا من العدم وظهروا فجأة، وأحاطوا بتلك الأسرة إلى أن يستحوذ عليها أحدهم وتضيع عليه الفرصة. كانت المنافسة هناك شديدة جدًّا، بالإضافة إلى أنه اكتشف عدم امتلاكه لأيٍّ من مهارة البيع وسرعة الانقضاض التي لديهم، أدرك أنه يجب عليه تعلُّم مهارات الانقضاض والاستحواذ تلك، لكنه كان يرى أنها لا تُناسبه، حينئذٍ وجدَ أمامه طريقين، إما أن يبحث عن مجالٍ آخر يعمل فيه، أو أن يتعلَّم ويتشرب كل شيء عن تلك المهنة، السمسرة. فاختار الطريق الثاني..! قرَّر أن يمزج ذكاءه وحُسن تصرُّفه وتعليمه العالي في تطوير تلك المهنة

ويخلط كل المهارات التي يمتلكها ليكوّن في النهاية رؤية خاصة به تجعله يتميز عنهم. بدأ بتعلُّم التسويق، لاسيما التسويق الإلكترونيّ. مشكلته الأكبر حينئذٍ كانت في المبيت، أين سيبيت في تلك الفترة؟ فهو لا يملك مسكنًا ولا حتى الأموال التي تجعله يؤجر ولو غرفة تحت السلم، ظلَّ يفكر إلى أن اهتدى بتفكيره أن يتخذ من مدخل أحد البيوت الآيلة للسقوط مسكنًا له، ثم عرض نفسه على أحد السماسرة هناك أن يعمل معه، حتى يتعلَّم منه بشكلٍ غير مباشر كل شيء عن تلك المهنة، والتي كانت بالنسبة إليه تُعتبَر السهل الممتنع. ظلَّ يعمل مع أحد السماسرة حوالي شهر ونصف، عرف خلال تلك الفترة معظم بيانات الشقق الشاغرة في المنطقة، يسجِّل ويدوِّن في مفكرته كلَّ شيءٍ يعلمُه أو يتعلَّمه. عمولة الشقة حينها كانت خمسين جنيهًا، نسبته فيها عشرون جنيهًا. وفي اليوم الواحد كان من الممكن أن يحصل على مائة جنيه، بعد أسبوعين بدأ يبحث عن مكانٍ ليبيت فيه وينام تحت سقفٍ آخر غير هذا السقف الآيل للسقوط. فاستطاع بسهولة إيجاد سرير في غرفة مشتركة مع شابين مُغتربين. استغل فترة الليل في تعلُّم التسويق الإلكتروني عبر الإنترنت، وبالنهار كان يعمل مع السمسار. وبالنسبة للأكل، كان فطوره عبارة عن ثلاثة أقراص طعمية بجنيه ونصف، يهرسهم في رغيفين مع حزمة جرجير ويلفهما بهم

ليأكلهما في نَهَمٍ، رغم أنه لم يكن يحب الطعمية لكنه استطيب طعمها مُجبرًا نفسه على ذلك..! وحين تنتهي مدة أي أسرةٍ في مسكنها ويرحلون، كان حريصًا على تفتيش الثلاجة، علَّه يجد أيَّ طعامٍ قد تبقَّى منهم فيكون قُوتَه في ذلك اليوم ويوفر ثمنَ وجبة غداء.

بعد مرور شهرٍ ونصف قرَّر أن يعمل بمفرده، لكنه رأى أن يبتعد عن هذا العددِ الهائل من السماسرة. وألا يستقبل الأُسَر المُصيّفة عند ناصية خالد بن الوليد، بل ينتظرهم عند الموقف. مما جعله يعمل ويطوِّر نفسه ويربح بشكلٍ أسرع، لا تمر ساعةٌ إلا وقد أتم تسكين أسرة وأخذ عمولته من صاحب الشقة، بالإضافة إلى نسبةٍ لا بأس بها من المُصيِّفين أنفسهم، والذين كان معظمهم يعطونه بقشيشًا نظيرَ معاملته الجيِّدة وأمانته وصدقه. استطاع أن يوصِّل للناس فكرة جديدة عن السمسار، وأنه ليس فقط ذلك الرجل ذا الجلباب الرماديّ الذي تجده في كل مكانٍ، ولكن يمكن أيضًا أن يكون سمسار الشقق المصيفية شابًا وسيمًا مُتعلِّمًا طموحًا لبقًا.. مُهندمًا ومرتديًا بدلة أو على الأقل قميصًا وبنطالًا.. إلخ.

استطاع بعد ثلاثة أشهر أن يدّخر حوالي خمسة عشر ألف جنيه. كل ليلة قبل أن ينام يفكر في تلك الفترة وفي كل ما رآه وعاينه، فيزيد الحِمل على كاهليه. هل كل ما فعله

يستحق في النهاية خمسة عشر ألف جنيه فقط! فيعود ليُقنِع نفسه أن هذا المبلغ ليس جيدًا بالطبع لكنه أيضًا ليس سيئًا! يفكر في تلك السنة التي وعد نفسه وخطيبته أن يحقق فيها شيئًا كبيرًا، مرّ منها حتى الآن ثلاثة أشهر، وأوشك الصيف على الانتهاء وبدأت أقدام المصيفين تندر. ظلَّ يفكر في الأمر، هل يعود إلى القاهرة خائبَ الرجاء مُنهزمًا كسير الخاطر ومعه هذا المبلغ، أم يستكمل ما بدأه ويبحث عن مجالٍ آخر يعمل فيه!

وبعد تفكيرٍ طويلٍ أخذ قرارًا سيُغيِّر حياتَهُ ويأخذه إلى منحنى جديد. فالحياة ليست إلا مجموعة من القرارات، لا يهم إن كانت خاطئة أو صحيحة. المهم أن تبادر بالخطوة. اتخذ القرار.. ونفَّذه!

بدأت الإسكندرية في ذلك الوقت تتوسع ويُبنى فيها عددٌ من الكومباوندات والمولات والمشاريع التجارية والمباني الإدارية، أنشأ حينها مكتبًا صغيرًا في شقة غرفة وصالة، تقابَل في هذا الوقت مع فتاة تدعى ابتسام القاضي، عملت معه كسكرتيرة ومُعاوِنة له في كل خطواته، وجدها نشيطة وطموحة وهذا شكَّل فارقًا كبيرًا له، كانا يعملان في اليوم لأكثر من سبع عشرة ساعة، يجمعان فيها كل البيانات المتعلقة بالمشاريع الجديدة التي تُقام في الإسكندرية. أنشأ

صفحة على الفيسبوك يعرض فيها خدماته العقارية، ومن خلال تلك الصفحة يطلق إعلانات تستهدف العملاء المُحتمَلين داخل الإسكندرية وخارجها، فاستطاع جذب العملاء مُستمِرًا في سياسته أن يكون مُميزًا، وسيطًا ومستشارًا عقاريًا صادقًا مؤتمنًا وليس سمسارًا كل ما يريده توريط العميل في شراء عقار؛ لذلك كانت الشركات التي تقيم مشاريع في الإسكندرية يطلبون الاجتماع معه لتسويق مشاريعهم مقابل عمولات ضخمة. كبرت شركته وتطورت تدريجيًا وكل شهر كان يُعيّن موظفًا جديدًا في إدارة المبيعات. والعميل الذي كان يشتري منه وحدة يعجب بطريقته وصدقه وأمانته فيتعامل معه مرة أخرى، علاوة على أنه يرشّحه لأصدقائه. فزادت قاعدة عملائه.. وبشكلٍ شخصيٍّ كان يُخصّص في اليوم ساعتين أو ثلاث ساعات يقابل فيهم أحدَ رجال الأعمال أو المشاهير ليعرض عليه شراء وحدة سواء سكنية، تجارية أو حتى إدارية. شهر تلو الآخر يمرُّ عليه حتى بدأ يذيع صيته بين الأوساط، خصوصًا الفنية والرياضية. إلى أن قابل الممثل الكبير والقدير عمر البطاوي، والذي كان يتمنى أن يراه يومًا ما. هو أو زوجته الساحرة الفنانة نبيلة خورشيد. عرضَ عليه شراء وحدة سكنية فندقية في أحد أفضل المشاريع في الإسكندرية. في البداية لم يكن البطاوي مُتحمّسًا لشراء أي عقار، لكن طريقة

كريم سحاب لفتت انتباهه ووجد نفسه بعد نصف ساعة يوقِّع عقد وحدتين متجاورتين. أعجب بطريقته في الإقناع وعرض عليه أن يعملا معًا.

- تحب تكون مطوِّر عقاري وصاحب مشاريع يا كريم؟ سأله بينما كانا جالسين في مطعم بفندق سان ستيفانو ويشعل سيجاره، فأجابه كريم مشدوهًا:

- نعم؟! حضرتك بتهزر.. أكيد طبعًا أحب.. ده حلم حياتي.

انتهز البطاوي تلك اللمعة التي لمحها في زوايا عينيه وعرض عليه أن يموِّله بخمسين مليون جنيه، على خمس دفعات، كل دفعة عشرة ملايين. على ألا يظهر في الصورة أو يوقع على ورقة. استطاع كريم بذكائه وفطنته إدراك ما يرمي إليه البطاوي، وأن عرضه هذا ليس مجرد تمويل، وإنما غسيل أموال. لكنه لم يفكر في الأمر ولو لثوانٍ، ووافق على الفور، فهو يمتلك كل الأوراق والإثباتات التي لن تجعله محل شك أو ريبة مُطلقًا، أخبره مباشرة أنه يملك الاستطاعة أن يغسل له أي مبلغ حتى لو مليار جنيه. واتفقا يومها على كل شيء تقريبًا.

عاد إلى ابتسام وفكرا سويًا في شكل المرحلة القادمة، تلك المرحلة التي ستجعل الأيام والسنين تمر سريعًا كما الخيل، عبر فيها صراط الشباب مُتجهًا كالسهم نحو مرحلة الرجولة،

المسؤولية، الركض خلف المال والربح وزيادة الملايين. بدأ تلك المرحلة بداية رائعة، دخل شريكًا في كومباوند بالتجمع الخامس، استطاع بعد ذلك أن يدلف حقبة جديدة بعدما أنشأ فرعًا آخر لشركته في القاهرة، ومن ثم فرعًا في العين السخنة، تمهيدًا لمشروعه في مدينة الجلالة العالمية. كان حريصًا على أن يكون أحد المطوِّرين الذين لديهم مشروع فيها، ومن بعدها في العاصمة الإدارية الجديدة. أخذ من البطاوي خمسين مليونًا وأعادهم إليه خمسة وثلاثين مليونًا حسب الاتفاق بينهما. لكنه خلال تلك العملية استطاع تكوين عشرات الملايين الأخرى من أصلِ مشاريعه، وضع منها عشرين مليونًا خالصة الضرائب في البنوك المصرية، والباقي كان يحوِّله إلى سبائك ذهبية بعيدًا عن أعين الضرائب والحكومة، عامًا وراء الآخر كان يمر كالبرق، حتى استطاع أن يكوِّن إمبراطورية كبيرة وأصبح أحد أكبر رجال الأعمال والمطوّرين العقاريّين في مصر. والعشر سبائك أصبحت عشرين وثلاثين، إلى أن وصلوا الآن إلى مائتين وخمسين سبيكة تُقدَّر قيمتهم بحوالي مليار جنيه. يضعهم في خزينة مُؤمَّنة تمامًا في إحدى الفِلل التي يملكها بالتجمع الخامس. علاوة عن وجود حارس أمن فيها، فهي أيضًا مُزوَّدة بنظام أمانٍ مُكتمِل ومتكامل، لو اقترب أحدٌ منها أو دخل بابها أثناء غيابه يتلقى إنذارًا على هاتفه فيستطيع الاطلاع على ما كل

يجري هناك بالصوت والصورة من خلال تطبيق نظام كاميرات المراقبة.

داخل تلك الفيلا بالطابق الثاني هناك سبع غرف تنتصفهم غرفة مكتبه التي تحتوي على تلك الخزينة ألمانيّة الصُنع، تحتضن سبائكه وبعض أوراقه الأخرى، لا يستطيع الذباب الأزرق إيجادها أو فتحها. يذهب إلى هذه الفيلّا بين الحين والآخر، كي يقضي ليلة مع إحداهن، أو يستجم ويزيل من جسده أعباء التعب بعدما يملي عينيه برؤية تلك السبائك. والتي ينوي تهريبها خارج مصر يومًا ما.

***

خبر بجريدة المال يونيو ٢٠١٥

وفي فترة قصيرة جدًّا أصبح كريم سحاب من أهم رجال الأعمال الجدد الذين دخلوا مجال العقارات وأصبح اسمه يتردد كثيرًا بين الأوساط..

جريدة الأهرام ديسمبر ٢٠١٧

وعلى صعيدٍ آخر قد استطاع رجل الأعمال كريم سحاب أن يستحوذ على حصة كبيرة من الأراضي في التجمع الخامس، وتعهد أنه سوف يبني عليها عدة مشاريع سوف تغيِّر المفاهيم في السوق العقاري في مصر.

جريدة الأخبار فبراير ٢٠١٨

والجدير بالذِّكر أن الطرح الأخير لشركة سحاب ناجح بشكل منقطع النظير، ولم يحدث أن يستطيع مطور عقاري بيع مول بالكامل في حفل الإطلاق. نعم.. لقد باعه بالكامل قبل حتى أن يضع فيه قالبَ طوب واحدًا، وذلك عن طريق تصميمه الفريد والذي أبهر الجميع حين رأوا المجسم الخاص به في حفل الإطلاق. بالإضافة إلى خطط الأسعار التي لم يشهدها السوق العقاري من قبل.



مديرية أمن القاهرة

دلف ضابط مُتجهِّم الوجه مكتب اللواء عماد نور الدين، مُقدِّمًا إليه عدة صور لجثة مجهولة الهوية تم انتشالها من نهر النيل منذ ساعتين ونصف، كان ذلك أمام جمعٍ كبيرٍ من الناس. منهم من أخرج هاتفه من جيبه وصوَّر عملية الانتشال فيديو ونشره على وسائل التواصل الاجتماعي، لم تمر أكثر من نصف ساعة حتى تداوله رواد الفيسبوك وتمت مشاركته عن طريق الآلاف. مما جعل هذا الأمر مَحطّ اهتمام اللواء عماد الذي أمسك الصور وظلَّ يتأملها باهتمامٍ بالغ، ثم سأل الضابط عن هوية تلك الجثة فأخبره أنها مجهولة، ولا

يوجد بها أي شيء يدلّهم على هويتها. حتى اليدان مبتورتان. صمت اللواء يفكر لثوانٍ ثم هز رأسه قائلًا للضابط بثقة وهو يمسك هاتفه:

- مفيش غير واحد بس هو اللي هيعرف يوصل لحاجة..!

بعد تسع عشرة ثانية - العين السخنة

بينما كان المقدّم زياد ضرغام جالسًا أمام البحر يتأمّله وهو يفكر في تلك الفترة العصيبة التي مرَّ بها مؤخرًا، رنّ هاتفه وكان المتصل اللواء عماد نور الدين الذي ابتدر المكالمة مباشرةً:

- أنا عارف يا زياد إنك في إجازة، ومش سعيد إني أطلب منك تقطعها، لكن للأسف ده مش اختياري.

- إمممم.. أوامر سعادتك. قالها مُتأفِّفًا، لكنه حرص ألا يظهر تأفُّفه في نبرة صوته، رغم أن اللواء عماد شعر بذلك بالفعل، لكنه لم يأبه لذلك كثيرًا، وطلب منه أن يكون في مكتبه قبل ثلاث ساعات. ولم يخب ظنه في المقدم زياد الذي قطع إجازته بالفعل وكان في مكتبه بعد ساعتين وأربع وثلاثين دقيقة. شكره اللواء عماد لذلك ثم أعطاه الصور طالبًا منه التوصل إلى هوية الجثة والقبض على الجناة في أسرع وقت، أخذ الصور وتأملها قليلًا قبل أن يذهب إلى المشرحة

مباشرة ليطّلع على التقرير الجنائي ويعاين الجثة على الطبيعة..!

كل زملائه في الداخلية اندهشوا وضربوا كفًا بكف حين أقسم لهم بالله إنه سوف يعرف هويّة تلك الجثة المجهولة، وليس هذا فقط، بل وسيصل إلى القاتل أيضًا. ضحكوا كلهم مُدركين متأكدين أنه لن يصل إلى أي شيء، وسوف يستسلم في النهاية، بعدما يفشل في تحقيق ما يزعمه. فالأمر شِبه مستحيل. والجثة مبتورة اليدين واللتين كانتا الأمل الوحيد في معرفة هويتها عن طريق البصمات. لكن المقدِّم زياد ضرغام له من الخبرة التي تجعله واثقًا مما قاله، ولذلك ليس غريبًا أن يثق فيه اللواء عماد نور الدين.

حين ذهب زياد ضرغام إلى المشرحة سأل الطبيب على الملابس التي نزعوها من الجثة، فأشار له أنها في الغرفة المجاورة، أمسك الملابس وفتّشها جيدًا لكنه لم يجد فيها شيئًا مُهِمًّا سوى ورقتين باليتين ومنديلًا ورقيًا شِبه بالٍ هو الآخر، مرسومًا عليه شعار مطعم أو فندق..! عاد مرة أخرى إلى غرفة التشريح، كانت الجثة راقدة على السرير وقد انتهى الطبيب من شق البطن من المنتصف وجزء الجمجمة الأيسر.

- مفيش حاجة في التشريح لفتت انتباهك يا دكتور؟ سأله

زياد وهو يتفحص الجثة بعينيه النافذتين، فأجابه الطبيب وهو يضع المشرط على المنضدة ويخلع قفازه:

- بص يا زياد بيه هو من الواضح إن الجثة دي لشخص أجنبي، أوروبي تحديدًا. ملامحه بتقول كده.

- كمان مش مصري؟ - أطلق ضحكة قصيرة - يا نهار اسود..! قالها مُتهكمًا ثم اقترب أكثر إلى الجثة مُحدقًا فيها، أول ما لفت انتباهه هو وشم على كتفه الأيسر، عبارة عن كلمة بلغة غريبة عليه فلم يستطع قراءتها، سأل الطبيب دون أن ينظر إليه:

- اللغة دي روماني باين؟

أجابه الطبيب وهو يغسل يديه: - لأ.. لغة يونانية.. أغلق صنبور المياه وأمسك منديلًا ليجفف يديه مُردِفًا: - أعرف شوية حروف فيها بحكم دراستي لكن ترجمة الكلمة ما أعرفهاش، بس عادي سهل نعرفها.

أومأ له زياد مستوعبًا كلامه واستكمل معاينة الجثة التي كانت مُتهشمة الرأس من الأعلى، وجد الضرس الذي يسبق ضرس العقل من الفضة، طلب من الطبيب أن يخلع له هذا الضرس ربما يقوده إلى شيء. فقال له الطبيب أنه وجد في الجثة شيئًا آخر ربما يكون طرف خيط مهم، تطلّع إليه زياد

مُستَوضِحًا، ففتح الطبيب درجًا في الثلاجة يحتوي على كيسٍ شفافٍ بداخله جهاز كان مُلحقًا بقلب الجثة، وزنه حوالي ٧٩ جرامًا، هذا الجهاز يدعم القلب ويعمل كمضخةٍ للدم منه إلى جميع العروق، هذا الجهاز من المفترض أن يكون مُوصَلًا ببطارية أو شاحن ويثبت في حزام على بطن المريض، لكن البطارية ليست موجودةً، ربما فُقِدت حين تم إلقاؤه في النيل. التمعت عينا المقدم زياد حين رأى الجهاز ولم يأبه للبطارية وصبّ كل اهتمامه على الجهاز نفسه، والذي كانت به دماء فأخذه ووضعه تحت صنبور المياه ليغسله جيدًا ثم دقق النظر فوجد رقمًا تسلسليًا منقوشًا على الجهاز، هذا الرقم مكون من ثلاثة حروف أبجدية تجاورهم تسعة أرقام. دنا منه الطبيب وأخذ الجهاز ليتفحصه مُحاولًا قراءة ما هو مكتوب عليه، فابتسم قائلًا له:

- مش قلتلك مش مصري؟ الجهاز ده متركب في مستشفى القلب في دولة اليونان. الرجل ده يوناني.

كان ذلك حين أخرج زياد من جيبه علبة سجائره وأخرج منها سيجارتين، وضع إحداهما بين شفتيه والثانية أعطاها للطبيب الذي أخذها منه قائلًا:

- يا عم خليني أبطلها الله يكرمك.

أطلق زياد ضحكة قائلًا له: دي المرة التسعين تقولّي عاوز

تبطَّلها وبترجع لها تاني، طب بذمتك شايل علبة في درج مكتبك ولّا لأ؟

لم يجبه الطبيب مكتفيًا بنظرة معاتبة، أشعل سيجارته قائلًا: أهو التدخين ده اللي هيخلينا احتمال نركِّب جهاز زي ده.

أشعل زياد سيجارته وهو يسأل الطبيب:

- طب بالنسبة للرقم التسلسلي اللي على الجهاز ده، تقدر عن طريقه توصل للمستشفى ونتواصل معاها ونعرف منهم أي معلومات عن الرجل ده؟

صمت الطبيب لبرهة يفكر ماذا سيفعل ثم أجابه غير متأكدٍ:

- هحاول..

قالها واتجه إلى مكتبه، فتح حاسوبه المحمول باحثًا عن كود المستشفى المكتوب على جهاز داعم القلب، وبسهولة استطاع الحصول على عدة إيميلات خاصة بإدارة المستشفى، وضعهم جميعًا في خانة المرسل إليه في رسالة بريد إلكتروني رسمية، وكتب العنوان باللغة الإنجليزية "أمرٌ طارئ بخصوص قتيل من مرضاكم" وأرسل لهم صورة من الجهاز والرقم التسلسلي المكتوب عليه، طالبًا منهم هوية

صاحب الجهاز، وأخبرهم أن الأمر مُهم وعاجل. أمسك زياد هاتفه واتصل بأحد معاونيه ليخبره أنه سيرسل إليه صورة واضحة للمنديل الذي وجده في جيب القتيل، طالبًا منه أن يحاول قدر الإمكان معرفة الشعار المرسوم فيه إلى أي مكان ينتمي. بعدما أغلق المكالمة صوَّر المنديل وأرسله عبر الواتساب.

لم تمر أكثر من ربع ساعة حتى تلقَّى الطبيب بريدًا إلكترونيًّا من المستشفى باليونان، فحواه أنهم قانونًا لن يستطيعوا إفادتهم بأي معلومات مُتعلِّقة بالمرضى إلا بعد موافقة أمنية وتقديم مذكرة قضائية من الشرطة اليونانية، وذلك حفاظًا على خصوصية المريض والحفاظ على بياناته، سواء كان حيًا أو ميتًا.

بعدما استقبل الطبيب رسالتهم لم ينبس بكلمة، مُكتفيًا باستدارة الحاسوب ليقرأ زياد ردهم، فانطلقت منه ضحكة قائلًا له بتهكم:

- معلش يا دكتور كنت هاخد الصيف اللي فات كورس إنجليزي في بريتش كونسل لكن نسيت، قولّي ردوا قالولك إيه الله لا يسيئك تترجم..!

أخبره الطبيب بفحوى الرسالة فزمجر زياد حينها وسبَّهم، لكنه حاول أن يحافظ على هدوئه وظل يفكر ماذا يفعل إلى

أن قرر التواصل مع اللواء عماد، الذي استعان ببروتوكول التعاون بين الشرطة المصرية واليونانية للحصول على مذكرة قضائية ليتمكنوا خلالها من معرفة هويّة المجني عليه. وبعد سلسلة من الإجراءات المُعقَّدة استطاع المقدم زياد في اليوم التالي معرفة هويَّة القاتل، والذي يدعى "أثناسيوس كزانثوبولوس". حاول زياد قراءة الاسم لكنه وجد أن الأمر أصعب من تسلق الهرم الأكبر، فاكتفى بأخذ الورقة وذهب بها إلى مطار القاهرة ليعرف تاريخ دخوله البلاد، حتى توصَّل في النهاية إلى أن هذا الرجل وطأت قدميه مصر منذ حوالي أسبوعين. وبعد سلسلة من التحريات ومراجعات كاميرات عدة أماكن استطاع الوصول إلى القاتل.. أو بالأحرى القاتلة.

***

مدينة السادس من أكتوبر - مول العرب

في تمام الساعة الرابعة واثنين وثلاثين دقيقة عصرًا..

على مدار ساعة ونصف مرَّت فيهم من أمام عدة فروع لأشهر الماركات بمول العرب، كلما تدخل أي محل وتقيس فستانًا أعجبها يغلِّفه لها مدير الفرع رافضًا وبشدة أن يأخذ ثمنه رغم إلحاحها الشديد، لا يحدث هذا في الملابس فقط، بل أيضًا في مُستحضرات التجميل وأي منتج مُتعلِّق بالنساء،

ويالحظ أي ماركة تستخدمها وتظهر بها في إحدى صورها، في اليوم التالي تقلِّدها مئات الآلاف من الفتيات اللائي يتابعنها على مواقع التواصل الاجتماعي، بعد أن وصل عدد متابعيها على الفيسبوك ثلاثة ملايين، وعلى إنستجرام قد وصل حتى كتابة هذه السطور إلى أربعة ملايين وثلثمائة ألف، تيك توك أكثر من أربعة ملايين أيضًا، حتى قناتها على اليوتيوب يتابعها فيها حوالي مليون ومائتا ألف..!

بعد أن حصلت على ثلاث فساتين من أشهر الماركات بمول العرب خرجت من بوابة ٢٣؛ فقابلها شابان صاحا مُهلّلين حين رأياها وتعرفا عليها، طلبا منها أن يتصورا معها فرحَّبت بذلك، في نفس الوقت الذي مرّت من أمامهم سيارة مرسيدس ذات زجاج مُعتم، وما إن فُتِحَ الباب حتى قيَّدها الشابان وفي غمضة عين كانت داخل السيارة، كمَّم أحدهما فمها كي لا تصرخ فغابت عن الوعي وسكنت تمامًا. قادوا السيارة إلى الفيلّا التي يقيم بها أحدهم في أحد الكومباوندات بالشيخ زايد، حملوها مُقيدةً وهم في غاية السعادة ودخلوا بها الفيلّا. كانوا قد دبروا لخطفها منذ شهرين بعدما تابعوا صورَها وفيديوهاتها على إنستجرام لفترة طويلة فتشتعل غرائزهم، فاتفقوا على خطفها واغتصابها قبل أن يصوروها عارية، ليكسروا عينيها ويبتزوها بتلك الصور، فلا تستطيع الإبلاغ عنهم. وحتى لو بلَّغت فلن تأخذ معهم حقًا أو باطلًا،

فمهما كانت مَن تكون، هم أيضًا أبناء أشخاص ذات نفوذ. ولن يدخلوا بسببها قسم الشرطة ولو دقيقة.

بعد أن أدخلوها وألقوها في الفراش فتحت عينيها لتجد نفسها بين هؤلاء الثلاثة وقد سال لعابهم عليها وتعرّقوا حين وجدوا أنفسهم أخيرًا أمامها، ظلوا يتأملونها بينما كانت تتوسل إليهم باكية أن يتركوها ترحل في سلام، لكن حتى لو اجتاح الشيخ زايد إعصار فلن يتركوها..! لم يتأثروا بتوسلاتها وضعفها، أقبل أحدهم عليها وحاول أن يمسك طرف فستانها كي يخلعه، لكن ما وجدوه جعلهم يدركوا أنه لو اجتاحهم إعصار فهو أرحم مما سيحدث لهم منها، فالعيون الباكية المتوسلة جحظت وجمدت، والفتاة الضعيفة نهضت فجأة وتحوّلت، قطعت فستانها من الجنب كي تستطيع القيام بما ستفعله بسهولة دون أن تتقيد حركتها. نظر الشباب إلى بعضهم البعض مندهشين، لكنها لم تمهلهم ولكمت أحدهم لكمة قوية فتقهقر إلى الخلف حتى سقط على الأرض وغاب عن الوعي، أقبل الآخر كي يهجم عليها لكنها أمسكت ذراعه وثنته حتى سُمِع صوت طقطقة كسره، ابتعدت بعدها خطوةً إلى الوراء وركلته بقوة بين فخذيه فسقط صارخًا مُتألمًا، نظرت بعدها إلى الثالث لكنه ركع على ركبتيه مُتوسلًا إياها أن تتركه لحاله ولا تضربه، ظلّت تنظر إليه بعينين شاخصتين في تقزُّز بينما كان يتوسل إليها حتى بكى، أشاحت بنظرها

بعيدًا ثم أمرته أن ينهض ويخرج أمامها كي يوصلها بالسيارة إلى المكان الذي خطفوها منه. فنهض بسرعة ثم خرج أمامها مهرولًا وركب سيارته، ركبت في الخلف، وبينما تجمع شنط الملابس التي معها، وقعت عينيها على علبة هاتف آيفون بجواره. وكأنها ليست الفتاة الشرسة التي كانتها منذ قليل، سألته ببراءة متى تم إطلاق هذا الإصدار من آيفون في مصر فهي تنتظره منذ فترة، فأخبرها بنبرة متوترة أن والده أرسله له من أميريكا، ولكنه لا يريده إطلاقًا. التقط العلبة وأعطاها إياها بيدٍ مرتعشة، فأخذتها قائلًا بنبرة بريئة: شكرًا.. واعتبرته تعويضًا عن الفستان الذي تمزّق. وصلت السيارة أمام مول العرب فطلبت منه التوقف لتنزل، ففعل حامدًا الله أنه بخير ولم ينل أذاها. نزلت من السيارة وقبل أن تغلق الباب نظرت إليه بعينين ثابتتين جامدتين جعلته يرتعد ويبول على نفسه. قائلة له بنبرة حادة.. جادة:

- قبل ما تفكروا تخطفوا وتغتصبوا سمر شكري شعيب.. لازم تفكروا قبلها ألف مرة. مفهوم؟

لم يرد عليها الشاب وانطلق بسيارته دون حتى أن ينغلق الباب..!

نعم.. سمر شكري شعيب ما زالت حية.

فتاة في الواحد والثلاثين من عمرها، الفتاة التي يُقال عنها

بأريحية إنها كاملة الأنوثة. جمالها قد يجعل أكثر الرجال تماسُكًا ينهار فجأة حين يراها. ويرى عينيها الواسعتين الخضراوين بالنهار، والتي تميل إلى اللون الرمادي في الليل. وبشرتها البيضاء الملساء التي يزيِّنها نمش خفيف تحت عينيها، وغزير عند كتفيها وأعلى صدرها. أنف دقيق مرسوم وشفتان مُكتنزتان مُمتلئتان لا تحتاجان لأحمر شفاة كي تبدوا ساحرتين. شعر غجريٌّ طويل، أصفر اللون، يلتمع لونه في الشمس التماعًا ليتحول إلى اللون الذهبيّ. طول متوسط بقوام ليس به خطأ واحد. جسد مُتقَن يحمل كل أسباب الغواية مما يزيد كل من يراها رغبةً جامحةً في فعل أي شيء مقابل فقط... التحدث إليها ولو لدقيقة.

تستطيع سمر وبأقل مجهود أن تخطف لُبّ أيّ رجل، وتذيب أعصابه بنارها اللاهبة ذوبانًا. فتخلق ثعابين تتلوّى تحت جلده. تستطيع بمنتهى السهولة أن تختطف الأبصار من محجريها. طالما تنافَس شبابٌ ورجالٌ كُثُر على كسبِ قلبها لكن دون جدوى، فهي تعي جيدًا ثمن نظرة من عينيها الساحرتين المليئتين بالذكاء والشغف إلى أيٍّ منهم. حاول كثيرون أن ينشئوا معها علاقة حب وكانت النتيجة فشل ذريع.. "لم ينجح أحدا!"

تُقدّر جيدًا قيمة جمالها هذا وتدركه، وتعتمد اعتمادًا كليًا

على ذلك، وتستغلَّه أفضل استغلال مُحدِّدة هدفها بدقةٍ بالغة.

بعدما تبخر الشاب مُبتعِدًا بسيارته في ثوانٍ معدودة، أخرجت مرآة من حقيبتها لتطمئن على وجهها إن كان قد طالته أي خدوش فلم تجد. دخلت جراج مول العرب لتأخذ سيارتها وتنطلق إلى مقر شركتها في ميدان لبنان بالمهندسين.

نعم.. سمر ما زالت حية..!

بعد ما حدث لها في الإسكندرية في عام ٢٠٠٧، وبعد أن تُرِكت مُقيّدةً بمفردها في شقة العجمي، أخذت تخلّص نفسها من القيود بأن تحكّها بشكلٍ مُتواصل ومستمر في الحائط إلى أن قُطِعَ الحبل واستطاعت التخلص منه بعد ثلاث ساعات، هربت بعدها مُبتعِدة عن الإسكندرية كلها ولازمت شقة استأجرتها في مدينة السادس من أكتوبر. ظلت بداخلها لمدة شهرين لم تتحدث فيهما مع أحدٍ ولم تتواصل مع أي شخص. ليس أمامها شيء سوى فاتورة ضريبية لكل ما سبق، كشف حساب وضعته أمام عينيها وبدأت تفكر فيما حدثَ لها في تلك الفترة، نادمة على أشياء فعلتها وأخرى لم تفعلها. لكنها قررت في النهاية ألا تعطي الندم أيَّ مكان في حياتها، وقررت أن تنهض وتبدأ من جديد بشكلٍ مُختلِف. استغلّت أن

لديها عددًا لا بأس به من المتابعين في مواقع التواصل الاجتماعي، كان وقتها حوالي تسعة وثمانون ألف متابع. وحسابها البنكي فيه حوالي مائة وعشرة ألف جنيه. كان حلمها دائمًا أن يصل رصيدها في البنك إلى مليون جنيه. وبعد أن تحطَّم حلمها الأكبر على يد إخوتها، أخذت تفكر من جديد في زيادة رصيدها في البنك، رافضة العودة مرة أخرى إلى طريق العهر الذي لن يؤدي إلا إلى نهاية مأساويَّة حتمًا. فليس كل مرة سوف تسلم الجرة..! استغلّت شهرتها على الفيسبوك في كسبِ المال، ولكن بطرقٍ أخرى. وبعد غياب شهر ونصف عادت مرة أخرى بشكلٍ جديدٍ، وفتحت حسابًا على إنستغرام ويوتيوب تقدِّم فيهما نصائح للبشرة والشعر والموضة وما إلى ذلك، كل شيء يتعلق بالفتيات اللائي أحببنها أكثر من الشباب المتواجدين واللاجئين على صفحتها ليل نهار، يتأملون جمالها الساحر الآسر. زاد عددُ المتابعين إلى أن وصل ملايين، فانهالت عليها العروض من الماركات العالمية المختلفة، في البداية كان المقابل ضعيفًا لكنها بالتدريج استطاعت أن تصل إلى مبالغ وهمية مقابل فقط ارتداء فستان ما أو ترشيح ماركة مكياج معينة أو السهر في مطعمٍ ما.. إلخ. وأصبحت من أهم الشخصيات المؤثرة في السوشيال ميديا.

في خلال عامٍ واحدٍ استطاعت أن تصل إلى المليون جنيه

الذي كانت تحلم به، مكتشفة أنها وصلت له بطريق أسهل بكثير من طريق العهر والرخص. لم تتوقف عند هذا الحد. بل استغلت ما وصلت إليه أفضل استغلال، أجَّرت شقة "اشترتها وتملّكتها فيما بعد" في ميدان لبنان بالمهندسين، وأنشأت فيها شركة دعاية وإعلان والتحقت بها حوالي أربعون فتاة "موديلز".. كل منهن لها السعر الخاص بها في الحملة الإعلانية، تأخذ هي "كشركة" نسبة أربعون بالمائة من العقد والفتاة "الموديل" تأخذ المبلغ الباقي مخصومًا منه الضرائب.

كل يوم تكبر الشركة عن اليوم الذي يسبقه، وتزيد قاعدة عملاءها من أكبر العلامات التجارية سواء ملابس، مطاعم، فنادق، شركات، قرى سياحية، مستحضرات مكياج وحتى عيادات التجميل. فاقت شهرتها شهرة بعض المُمثِلات، ولا يخلو أي مهرجان فنيّ من حضورها، وتتهافت الشركات للتعاقد مع شركتها سواء باستخدام أحد الموديلز المُنتميات لها أو معها هي شخصيًا، والتي كان أجرها في أي حملة هو الأعلى على الإطلاق، ليس على مستوى شركتها فقط، ولكن على مستوى كل الشركات.

كل الفتيات يحسدنها على ما هي فيه، مالٌ وافرٌ وجمال باهر يخطف الأنفاس، لا يعلمون أنها بعد كل ذلك النجاح،

وبعد هذا الزحام تعود إلى منزلها في الليل وتأوي إلى فراشها لتنام بمفردها، لا يؤنسها سوى عزلتها، ووحدتها التي كثيرًا ما تُطبِق على أنفاسِها. وأحيانًا تأتي عليها فترات تستلقي فيها على سريرها فترى في سقف غرفتها شريط حياتها يمر أمامها فتنتحب، تنتحب بحرقة. وها قد أصبحت الآن في عمر الواحد والثلاثين، ولا زالت وحيدة، لم تجد من يهزُّ قلبها ويقتحمه ليتربع فيه، وبعد كل ما رأته في حياتها أصبحت لا تثق في أي رجل. ربما هذا هو سبب عدم زواجها إلى الآن. وربما أيضًا لأن يومها بالكامل مليء بالعمل ولا تعطي لأي شيء آخر وقتًا له.. وربما لأنه لا يوجد رجل يجترئ على اقتحام سور قلبها المنيع، واجتيازه ليعرض الزواج عليها..

تعددت الأسباب.. وإحساس العزلة والوحدة واحدٌ..!



في اليوم التالي..

استيقظ كريم سحاب في تمام الساعة الثامنة صباحًا، مدَّ يده إلى الكومود بجواره مُتحسسًا هاتفه الذي اكتشف أنه على الوضع الصامت منذ أمس، وقد وردَت إليه مكالمات كثيرة، وضع الهاتف مرة أخرى وهمَّ لينهض، فوجد زوجته نائمة بجواره، حاول تذكُّر تفاصيل ما حدثَ بينهما بالأمس لكنه لم يستطع تذكُّر إن كان قد حدث شيء أم لا. جلس على

حافة السرير وأمسك هاتفَهُ مرة أخرى ليتصل بابتسام القاضي؛ سكرتيرته الخاصة، ليعرف منها مواعيدَ اليوم، فأبلغته أن لديه أربعة مواعيد، الأول مع صديقه المهندس محمود في ستاربكس كافيه بكايرو فيستيفال، بعد ذلك اجتماع مع إدارة المبيعات لوضع خطة دعاية الشركة في شهر رمضان خصوصًا والربع الأول من ٢٠٢٠ بشكلٍ عامٍ، بعد ذلك لديه موعدان آخران مع مستشارين عقاريين من الإمارات العربية المتحدة. ثم في نهاية اليوم لديه اجتماع مع مدير الشؤون القانونية ليثنيه عن قراره بالاستقالة.

طلبَ منها أن تتصل بالسائق الخاص به ليحضر له بعد نصف ساعة ثم وضع الهاتف على الكومود مرة أخرى قبل أن ينهض ليدخل الحمَّام، تعثر حينها في المنضدة فاستيقظت شروق زوجته، التفت إليها مُعتذرًا لأنه أوقظها ثم سألها إن كانا قد فعلًا شيئًا بالأمس، فأومأت رأسها بالإيجاب، ولم تزل السعادة مرتسمة على وجهها لأنه طلّق تلك المذيعة التي كان قد تزوجها عليها، والتي كانت أكثر امرأة ظلَّت على ذمته، لدرجة أنها قد أوشكت أن تفقد الأمل في أنه سيطلِّقها يومًا ما مثل الباقيات. منذ اليوم الذي عرفت فيه أنه تزوّجها، باتت مغمومة ومُكتئِبة، مُتأكِدة تمام التأكُّد أن هذه الزيجة ستستمر، وستكون شيئًا أساسيًا في حياته، وأمرًا واقعًا، عليها التعايش معه. لذلك حين أخبرها بالأمس أنه طلّقها

شعرت بسعادةٍ غامرة، سألته بارتياب لتتأكد:

- صحيح إنت طلقتها زي ما قلتلي إمبارح ولَّا كنت سكران؟

فتح الدولاب ليأخذ بشكيرًا وهو يجيبها:

- آه، طلقتها يا شروق.. بس متفرحيش أوي كده لأني بالتأكيد هتجوز عليكي تاني.

تبدَّلت تعابير وجهها إلى العبوس مرة أخرى وانقبضت أساريرها قائلة له بحدة:

- ومين قالك إني هوافق؟

ردَّ عليها بحدة أكبر:

- ومين قالك إني منتظر موافقتك؟ وبعدين انتي ناقصك إيه؟ كل حاجة عندك..

نهضت ملتقطة سيجارة من علبتها:

- وأنت كمان ناقصك إيه عشان كل فترة ألاقيك متجوز واحدة جديدة عليَّا؟

- ناقصني؟!! - أطلق ضحكة ساخرة - لا من ناحية ناقصني فأنا ناقصني كتير، مجرد فكرة إني أعيش معاكي وأكون

مُطالَب كلّ يوم أرجع بيتي ألاقيكي دي فكرة صعبة حتى إني أفكر فيها أو أتخيلها. إحنا حياتنا واقفة بقالها كتير يا شروق. وأنا محتاج لراحة وحب وعشق، محتاج أعيش الحاجات اللي فاتتني في أجمل سنين عمري اللي قضيتها في بناء اللي أنا فيه دلوقت. وكل الحاجات اللي محتاجها مش عندك يا شروق. فهمتي ولّا أقول تاني؟!

ألقت السيجارة والولاعة على الأرض ثم نهضت قائلة له بصوتٍ عالٍ:

- أنا معملتلكش حاجة تستاهل إنك تتجوز عليا، أي مشاكل بينّا نقدر نقعد مع بعض ونحلّها. لكن مش هسمح بالمهزلة دي تاني، ولو كنت بوافق قبل كده عشان كنت بحبك، لكن مش هسمح تاني بالموضوع ده، لو اتجوزت عليا طلقني قبلها.

التفت إليها بعينين مرتخيتين ولم يجبها بكلمة ثم دخل الحمَّام.

***

في إحدى أفخم العمارات المُطِلّة على شاطئ الإسكندرية، الدور الثاني عشر. خرج الرائد عادل مهدي من الحمَّام فوجد سلمى زوجته ترتدي ملابسها ويعلو ملامح وجهها الشر،

حاول تلطيف الجو معها كي تتراجع عن قرار مُغادرتها المنزل خوفًا من عواقب يعلمها جيدًا، ليس فقط منها، ولكن أيضًا من والدها، رجل الأعمال الشهير ونائب مجلس الشعب السابق، عامر قنديل.. بعدما انتهت سلمى من ارتداء ملابسها وقفت أمام المرآة تنظر إلى وجهها الذي يحمل بصمات أصابعه، بعدما فقد صوابه وانهال عليها بالضرب منذ قليل.

- أنا يا عادل يا مهدي..؟! أنا سلمى عامر قنديل.. بتضربني؟! أنا هخليك متسواش في سوق الرجالة حاجة، وحياة بابي وحياة رحمة مامي لأخليك مُسخة ونكتة يضحك عليها كل الداخلية، مش في إسكندرية بس ده في مصر كلها.

تخلّى عن كبريائه وإحساسه بذاته واقترب منها مُحاولًا تهدئتها، رغم أنه يعرف جيدًا أنها طالما وصلت إلى هذه الدرجة فلن تجدي معها أي محاولة. شعرَ حينها أنه في مأزق؛ لو ذهبت إلى والدها وأخبرته بما حدث سوف تضطرم نيرانه وتتأجج، ولن تهدأ إلا حينما يحترق بهذه النار. وتلك ليست أي نار، إنها نار عامر قنديل المُستعرة!!

اقترب منها مُتوسِّلًا:

- ممكن تهدي؟ إنتي عارفة إنه مكنش قصدي، بس برضه مكنش يصح تنزلي صورك على الفيسبوك بالمايوه.

- والله؟.. طب ما كل الناس بتشوفني بيه عادي على الشط.

- أيوه على الشط حاجة وعلى الفيسبوك حاجة تانية، خصوصًا إنك عملاها على العام، وأصحابي ممكن يدخلوا يشوفوها، ومنهم اللي هيحفظ الصور على موبايله ويوروها لبعض، هيكون شكلي أنا إيه ساعتها؟!

- أيوه قول كده من الأول.. شكلك.. أهم حاجة شكلك، مش خوف عليًّا حتى أو غيرة أو نخوة. وده لأنك مش راجل.

- تاني؟!! بتعيديها تاني؟..

- آه تاني وتالت وعاشر.. أنت.. مش.. راجل.. ولو راجل بصحيح اضربني تاني.. ولو عندك كرامة طلقني.

شعر حينها أنه عاجز أمامها، وكرامته تُهدَر نصب عينيه. لم يفلح في تهدئتها، فتركها تُكمِل ملابسها وتذهب إلى والدها وليكن ما يكن. وعليه الآن أن يستعد لما هو آتٍ. وأن يؤهل نفسه لبوابات الجحيم التي ستُفتَح عليه، بعدما يعلم والدها أن ابنته ضُرِبَت. ما إن انتهت من ارتداء ملابسها حتى خرجت وصفقت الباب وراءها، بينما هو دخل المطبخ ليعدّ فنجان قهوة يشربه مع سيجارة. ثم نزل بعدها وذهب إلى القسم. ظل جالسًا في مكتبه وقتًا طويلًا دون أن يتحدث

إلى أحد، وحتى لو مرَّ عليه أحد زملائه يلقون عليه التحية فيبادلهم إياها سارحًا شاردًا، في تلك الحال التي وصل إليها، وذلك النَّسب الذي كان يظن في البداية أنه سيدر عليه بالمال الوفير والنفوذ القويّ، ظنَّ أنه بعدما يستغل نفوذ والد زوجته سيعيش سعيدًا، إلا أنه بعد ذلك اكتشف أنه أسيرٌ لكل ما حصل عليه منهما، يحيا حياة العبودية ولا يتمتع بحريته الكاملة، فلكل شيء ثمن. كان يريد المال والنفوذ، وها هو قد امتلكهما بالقدر الكافي، لكن المقابل كانت كرامته التي يجب التخلّي عنها. ليس أمامه خيارٌ ثانٍ.

نعم، يبدو أمام الناس "عادل باشا مهدي" رائد الشرطة الذي لا يهاب أحدًا. لكنه بينه وبين نفسه عبدٌ مُقيّدٌ، مسلوب الإرادة، لا يستطيع رفع صوته في بيته. تساءل بينه وبين نفسه لماذا ثار الآن حينما رأى صورها على حسابها في الفيسبوك. هل ثورته تلك بسبب بقايا نخوة وشوائب رجولة راكدة في قاع كرامته؟ أم إنه كما قالت سلمى، ابنة عامر قنديل الوحيدة، والذي على أتم استعداد أن ينهي ببساطة حياة أي شخص يضايقها أو يتعرض لها. قطعَ شروده هاتفه الذي رن، نظر إلى الشاشة فوجد أن المتصل..

عامر قنديل

***

خطف كريم سحاب آخر رشفة من قهوته حين اتصل به سائقه ليخبره أنه قد وصل وينتظره أمام باب الفيلَّا، ارتدى ساعته والتقط مفاتيحه وسجائره ونزل، وجد أولاده يلعبون في الحديقة، ولد يدعى مصطفى وبنت أصغر منه بعامين تدعى زينة، ما إن لمحاه حتى أقبلا عليه مهرولين، ضمهما في حضنه وظل يقبِّلهما، سأله ابنه عن وعده له لكنه لم يتذكر فطلب منه أن يذكره بما وعده به، فقال له ابنه:

- إنت مش كنت واعدنا يا بابا إنك تخرجنا؟

- يا حبيبي الأيام دي مشغول جدًّا والله، وبعدين ما هي ماما بتخرجكم؟

- لا إحنا عاوزينك تخرج معانا إنت كمان.

- حاضر.. شهرين تلاتة وموجة كورونا دي تخلص أو حتى تهدا وهنروح المالديف أو أي بلد تحبوها. اتفقنا؟

هز رأسه موافقًا، ثم كرَّر نفس السؤال على ابنته التي فعلت نفس الشيء، احتضنهما مرة أخرى مُغمِضًا عينيه متأملًا حضنه لهما، فهما أكثر شيء يحبه في هذا العالم. ولأجلهما يفعل أي شيء. نهض مُشيرًا إلى الخادمة التي هرولت إليه، نبّه عليها أن تهتم هي وباقي الخدم بنظافة البيت والاهتمام بالتعقيم أولًا بأول. فأومأت برأسها طائعة لأوامره، قبَّل

أولاده مرة أخرى ثم ألقى نظرة إلى شباك غرفة النوم الذي تقف وراءه شروق وتنظر إليه بعينين مغرورقتين دون أن يراها. ركب بعد ذلك سيارته طالبًا من السائق أن يقله إلى كايرو فيستيفال بالتجمع الخامس فوجد صديقه المهندس محمود ينتظره هناك وقد أحضر فنجانين قهوة اسبريسو. صافحه صديقه قائلًا:

- كنت عارف إنك هتيجي في ميعادك عشان كده طلبت لك القهوة بتاعتك بالمرة عشان منقومش كل شوية.

- عامل إيه يا باشمهندس؟ عام سعيد عليك وعلينا إن شاء الله.. واحشني والله - اهتز الهاتف في جيبه - ثواني.. أشار له كريم أن ينتظر ليردّ على مدير التسويق الذي يتصل به كي يخبره أنه سيتعاقد مع شركة دعاية جديدة، لكن كريم ابتدر المكالمة بتوبيخه:

- قبل ما تكلمني عن حملات الدعاية الجديدة في حاجة عاوز أعرفها يا سِيد أمهم.. أنا إمبارح وأنا راجع من الحفلة لقيت يافطتين مطفيين في طريقي على محور المشير، إيه يا معلم مش أنا قلت تتابعوا اليفط بتاعتنا أول بأول وتتأكدوا إن كلهم شغالين زي الفل؟.. إنت عارف اليفط المطفية دي لو كانت شغالة كانت ممكن تجبلنا كام عميل وتقفل لنا كام صفقة بيع؟.. ماشي أما نشوف. مع السلامة.

وضع هاتفه على المنضدة أمامه والتقط سيجارة من علبته وأشعلها ليكمل كلامه مع صديقه الذي لاحظ أن مزاجه ليس على ما يرام، سأله عن سبب هذا فأخبره كريم أن حياته ليست مُرتبة بالشكل الذي كان يأمله. فبعد أن انفصل عن تلك المذيعة المشهورة أصبح مزاجه مُضطربًا، ليس لأنه يفتقدها، ولكن لأنه أصبح مرغمًا على العودة إلى زوجته الأولى كلَّ ليلة. رغم أنه يملك عدة شقق في أماكن مُختلفة بمشاريعه، بالإضافة إلى الفيلّا الخاصة به فقط. لكنه لا يحبذ الوحدة كثيرًا، لا يحب أن يبيت في أي مكان وحيدًا، يجب أن ينام وبجواره امرأة، حتى لو لم يشعر ناحيتها بأي شيء مثل شروق.

قبل أسبوع كان متزوجًا من إحدى أشهر المذيعات ومقدمات البرامج في مصر، امرأة فائقة الجمال، لم تكن الأولى التي تزوجها على زوجته، ولكنها كانت أكثر امرأة كان يشعر معها بالراحة. سأله صديقه عن سبب انفصاله عنها رغم أنه من حكاياته شعر أنه يحبها، فأخذ كريم رشفةً من قهوته وسحبَ بعدها نفسًا من سيجارته ثم أجابه متهكمًا: - محدش هيحس بيا غير واحد مر باللي مريت بيه..

سأله صديقه: أنا برضه مش لاقي سبب يخليك تسيبها؟

- حسيت إني لوهلة هتسحل في التزامات مش قدها، وهي

عاوزة نعلن جوازنا واتفاقنا من الأول مفيش إعلان.. وده معجبهاش.

- طب إنت خايف ليه من إعلانك جوازكم؟ هو في حد يحب يخبي الجمال ده ويخليه في السر؟

- جمال ايه بس؟ أنا مبقتش أنبهر بالكلام ده.. أنا عاوز أعيش حياة هادية، مستقرة، وإعلان جوازي منها هيضرني أكتر ما يفيدني.

- ليه؟ مش مراتك الأولى عارفة؟ سأله صديقه، أطفأ كريم سيجارته وهو يجيبه:

- أيوة عارفة لكن لو أعلنت هي كمان هتضر، ضررها ميهمنيش أكتر من ضرري عمومًا. وبعدين شروق بدأت تمل من موضوع الجواز عليها.. وهددتني إنها تطلق. وأنا مش عاوز كده، عاوز ولادي يعيشوا في بيت أبوهم وأشوفهم في أي وقت.. مش بمواعيد في نادي دجلة بناء على قرار محكمة.

قاطعه صديقه:

- لا وكمان في حاجة تانية.. لو اتطلقتوا هتخيطك في المصاريف والنفقة وهتنط لك كل شوية وتخترع لك مصاريف كتيرة. ده غير اللي هتقوله عليك في غيابك

وممكن يوصل للصحافة..

- تقول اللي تقوله ميهمنيش. وأي فلوس تخدها على الجزمة، مش ده اللي شاغل بالي.. زي ما قلتلك، ولادي هما اللي بفكر فيهم. عاوزهم يطلعوا أسوياء.

قطع حديثهما هاتفه الذي أهتز مرة أخرى، وكانت شروق لتستأذنه أن تأخذ سيارته الهامر رباعية الدفع لتذهب بها إلى النادي الأهلي مع الأولاد. فأذن لها مُوافقًا ثم أغلق المكالمة ليجيب على مكالمة أخرى في الانتظار، وكانت سكرتيرته تخبره بإلغاء اجتماعه مع مدير الشؤون القانونية لأنه لن يحضر الاجتماع بسبب تشبثه بالاستقالة. فسبه بأقذع الشتائم وطلب منها أن تحضر ملفه ليوافق على استقالته، أغلق المكالمة ثم استطرد حديثه مع صديقه ليسأله عن محامٍ ماهر لشركته. بحيث يكون على معرفة وثيقة به فأخبره أنه لا يملك ترشيحًا لأحد، لكنه سوف يسأل بعض أصدقائه وسيخبره لو وجد شخصًا مناسبًا. رن هاتفه مرة أخرى فأجاب مُنفعِلًا: - مالك يا ابتسام ما تقولي كل حاجة مرة واحدة مش كل شوية تتصلي كده انتي مش مراتي!!

- أنا آسفة بس شركة الدعاية الجديدة رفضوا العرض بتاعنا وعاوزين تلاتة مليون وسبعوميت ألف.

- ليييه.. ليه ليه ليه؟ هينزلوا يبيعوا مكانًا مثلًا؟

- للأسف ده اللي قالوه.. الدعاية والموديلز والتصوير بتلاتة مليون، ده في حالة لو اللي هيعمل الإعلان سمر شعيب، لكن لو أي موديل تانية ممكن العقد يكون تلاتة مليون بس. ها.. أرد عليهم أقول إيـ...

قاطعها ناهضًا: - ثواني ثواني.. إنتي قلتي مين؟ سمر شعيب؟ تقصدي سمر شكري شعيب؟ البت الحلوة دي؟

أجابته ممتعضة:

- آه البت الحلوة دي.

انطلقت منه ضحكة قائلًا:- طب اقفلي ولما آجي هنشوف الموضوع دة.

أغلق المكالمة وقد ارتَسَمت على مُحيّاهُ ابتسامة، عاد إلى الوراء أحد عشر عامًا، مُتذكرًا حين رآها لأول مرة في الكلية ولم ينسَها أو ينسى سحرها وبهاءها في ذلك اليوم، كان في الفرقة الرابعة بينما هي كانت في الدفعة الجديدة. في هذا اليوم كان جالسًا في مدرج حقوق مع شروق التي كانت تدرس في كلية الآداب حينئذٍ. عندما رأى سمر تدلف المُدَرَّج لفتت انتباهه وأيقظت كل حواسه، رغم أن شروق لا تقل جمالًا عنها، لكن الفرق بينهما أن سمر تتقن جيدًا لفت انتباه أي شخص دون بذل أيّ مجهود. ورغم إعجابه بها، ورغم أنه

كان يختلس النظر إليها بين حينٍ وآخر، لكنه لم يحاول التحدث إليها مُطلقًا، لماذا؟! هو نفسه لا يدري لماذا؛ هل لأنها فائقة الجمال وسترفض الارتباط به لأنها قد تكون مرتبطة بشخصٍ آخر ولم يشأ أن يحرج نفسه؟ ربما. هل لأنه لم يملك الطاقة الكافية التي تجعله يطاردها إلى أن يوقعها؟ ربما. هل لأن شروق تطارده دومًا ولا تعطيه فرصة لشرب كوب ماء دون ملازمته. ربما.. وربما كل ما سبق!

هز رأسه وابتسم مُتذكرًا أجمل فتاة رآها في عمره.. سمر شكري شعيب، والتي كانت في نفس الوقت - دون أن يدري - على بُعد مائة وثمانية عشر مترًا منه، تركن سيارتها أمام مطعم مُجاور. لتقابل أحد المنتجين الذين عرضوا عليها تصوير موسمين لبرنامج عن الموضة على قناة فضائية مشهورة، كل موسم عبارة عن عشر حلقات.

ما إن جلست حتى جاء صاحب المطعم بنفسه ليصافحها ويطلب منها أن يأخذ معها صورة فوافقت، ثم طلبت منه ألا يزعجها أحد. جلست بعدها مع المنتج الذي عرض عليها عشرة ملايين في الموسم لكنها رفضت قائلة:

- حضرتك أنا قلتلك في التليفون ١٣ مليون، وقابلتك النهارده على أساس إننا اتفقنا على الأجر خلاص وعلى أساس إننا هنتكلم في تفاصيل تانية في العقد.. لكن إني أنزل

بنفسي وأقابل حضرتك عشان تفاصل معايا فأنا آسفة وبعتذر لك ومكنتش أحب أتحط في الموقف ده، لكن مش هقدر أنزل لو حتى ألف جنيه.

قالتها ونهضت، فنهض الرجل مُتوسلًا إليها أن تجلس مرة أخرى ليستكملا كلامهما، فجلست على مضض.. صمت قليلًا ثم استطرد كلامه عارضًا عليها الزواج، مقابل أي شيء تطلبه. فسكتت لثوانٍ تتأمله بتعابير لا تحمل أي معنى وتتبصر كلامه، وتتخيله كزوجٍ لها يعيش معها ويكوِّنان مع بعضهما البعض حياة، مسحته بعينيها سريعًا، ورغم وسامته ووجاهته وشجاعته على طلبٍ كهذا مباشرة، لكنها بعدما تفحّصَته جيدًا، أدركت أنها لا تستطيع تخيُّله كزوجٍ أو كحبيبٍ أو حتى كرجلٍ سوف ينام بجوارها كل يوم ويمارس معها الحقوق الزوجية. فابتسمت له ابتسامة صفراء وأخبرته أنها سوف تفكر وترد عليه بعد يومين، ثم نهضت وهي تعلم ما سوف تقوله له بعد يومين، كما تعلم أيضًا أن عقد البرنامج في الأغلب قد تم إلغاؤه ولن يكتمل.

في المرات القليلة التي تجرأ فيها رجل وتقدم لها طالبًا الزواج منها، لم تحتج سوى أقل من دقيقة، تتأمله فيها وتمسحه بعينيها فتتخيله كما فعلت الآن مع هذا المنتج، فتجد أنهم لا يصلحون، وترفض. لم تجد ذلك الرجل الذي لا

تستطيع رفضه، لا تستطيع أن تعطي الفرصة لتفكر حتى في الأمر، وكثيرًا ما تهز رأسها في أسى مُتسائِلة: هل هذا الكوكب ليس فيه شخص توافق عليه منذ اللحظة الأولى..! لماذا لم تقابل هذا الرجل إلى الآن. وإن كانت سوف تقابله.. فمتى؟!

هذا ما كانت تستطيع قوله قبل ربع ساعة من الآن، لكن بعدما وضعها كريم سحاب في عقله وتفكيره، سيكون الوضع مُختلِفًا حتمًا، رغم كل النساء اللائي أنشأ معهن علاقات عابرة أو حتى تزوجهن، لكنه شعر تجاهها ما لم يشعر به فيهن جميعًا، ما هو؟! هو لا يعلم بالضبط، لكنه شعر بهذا الانجذاب الذي لا يستطيع مقاومته، نفس الانجذاب الذي انتابه حين رآها لأول مرة في الجامعة، وهذا الانجذاب لم يشعر به من قبل سوى الآن. فالأمر مع سمر شعيب شيء آخر..!

كثرة علاقات كريم سحاب ليس الشيء الذي يفتخر به أمام أصدقائه أو حتى أمام نفسه، في قرارة نفسه لم يرغب في أن يكون كذلك على الإطلاق، بل يريد أن يكون ذلك الرجل المُخلِص لزوجته وبيته وأولاده، ويعلم جيدًا أن ثراءه الحالي ليس السبب في علاقاته تلك كما يقول البعض؛ أن الرجل حين يجري القرش في يديه أول شيء يبحث عنه امرأة أخرى. ولكن السبب في ذلك هو أنه بالفعل يفتقد

الراحة مع شروق زوجته، والتي حاول معها كثيرًا أن يعطيها فرصة ويعطي لنفسه الفرصة أيضًا أن يعيش معها حياة سويّة هادئة، لكن سرعان ما يجد منها تصرُّفًا ما يقلب مزاجه ويجعله لا يطيق القرب منها أو حتى النظر إليها، فيذهب إلى إحدى الغرف لينام فيها بعيدًا عنها. ولذلك هو دائم البحث عن كل ما يريده ويجعله شاعرًا بالراحة. وكثرة علاقاته لا تزعجه، ولم تجعل منه ذلك الرجل الذي يضيّع ما يملك في علاقاته. فهو يمتلك الحكمة الكافية لوضع كل شيء في مكانه، ورغم كثرة علاقاته تلك لكنه ناجحٌ جدًّا في عمله ويعطيه أكثر مما يحتاج. ولا يسمح مُطلقًا أن يجعل أي شيء، مهما كان، أن يؤثر على عمله وإمبراطوريته التي بناها ومستمرٌ في بنائها وتطويرها وتكبيرها.

في مساء ذلك اليوم، بعدما انتهى من اجتماعه مع المستشارين العقاريين الإماراتيين، دخلت عليه ابتسام سكرتيرته وقد بدا على ملامح وجهها أن هناك خطبًا ما ليس سارًا، أشار لها برأسه أن تقول ما عندها، فأخبرته أن شركة سمر شعيب قد اتصلوا منذ قليل واعتذروا عن التعاقد معهم، لأنهم تلقوا من شركة عقارية مُنافسة عرضًا آخر بأجرٍ أكبر. زمَّ شفتيه ثم طلب منها أن ترتب معها موعدًا لاجتماع لمناقشة هذا الأمر. بالإضافة إلى جمع كل المعلومات المُمكِنة عن سمر شكري شعيب، ثم أشار لها أن تخرج. وما إن خرجت

ابتسام حتى فتح بنفسه صفحة جوجل ليكتب فيها اسمها لتظهر عدة صور لها فأخذ يمتع نظره وحواسه بالنظر إليها مبتسمًا.

كان ذلك في نفس الوقت الذي دخلت فيه سكرتيرة سمر شعيب ومعها بعض الملفات:

- دي حضرتك يا أستاذة سمر عقود اليومين اللي فاتوا، وده ملف الفحص الضريبي، بالإضافة إننا اعتذرنا لعميلين، عيادة الألفي للتجميل بتاعت د. عصمت الألفي، وشركة سحاب بتاعت كريم سحاب. حاجة تانية يا افندم؟

- لا شكرًا. قالتها وقد شعرت أن اسم كريم سحاب هذا قد مرَّ عليها من قبل، أين؟ متى؟ لا تعلم ولا تستطيع التذكر بالتحديد، فتحت صفحة جوجل وكتبت اسمه، فشهقت حين رأت صورته وتذكرته، قد تغيّر تمامًا عما كان عليه في الجامعة. أخذت تتصفح أخباره والأخبار المنشورة عنه، مُتذكِّرة ذلك اليوم حين أقبل عليها في المدرج وعرض عليها أن تأتي معهم في رحلة للعين السخنة، قطعت تفكيرها سكرتيرتها التي دخلت مرة أخرى لتذكرها بموعد اجتماع مع مدير تسويق شركة التطوير العقاري البديلة، فهو ينتظر بالخارج، فطلبت منها أن تدخله غرفة الاجتماعات ونهضت ملتقطة حاسوبها الشخصيّ، بعدما أغلقت الصفحة التي

تعرض أخبار كريم.

في نفس الوقت النادي الأهلي فرع التجمع الخامس

همَّت شروق الشيمي لتنهض مُلتقِطة مفاتيح سيارتها فألحت عليها صديقتها أن تبقى قليلًا:

- مالك يا شروق مستعجلة كده ليه؟ إنتي لحقتي قعدتي معانا يا بنتي؟

- كل ده ومقعدتش؟! - رمقت ساعة هاتفها - إحنا بقالنا ساعتين أهو والأولاد خلصوا تمرين ولازم أرجع ورايا لسه مشاوير كتير.

- وراكي إيه يعني؟ - قالتها وهي تمسك مرفقها وتستطرد بلؤم - ولَّا عشان حبيب القلب طلّق المذيعة اللي ما تتسمى وخلاص بقى فاضي لك؟

- يفضالي؟! قالتها بتهكم.. وإنتي فاكرة إنه هيقعد ساكت؟ ده هو دلوقت بيفرك وأسبوع بالكتير وهتلاقيه متجوز وسخة جديدة. لكن خلاص أنا قررت إنه يوم ما يعملها مش هستنى ثانية واحدة على ذمته.

- تبقي عبيطة.. بقولك إيه ما أنا جوزي متنيل متجوز عليا، وكلنا إجوازتنا متجوزين علينا، بس أنا استحالة أطلب منه

الطلاق.

-...

- أيوه طبعًا.. انتي عاوزة تسيبي للجديدة كل الهيلمان ده؟! وتطلعي إنتي من المولد بلا حمص!! ومتخديش منه غير ملاليم؟

شردت قليلًا ثم سألتها: - أومال أعمل إيه؟

- آديكي على ذمته وعندك منه ولاد ومستمتعة بفلوسه واعملي في نفس الوقت كل اللي نفسك فيه.. مش لازم أفسرلك.. غمزت لها.

شهقت شروق مشدوهة: - يا نهار أسود..!! أخونه؟ لالالا طبعًا إنتي اتجننتي؟ لا دي أخلاقي ولا تربيتي واستحالة أعمل كده.

- خلاص يبقى على الأقل أديكي عايشة في خيره، أهم حاجة ميخلفش من غيرك. وطول ما انتي على ذمته متقلقيش من حاجة، على الأقل لو بعد عمر طويل هتورثي انتي وولادك.

زمّت شفتيها تفكر في الأمر لثوانٍ ثم استأذنتها والتقطت مفاتيحها وذهبت معتذرة، متحججة بأن وراءها عدة

مشاوير لا تحتمل التأجيل.

***

الإسكندرية..

فيلّا النائب عامر قنديل

جلس عادل مهدي على الكرسي مُنكسِر النفس، مُبلّلًا مُرتجفًا مما سيلاقيه من حَمِيه عامر قنديل، الذي تركه هكذا في الأسفل لمدة ساعة ونصف حتى منَّ عليه في النهاية ونزل له ثم جلس أمامه لدقائق دون أن يتكلم أو تصدر منه ولو نأمة، يتفرّس في ملامح وجهه بعينين ثابتتين، بينما كان عادل رابضًا أمامه مُتعرِقًا مُطرِقًا من هيبته وجلاله، لا يستطيع النظر إليه إلا خِلسة، خوفًا من أن تتلاقى عينيه بعيني حَمِيه الذي ظلَّ هكذا مُحدِقًا فيه إلى أن ابتدر كلامه بصوتٍ أجش:

- لما وافقت في الأول إنك تتجوز بنتي كان عشان بتحبك، رغم إني مكنتش مقتنع بيك، كنت شحات وخليناك بني آدم ونقلتك أحسن حتة في الداخلية.. بعد كل ده تعمل كده في بنتي؟ تضربها؟!!

ابتلع ريقه بصعوبة مُحاولًا الرد عليه لكن الكلام حُشِرَ في حلقِه، جاهد بصعوبة حتى استطاع إخراج الحروف من بين

شفتيه أخيرًا وأقسم له إنه لم يكن يقصد أن يهينها أو يمد يده عليها، كل ما هنالك أنه كان مضغوطًا، وحينما رأى صورها بالبكيني ثارت ثائرته، ورغم ذلك تحدَّث إليها بهدوء مُعاتِبًا، لكنها ردت عليه بتبجُّح، بل وأهانته، فلم يستطع حينها أن يتمالك أعصابه وصفعها. نهض حينها عامر قنديل مُحتَقِن الوجه مُنفعلًا:

- مهما بنتي عملت.. مش هسمح لأي مخلوق.. أيًا كان.. إنه يمد إيده عليها، طب أنا دلوقت مُنفعِل ومش قادر أتمالك أعصابي – دسَّ يده في جيبِه وأخرج مُسدسًا ماركة سيج سوير P226 ثم نهض واستكمل كلامه غاضبًا مُنفَعِلًا مُوجِهًا فوهة مسدسه نحوه – تحب دلوقت أفرتك دماغك؟

انتفض عادل من مكانه مُقتربًا منه راكعًا، أمسك يده يُقَبِّلها مُستجديًا الصفح والمغفرة، ظلَّ يعتذر طويلًا حتى كاد أن يبكي، إلى أن تجرّع عامر قنديل غُصَص غيظه قليلًا وهدأ، قائلًا له إنه لن يصفح عنه إلا بعد أن تصفح ابنته أولًا، فاستأذنه عادل - بابتسامة مُنكسِرة مُجبر عليها – أن يصعد إليها ليعتذر لها. كانت جالسة على سريرها ولم تلتفت إليه حين دخل عليها، اقترب منها مُحاولًا بشتى الطرق أن تغفر له وتنسى ما فعل، وبعد حوالي ربع ساعة من الإلحاح وافقت على مضض. ولكن بشرط.. بدا كغريقٍ تشبث بثمامةٍ، قائلًا لها

أنه على أتم الاستعداد لفعل أي شيء تطلبه منه وتأمره بتنفيذه، مَدَّت إليه يدها بالهاتف وطلبت منه، آمرة، أن ينشر بنفسه آخر صور لها مسجلة في الهاتف. تفصَّد عرقًا من طلبها هذا، مُرتعِدًا من نظرتها المُصوَّبة إلى عينيه، أخذ منها هاتفها دون تردُّد، مُلقيًا بكرامته في سلة المُهمِلات التي بجواره، ضغط على زر نشر واختار آخر صورتين لها وكانت ترتدي فيهما مايوه، ليس قطعة واحدة كما في المنشور الذي تشاجرا بسببه، ولكن قطعتين، يظهر جسدها أكثر وأكثر.

أمسك الهاتف مبتسمًا ثم نظر إليها متهكمًا لثلاث ثوانٍ قبل أن يبصق على وجهها، وألقى بالهاتف في الأرض ليتحطم ثم نهض وشتمها بأقذع الشتائم، دخل أبوها مندهشًا مما فعله فبصق على وجهه هو الآخر ثم وقف فوق المنضدة قائلًا بصوتٍ عالٍ إنه لن يهدر كرامته مرة أخرى، فلا شيء في هذا العالم يساوي متعة العيش بكرامة ونخوة وكبرياء. وألقى عليها يمين الطلاق ثلاث مرات

إنتي طالق

طالق

طالق

ارتعش فجأة واستفاق مُنتبِهًا فسألته عما كان شاردًا فيه،

فابتلع ريقه وأومأ رأسه بالنفي أنه لم يكن شاردًا في شيء، حينها تساءل في قرارة نفسه هل المال والجاه والسلطة والنفوذ يستأهلوا أن يكونوا ثمنًا للكرامة والنخوة والكبرياء؟! انبثق منه شخص آخر ليجيبه ببساطة أن نعم، يستأهلوا. والأمر يستحق أن يسحق كرامته تحت حذاء زوجته ووالدها كي يعيش أمام الناس بالشكل الذي يرضيه، وعلى أيّ حالٍ لا أحد يرى ما يحدث بينه وبينهما، وطالما لا يستطيع أن يفعل معهما سوى ذلك، وطالما مُجبرٌ على كل هذا وليس قادرًا على مقاومتهما ومواجهتهما، فالأفضل له على الأقل أن يستمتع بما يفعله.

الحوجة وحشة..!

قالها لنفسه مُبتسِمًا، ثم سألها إن كانت تريد أن يكتب شيئًا على الصور قبل نشرها؟ فأجابته بالنفي وقد شعرت حينها بالراحة والسكينة، تطلّع إليها بنفس الابتسامة المنكسرة ثم ضغط على زر النشر. أخذت نفسًا عميقًا مُنتشية بانتصارها عليه، وممارسة ساديَّتها فوق شاربه الكث. أمرته بعد ذلك أن يسبقها إلى المنزل وسوف تلحق به بعد ساعتين..!



كازينو عمر الخيام فندق ماريوت القاهرة

في القاعة المَهيبة الفاخرة التي تأخذك حين تجلس فيها إلى زمنٍ آخر، والأضواء الصفراء الخافتة التي تضفي على الديكورات الساحرة بهاءً ورواء، وبينما أوشكت المقطوعة الموسيقية One Man's dream للساحر Yanni على الانتهاء، اجترع كريم كأس الويسكي الرابع، مُنتظرًا سكرتيرته التي أقبلت عليه مُبتسِمةً ابتسامةَ ظفر، فأدرك حينها أنها – كالمعتاد - استطاعت جلب ما طلبه منها على أكمل وجه، وكما قال المثل "اللي بيفهم بيريّح" لذلك لم يبخل عليها قَط، فهو يعتمد عليها في كل شيء، مُتأكدٌ تمام التأكد أنها ستكون عند حسن ظنه، الصفة الأهم فيها أنها تستطيع جيدًا أن تفصل في تعاملها معه بين كريم سحاب مديرها المباشر ورجل الأعمال المعروف، وبين كريم سحاب، الرجل الذي قابلته يومًا ما في الإسكندرية وكان فقيرًا مُعدمًا لا يملك شيئًا. وبدأت معه من الصفر، حينها ظنت لوهلة أنه حتمًا سيحبها مع الوقت، وبعدما يجتازان الصعاب سويًا سيطلب يدها ويتزوجها، هذا هو التطور الطبيعي والمنطقي لعلاقتهما من وجهة نظرها، فهي تملك كل المقومات التي تجعله هو أو أي رجل آخر يحبها. أو على الأقل تملك أهم شيئين؛ الجمال والذكاء. ظلّت هكذا لفترةٍ طويلة، متوقعة – باطمئنان - أنه سيطلب منها الزواج حتى لو عُرفيًا، فالمسألة مسألة وقت ليس أكثر، لكن ما حدث هو أنهما وصلا إلى

نقطة ما، ابتعد فيها عنها واتسعت أحلامُه كما اتسعت دوائر معارفه. وتزوّج الواحدة تلو الأخرى، وأقام علاقات كثيرة مع أنواع مختلفة من النساء، لم تسخط وتعاملت مع الأمر بحكمة، يكفي أنها تعلم قيمتها في حياته، المهم لديها ألا تفقد الأمل. فالمسألة في نظرها بالتأكيد.. مسألة وقت. وآجلًا أم عاجلًا سيدرك أخيرًا أنه يحتاجها في حياته كابتسام أخرى غير تلك السكرتيرة.

حين يكونان مع بعضهما البعض تملك الصلاحية بأن تزيل أي تكليف بينهما، وتتحدث معه بأريحية دون أيّ ألقاب. لكن أمام الناس فالوضع مُختلفٌ. لم يحتج كريم يومًا ما أن يلفت انتباهها لذلك لأنها تدركه جيدًا، وتعرف كيف تعامله. ومتى تتحدث معه بحميمية ومتى تعطيه وضعه ومقامه، والذي يستأهله بالتأكيد.

في أحايين كثيرة يأتمنها على أسرار لا يعرفها أحد غيرها، علاوة على أنه يستشيرها في بعض الأمور الشخصية. تسعون بالمائة من موظفي الشركة يظنون أنها رفيقته، بل متأكدون من ذلك، ولن يصدق أحد أنها ما زالت عذراء ولم يمسها مطلقًا، أو حتى طلب منها ذلك في يومٍ من الأيام، حين تختلي بنفسها وتفكر في ذلك لا تدري هل هذا شيء جيد أم سيئ!! تنظر إلى نفسها في المرآة فلا تجد سوى امرأة

ذات جمال ساحر آسر خلاب، وهذا ليس رأيها فقط، بل رأي كل من يراها. فتسأل نفسها حيرى: لماذا لم ينظر إليّ كريم في مرة من المرات كامرأة؟! لماذا يرى كل نساء الأرض ويأتي عندي فيصاب بالعمى؟! رغم أن لديه علاقات كثيرة، من بينها نساء أقل مني جمالًا. لماذا لم يلتفت انتباهه إليّ بعد كل هذا التفاني؟ لماذا لم يحاول حتى أن يطلب مني أن أرافقه في ليلة من الليالي التي نقضيها خارج مصر، بل يطلب لي جناحًا خاصًا بي بمفردي..! لماذا..!!!

كان أي سؤال تسأله لنفسها ويبدأ بهذه الكلمة، حتمًا يُمزق قلبها ويحيله إلى أشلاء في صدرها، حين تواجه نفسها بهذه الأسئلة لا تعرف هل تبتهج لذلك لأنه يحترمها أكثر من اللازم ولا يراها عاهرة كاللائي يعرفهن، أم تجزع لأنه لا ينظر إليها كامرأة فاتنة بالغة الحسن ولا يشتهيها. تعود لتجيب على نفسها كاذبة أن كل ما في الأمر أنه يحترمها ويراها أغلى من أن يراها كباقي النساء، وبالتأكيد سيتزوجها في يومٍ من الأيام..!

وضعت أمامه الملف فهزّ لها رأسه ممتنًا ثم طلب منها أن تخبره بملخص ما يحتويه، صبّت لنفسها كأسًا وارتشفت منه رشفة ثم ابتدأت كلامها بأهم شيء تعي أنه يريد معرفته، أنها ليست متزوجة. فابتسم حينها ثم أردفت بأنها تعيش

بمفردها ولديها وكالة دعاية وإعلان، وسوف تفتتح قريبًا فرعًا آخر في إحدى الدول العربية، مقبلة على شراكة مع إحدى المحطات الفضائية، لديها ثلاثة إخوة لا تتواصل معهم منذ فترة طويلة، والداها متوفيان و...

توقفت عن الكلام حين لاحظت شروده، مُصوِبًا نظره نحو النافذة، مُتأمِّلًا الشمس وهي تميل عن عرش السماء رويدًا رويدًا، لوّحت له بيدها كي ينتبه لها فلم يفعل، سألته إن كان يريد منها أن تستكمل كلامها، فرد عليها بسؤالٍ مُستطرِدًا:

- تفتكري هي ليه رفضت عقدنا يا ابتسام؟

- بص هو بصراحة إحنا قدمنا لها عرض حلو، لكن سمر كل يوم شركتها بتكبر، وقاعدة عملائها بتزيد، بالتالي أجرها بيزيد. عمومًا أنا خدت منها ميعاد للاجتماع بكرة عندها في الشركة.

- طب تفتكري نقدملها عرض تاني أعلى في الاجتماع؟

- معتقدش إنه من الحكمة نعمل كده يا كريم.. إحنا في أيام سودا وأصلًا كده كده الدنيا مش تمام، وموضوع كورونا ده أعتقد إنه هيطوّل شوية.. أنا شايفة بدال حملة التليفزيون نشتغل سوشيال ميديا ومش هنصرف ربع القيمة. إحنا اللي محتاجينه أكتر موظفين مبيعات ونطور

في الـ...

شرد كريم عنها مرة أخرى حتى اختفى صوتها تدريجيًا ولم يعد يسمعه، أدام النظر من النافذة إلى أبراج البنك الأهلي والكونراد والنايل سيتي، برغم كل ما حققه لكنه ما زال يحلم بأن يشيّد يومًا ما أعلى ناطحة سحاب على كورنيش نهر النيل، تخيّل مُبتسمًا أنه استطاع فعل ذلك وفي يوم الافتتاح كانت سمر واقفة بجواره. شعرت ابتسام بشروده فاستوقفت كلامها مرة أخرى:

- إنت مش معايا خالص يا كريم.. انتزعته من شروده فأجابها كاذبًا أنه سمع كل ما قالته، كان ذلك حين لمح من وراء كتفها رجلًا مديد الطول ذا هيئة مهيبة؛ عمر البطاوي، آتيًا من بعيد مُبتسمًا، شارعًا ذراعيه بانتشاء، تأفف كريم حينها مُتمتمًا بصوت خافت: "آه طبعًا أنا عارف إنك مش هتحلّني ومش هتسيبني في حالي وهتفرهدني".

أشار لابتسام أن ترحل، فمدت يدها لتأخذ الملف لكنه وضع سبابته عليه فأدركت أنه يريد الاحتفاظ به، تركته ثم استأذنته لتنصرف، في نفس الوقت الذي وصل فيه البطاوي إليهما، صافحها مُقبِّلًا وجنتيها وهو يهمس لها مازِحًا:

- بقولك إيه ما تسيبك من كريم سحاب وتعالي امسكي شركة الإنتاج بتاعتي وبالمرة نتجوز عرفي.

انطلقت منها ضحكة رقيقة:

- بالذمة حد يكون متجوز نبيلة خورشيد بحالها ويبص لأي ست تانية!!

كان كريم يراقب حديثهما بعدم اكتراث مُمسكًا بكأسه، مُتأمّلًا الثلج وهو ينصهر تدريجيًّا، كان ذلك حين قال لها عمر:

- ما هو إنتي برضه مش أي حد.. فابتسمت له مجامِلة ثم استأذنت ورحلت، أمسك كريم بقطعة ثلج أخرى ووضعها في كأسه ثم صب كمية إضافية من الويسكي، وبينما وضع الغطاء على الزجاجة أخذ البطاوي كأس كريم وتجرعه كل ما فيه دفعة واحدة، فقال له كريم ساخرًا:

- مش خايف يكون عندي كورونا؟

- يا رجل.. خليها على الله، كورونا إيه إنت بتصدق الحوارات دي؟!! دي سياسة ولعبة كبيرة بين الصين وأمريكا.

عمر البطاوي، ممثل مصري مشهور، وزوج الممثلة التي لم تزل جميلة رغم تقدمها في السن، نبيلة خورشيد. يعلم الجميع قصة حبهما، وحياتهما الناجحة على كل الأصعدة

سواء من الناحية الفنية أو العملية. عمر البطاوي اثنان وخمسون عامًا، اعتزل التمثل منذ ستّ سنوات بعدما ترك للسينما المصرية والعربية إرثا كبيرًا من الأفلام يقدر بسبعة وعشرين فيلمًا وأربع مسلسلات ومسرحيتين. اختتم مشواره الفنيّ بآخر مسلسل لعب فيه دور البطولة مع زوجته ونجح نجاحًا باهرًا، بدأ يعمل في مجال البيزنس مؤخرًا، ومن خلال زوجته نبيلة خورشيد تعرَّف على مجموعة من رجال الأعمال وبعض الشيوخ الخليجيين.

أثمرت تلك العلاقات عن اتفاق بغسيل ٢٠ مليون دولار لتدخل مصر، تعرف في ذلك الحين على كريم سحاب الذي رأى فيه طموحًا غير عاديًا، وأرضًا خصبة يستطيع أن يحصد منها ما يريد. واتفقا أن يعملا سويًا، وكانت تلك هي البداية الحقيقية لكريم ودخوله في عالم الثراء. لم يعمل مع البطاوي فقط، وإنما أيضًا مع نبيلة خورشيد. والتي طلبت منه ألا يخبر البطاوي بذلك. ربح من ورائها الكثير، علاوة على الليالي التي قضاها معها. أدرك حينها أن ليس كل ما نراه أمامنا على التلفاز حقيقيًا، ووراء كل علاقة تشيد بها الناس، أشياء أخرى غير مرئية. حكت له على بعض تلك الأشياء حينما كانت نائمة في حضنه. مصائب اقشعر بدنه حين عرفها.

في خلال عامٍ ونصف قد انتهى من غسيل أكثر من مائتين مليون جنيه لعمر البطاوي الذي استفاد بالطبع، بعد اعتزاله الفن قام بإنتاج سلسلة من الأفلام والمسلسلات الرمضانية، والتي لم تلقَ رواجًا كما كان مُنتظرًا، فتوالت الخسائر عليه، حينها فكّرَ في أن يعوِّض خسارته تلك، فتواصل مع كريم ليطالبه بحقِّه في كل هذا الجاه الذي يغرق فيه. طالبًا منه سبعين مليون جنيه. الخمسون التي أعطاها له في بداية مشواره، بالإضافة إلى الفوائد، والتي احتسبها حوالي عشرين مليون جنيه. الأمر الذي عكّر صفو حياة كريم الهادئة، وبالفعل رفض ذلك. رفض وهو يعرف جيدًا أن البطاوي لن يسمع كلمة الرفض ويرضى بما سمع ويسكت، ولن يمرر ذلك الرفض مرور الكرام. لذلك توقَّع أنه سيخوض حربًا طويلة ومُرهِقة.. ليس مع الفنان المحبوب عمر البطاوي، وإنما مع الوجه الآخر له، والذي لا يعرفه ولم يرَه سوى القليل.

رأى كريم أن أمامه طريقين لا ثالث لهما، إما أن يبلِّغ عنه، وفي هذه الحالة سينتهي الأمر بالسجن لكليهما، وربما يستطيع البطاوي الإفلات، وحينها سيكون هو المتضرر والخاسر الوحيد.

الطريق الثاني أن يرضى بالواقع ويعطيه السبعين مليونًا

طواعية، لكنها قسمة ظهرٍ كبيرة له، وهذا المبلغ يعتبر جزءًا كبيرًا من ثروته. مبلغًا لا يُستهان به. مبلغًا لو وضعه في مشروع سيدر عليه بأضعافه.

لم يجد طريقًا آخر سوى أن يرفض في البداية ثم يعود ويستمهله إلى أن يبدأ معه مفاوضاتٍ لعلَّه يستطيع تقليص الفارق، إلى أن يصل مثلًا إلى عشرة أو عشرين مليون على أكثر تقدير. ويدفعهم على مراحل خلال عامين أو ثلاثة أعوام، في هذه الحالة لن يشعر بهم مثلما يشعر في حالة تحويل سبعين مليونًا دفعة واحدة.. حاول كريم مراوغته:

- بقولك إيه يا عمر بيه، الفلوس اللي بتطالب بيها دي إنت خدتها قبل كده.. إنت ترضى حد يمد إيده في جيبك وياخد حقك؟

- آه أرضى.. لو عرف.. ونصيحة مني ليك يا سحاب.. بلاش تكسب عداوتي. مش هتستحمل صدقني.

- واضح كده إنك خلاص راحت عليك في السينما ومبقاش يجيلك شغل وفاضي لي.. فقلت ترازي فيا.. مش كده؟

أطرق البطاوي مبتسمًا لثوانٍ بعد أن شعر بالإهانة، ثم هز رأسه قائلًا له باقتضاب:

- الكلام انتهى يا كريم.. خلي بالك من نفسك.

قالها ثم انصرف، بينما جلس كريم غير مكترثٍ بما سمع، تجرع الكأس تلو الأخرى، شاردًا - عبر نافذة الطابق الحادي والعشرين من فندق ماريوت - في الغروب، حين ابتلعت السماء قرص الشمس وبدأ الليل يسري تدريجيًا، ظل هكذا إلى أن شعر بالإرهاق الممتزج بالملل، حينها اتصل بالسائق لينتظره في الأسفل. بعد نصف ساعة كان أمام سريره ليرتمي عليه دون حتى أن يخلع ملابسه.



صباح اليوم التالي

دخل عادل مهدي مكتبه وظلَّ فيه لمدة ساعتين يفكر فيما حدث بينه وبين حَمُيه وزوجته بالأمس.. تمنى لو رنَّ هاتفه الآن ليخبره أحدُهم أنهما لقيا مصرعيهما في حادث. يشعر طوال الوقت أن هذين الشخصين هما من ينغص عليه حياته، فهو يعلم جيدًا أنه بدونهما لن يكون ذا قيمة أو شأن، وأنهما أصحاب فضل عليه دومًا، وهذا ما يلوّحان به له طوال الوقت. لكن ماذا سيفعل! لو قرر أن يطلقها سوف يحرمه والدها من مميزات كثيرة يتمتع بها في عمله، أولى تلك المميزات راحته وحياته المُرفهة كرجل أمن معروف في الإسكندرية داخل أوساط كثيرة. بالإضافة إلى أنه يفعل أي شيء في أي وقت. أول تلك الأشياء هي المخدرات التي

يتاجر فيها في الخفاء. والتي يستطيع أن يحصل عليها بكمياتٍ كبيرة، سواء عن طريق الضبطيات أو عن طريق شراء كميات كبيرة من العرب الذين يقطنون صحراء العلمين. وتصريفها عن طريق بعض الأشخاص الذين يثق فيهم، أبرزهم المراكبي مرجان أبو طالب، والذي يعتبر مرشده والذراع الأيمن له في تصريف تلك المخدرات.. والتي يتكسب منها شهريًّا أكثر من مائة ألف جنيه، يُودِعهم في البنك باسمه، مُنتظرًا بشوقٍ بالغٍ أن يصل رصيده إلى ثلاثة أو أربعة ملايين جنيه، مبلغ لا بأس به، يصلب ظهره ويجعله قويًّا نوعًا ما، فيستطيع حينها الاستغناء عن تلك الملعونة التي أهدرت كرامته، ووالدها البذيء سليط اللسان الذي يكسر عينيه. ثلاثة أو أربعة ملايين جنيه يستطيع من خلالهم أيضًا أن يقدِّم استقالته من الداخلية، غير خائف من حياته بعد ذلك، فلو استغلهم في شهادة بنكية سوف يدخلون له شهريًّا أكثر من ثلاثين ألف جنيه. يستطيع أن يعيش بهم دون خوفٍ أو ذعر. ويتزوج من امرأة أخرى غير تلك الوقحة التي تتحكم فيه مستقوية بوالدها. رنَّ هاتفه فانتزع من شروده وكان المتصل مرجان أبو طالب.

- إيه يا زفت عاوز إيه على الصبح؟

- صباح الفل يا عادل بيه. كنت عاوز أقول لسعادتك إن

اليومين دول الدنيا حلوة وعاوزين نزود الكمية شوية و...

قاطعه عادل بسرعة:

- الرقم غلط.

أغلق المكالمة واتصل به من هاتفه الآخر لينهره:

- هو أنا يابن الغبية مش قلتلك مليون مرة متكلمنيش عن الحاجات دي في التليفون؟

- أنا آسف سعادتك.. بس أنا مطلوب مني شغل كتير اليومين دول وكنت عاوز كمية أكبر.

- تعالالي في المكان إياه بليل.. هديلك كمية حلوة. الله ينور.

أغلق عادل المكالمة مُستكمِلًا تأمل رصيده البنكيّ حين يصل إلى المبلغ المأمول..!

***

دخل كريم سحاب مكتبه وقد شعر أن رأسه مهشَّمة من الصداع الناتج عن شربه بالأمس، أخذ قرص كيتوبريك في نفس الوقت الذي جاء فيه عامل البوفيه بالقهوة المغليّة، دخلت وراءه سكرتيرته مُمسِكةً ببعض الملفات، سألها عن مواعيد اليوم فأخبرته وهي تضع أمامه الملفات أنه الآن لديه

موعدٌ مع صحفي بإحدى الجرائد المتخصصة في عالم المال والأعمال، بعد ذلك اجتماع مع إدارة التسويق بالشركة ثم اجتماعه مع سمر شعيب في مقر شركتها. وفي آخر اليوم سيذهب ليأخذ أولاده من النادي. بينما كانت تتحدث إليه كان يوقِّع بعض الأوراق، سكتت لبرهة فرفع رأسه وتطلع إليها مُستفهمًا، فأخبرته أن هناك مَن تنتظر بالخارج وتطلب مقابلته دون موعدٍ مُسبق، سألها بإيماءة من رأسه دون أن يتكلم، فأخبرته أنها نبيلة خورشيد.

نهض منتفضًا هالِعًا:

- وسيباها قاعدة برة؟!! حد يسيب نبيلة خورشيد تقعد برة كده واللي رايح واللي جاي يشوفها؟

- لا يا فندم أنا قعدتها في غرفة كبار الزوار، حاجة زي دي متفوتنيش أكيد.

جلس متنفسًا الصعداء وقد هدأ من روعه، سألها:

- شوفتيلها أفلام أو أي أعمال قبل كده يا ابتسام؟

- طبعًا، شفت لها كل أعمالها تقريبًا.

- دخليها وأجِّلي مع الصحفي الاجتماع شوية. خليه يتلقح في غرفة الاجتماعات وهاتي له حاجة يطفحها.

خرجت ابتسام ففتح الكاميرا الأمامية لهاتفه ليتأكد أن مظهره مُهندمًا.. ابتسم ابتسامة خفيفة حين عاد بذاكرته عندما كان في الثانوية العامة، جالِسًا مع أصدقائه البؤساء مثله يلعبون الدومينوز، وفي الجوار يعرض التلفاز أحد أفلام نبيلة خورشيد، ظلَّ ينظر إليها مشدوهًا منبهرًا بجمالها الأخاذ. مُتمنيًا أن يراها في يومٍ من الأيام في أي مكان بالصدفة ليلتقط معها صورة يفتخر بها أمام أصدقائه الذين سخروا منه حينما أخبرهم بالكذب أنه رآها في أحد الفنادق وتحدث معها. لم يصدقوه حينها وسخروا منه لأنها في ذلك الوقت كانت في فرنسا تصور مشاهد من فيلم لها.

من بين كل الممثلات، كانت نبيلة خورشيد بالنسبة لكريم هي تلك المرأة الكاملة التي لا ينقصها شيء، كان حينها في السادسة عشرة من عمره، بينما هي كانت في التاسعة والعشرين تقريبًا. أي إنها تكبره بحوالي ثلاثة عشر عامًا. بعدما تعرَّف على زوجها عمر البطاوي وأصبح بينهما صفقات لفترة ليست قليلة، طلبت مقابلته في أحد الفنادق، وهناك تحدثا لأكثر من ساعتين في أمورٍ كثيرة، بدأت بوصفه لها كم كان معجبًا بها منذ زمنٍ بعيدٍ، وكم تمنى تلك اللحظة التي يجلس فيها معها، هي أيضًا شعرت أنه رجل ناجح وطموح وبه شيء جذبها إليه، ما هو؟ هي نفسها لا تعلم، ولكنه ذلك الانجذاب الذي لا يشترط أن يكون مُسبَّبًا. طلبت منه أن

يغسل لها خمسة وثلاثين مليون جنيهًا فوافق على الفور، ومنذ تلك اللحظة أصبح بينهما جسر قويٌّ متين، مُقام على عمودين راسخين؛ هما الجنس والمال.

كانا يتقابلان بشكلٍ شبه منتظم في أحد الفنادق ليقضيا ليلة كاملة، وفي مدة قصيرة استطاع تبييض المبلغ بالكامل، وحوَّله لها في حسابٍ سري خاص بها دون عِلم عمر البطاوي. حوَّل لها المبلغ بالكامل دون اقتطاع عمولته، ألحّت عليه أن يأخذ نسبته لكنه رفض، وأخبرها أن لها مكانة خاصة لديه، ولا يعاملها مثلما يعامل الآخرين. بعدها تقابلا بنفس الفندق عدة مرات، إلى أن أخبرته أن البطاوي بدأ يلاحظ تغيُّبها المستمر، وطلبت منه أن يتوقفا عن لقاءاتهما مؤقتًا خشية أن يكتشف البطاوي ما يحدث بينهما. فلم تجد منه إلا احترامًا لرغبتها.

غير أنها كانت أحيانًا تفتقده، فتطلب حينها مقابلته فيذهب إليها على الفور، وبعد فترة تعاود الاتصال به تطلب منه التوقف عن ذلك فيمتثل لطلبها بكل رضا وخشوع. وإن قابلته هي وزوجها بالصدفة في اليوم التالي يصافحها بشكلٍ طبيعيّ وكأنهما لم يريا بعضهما البعض مُطلقًا، لم يشعرها في يوم أنها بذلك تخون زوجها، ولم يطلب منها أي شيء رغمًا عن رغبتها، ولم يمثل لها أي عامل ضغط مُطلقًا. رغم أنها من

ضمن السيدات اللائي شعر ناحيتهن بالرغبة الجارفة، لكنَّ شعوره نحوها بدأ يفتر بمجرد أن تعوّد عليها وتوطدت علاقتهما، وخفت حينها انبهاره بها وانطفأ، ولكن برغم كل شيء، ظلّت وستظل بالنسبة إليه النجمة الغالية العالية نبيلة خورشيد. الفنانة التي تدخل أي مهرجان سينما تقلبه رأسًا على عقب، وجمهورها في وسائل التواصل الاجتماعي مُتعطش دائمًا إلى أيّ صورة جديدة لها.

دخلت نبيلة خورشيد فنهض كريم ليصافحها بحرارةٍ ويعانقها، جلست فجلس بعدها مُمسكًا بالهاتف ليطلب من عامل البوفيه أن يحضر عصير برتقال، فهو يعرف جيدًا أن هذا موعده في جدول غذائها اليوميّ. مُبتسِمًا، علّق نظره على قسمات وجهها لثوانٍ قبل أن يبتدر بالكلام:

- وحشتيني يا نبيلة، وحشتيني جدًّا.

- وانت كمان يا كريم، مبروك على المشروعين الجداد في العاصمة، بشوف إعلاناتهم في الشوارع.

- اختاري أي وحدة تعجبك في المشروعين وعقدها هيجيلك لحد عندك يا حبيبتي.

- ربنا يخليك يا حبيبي.. تبدلت ملامح وجهها واستطردت كلامها بجدية:

- كنت جاية وعاوزة أعرف إيه اللي دار بينك وبين عمر، طلب منك الـ ٥٠ مليون.. مش كده؟

- سبعين مش خمسين..

- سبعين كمان؟ فاجر..!!

- قوليلي.. هو ليه بيطالبني بيهم دلوقت؟

- هقولك كل حاجة، المهم عاوزاك ترفض رفض قاطع.

مدَّ إليها بعلبة سجائره فأومأت - لأ دي حامية أوي، أنا هشرب مور - وأخرجت من حقيبتها علبة سجائر مور الرفيعة بنكهة الفراولة، مدَّ يده إليها بالولاعة ليشعل لها سيجارتها ثم استكمل كلامه:

- أنا بالفعل بفكر أعمل كده.. سبعين مليون كتير عليا بصراحة يا نبيلة، المشكلة إني خايف من جنانه، معرفش لو رفضت رفض قاطع ممكن يعمل إيه، معرفش إيه الكروت الكسبانة اللي معاه.

- متخافش.. مش هيقدر يعمل حاجة.. مهما كانت الكروت الكسبانة اللي معاه، أنا معايا كروت أكتر منه، هديهالك. عشان لو جرالي حاجة يا كريم.

- بعد الشر عليكي يا نبيلة ليه بتقولي كده؟ وكروت كسبانة

إيه اللي معاكي؟!

***

بعدما انتهت سمر من اجتماعها مع موظفيها ووضع خطة عمل الشهر الجديد أشارت لهم أن الاجتماع انتهى، وما إن خرجوا جميعًا وأصبحت بمفردها حتى نهضت لتُجري بعض التمارين التي تعمل على استرخاء عضلات جسدها المُنهَك، فتحت بعد ذلك درج مكتبها لتخرج منه مرآة، مُتأمِلة قسمات وجهها النضر، والذي تعتز جدًّا بجمال تفاصيله، ولا تجد أيَّ غضاضة في أن تسمي هذا نرجسية، لاحظت بوادر ظهور تجعيدة موشكة على الظهور فانطلقت منها ضحكة قصيرة يكسوها بعضٌ من الحزن قائلة في قرارة نفسها:

- إيه يا سمر، هتبدئي تشوفي تجاعيد ولّا إيه؟ زمّت شفتيها مُتجاهلة تلك التجعيدة وأدخلت المرآة في الدرج مرة أخرى ثم رنّت الجرس لتحضر سكرتيرتها:

- الملف بتاع العميل ١٠٢١٣ اديه لقسم الشؤون القانونية عشان يبدأوا يمشوا في إجراءاتهم، والغي أي اجتماعات النهارده عشان عندي ميعاد مهم مع نقيب الممثلين.

- تمام، هكلم سكرتيرة كريم سحاب وأسماء المُلا وعلاء مكرم وأبلغهم بتأجيل مواعيدهم. أي خدمة تانية يا فندم؟

- أوبسسس.. كريم سحاب ده رجل الأعمال بتاع شركة سحاب؟ فضولي هيقتلني عاوزة أعرف عاوز إيه.. طب بصي خلاص أنا هأجل المشوار اللي قبل ميعاد نقيب الممثلين. وأشوفه عاوز إيه.. أجلي بس مواعيد أسماء المُلا وعلاء مكرم. ومتخليش حد يدخل عليا نهائي.

- تمام يا افندم.

اتصلت داخليًا بأحد مساعديها تطلب منه أن يحضر لها ملفًا به كل المعلومات عن كريم سحاب ويكون في مكتبها قبل نصف ساعة. أصبح الآن لديها وقت كافٍ ترتاح فيه قبل أن يحين موعد كريم. رجعت بكرسيها إلى الخلف واضعة قدميها فوق مكتبها ونظرت إلى السقف، فكّرت في عمرها الذي يتسلل من بين يديها، وفي اليوم الذي يعي كل الناس أنه ٢٤ ساعة، لكن بالنسبة إليها لا يزيد عن ساعتين ونصف، شردت أكثر في مستقبلها كيف سيبدو، ومتى ستعطي لنفسها حق المرأة التي بداخلها وترضي أنوثتها، التقطت علبة سجائرها وأشعلت سيجارة قبل أن تفتح درج مكتبها، وتلتقط المرآة مرة أخرى لتنظر إلى التجعيدة التي اكتشفتها منذ قليل فلم ترها – أو هكذا تظاهرت - أخذت نفسًا عميقًا من سيجارتها وهي تسأل نفسها متى ستعيش يومها كأي امرأة؟ فهي ليست كبيرة للدرجة التي تنسى فيها نفسها،

متى ستكون زوجة وأمًا؟ وهل النجاح الذي تحققه الآن يعتبر عِوضًا لها عن ذلك؟ وما نهاية هذا المجد الذي تبنيه لنفسِها؟ هزت رأسها وانتبهت إلى أنها ستبدأ في دخول دوامة أسئلة جاهدت طويلًا ألا تُقحِم نفسها فيها وتواجهها. قاطعَ شرودها طَرقُ باب مكتبها فأذنت بالدخول، كان الموظف قد انتهى من إعداد الملف الخاص بكريم سحاب..

- المعلومات عنه مش كتير، ومفيش جهات أقدر أتحصل منها على معلومات خاصة عنه. ممكن يقعد مع الصحفي ساعة ميتكلمش فيها غير في الشغل.

- كنت عارفة إنك هتقول كده.. هو شخصية غامضة مُتكتمة بعض الشيء.. تمام سيب الملف وروح كمل اللي كنت بتعمله.

تفحّصَت الملف على عجالة، لم تجد به أي معلومات جديدة عن التي تحصلت عليها من بحثها عنه، باستثناء أنه متزوج الآن ولديه طفل وطفلة. وكان له زيجات سابقة من قبل. أغلقت الملف في نفس الوقت الذي جاءت فيه سكرتيرتها لتخبرها بقدوم كريم سحاب. رمقت ساعة الحائط فوجدت أنه جاء في موعده بالضبط. دون أن يستقدم ثانية أو يستأخر. أشارت لها بأن تأذن له بالدخول في مكتبها وليس قاعة الاجتماعات، للمرة الأخيرة رمقت وجهها في المرآة،

التقطت منديلًا مسحت به بعض العرق الذي يلمع في جبهتها، تساءلت في قرارة نفسها لماذا تبدو حريصة على أن تظهر بمظهر لائق أمام كريم، لكنها لم تجد إجابة واضحة وصريحة لسؤالها هذا، فلم تقف عنده كثيرًا ولم تأبه له. سمعت طَرقات الباب فأذنت بالدخول.

مدَّ يده مُصافِحًا، ورغم أنها لا تصافح أحدًا بالأيدي من بعد انتشار عدوى فيروس كورونا، لكنها نهضت ومدت يدها لتصافحه دون تردُّد، ما إن لامست يده يدها حتى نظر إليها في نفس اللحظة التي نظرت هي الأخرى إليه فتلاقت عيونهما، وتبادلا الابتسام قبل أن تشير له بيدها أن يجلس:

- اتفضل.. قالتها مبتسمة.

جلس وجلست بعده، أظهرت له احترامًا واهتمامًا قلّما تظهره إلى أحد عملائها، اتصلت بسكرتيرتها طالبة منها أن تبعث بعامل البوفيه، ثم رحبت به مرة أخرى. بعدما دخل شركتها ولاحظ الحركة الدؤوب وعدد موظفيها والطريقة التي تدار بها الشركة أدرك كم هي ناجحة، فابتدر كلامه مُعتذرًا:

- طبعًا أنا بعتذر لك لو كان العرض بتاع شركتنا كان أقل من توقعاتك.

- لا خالص مفيش مشكلة، إنتم شركة كبيرة وشرف لينا نمسك ملف الدعاية بتاعكم، لكن أنا بصراحة مبصيتش فيه وأكيد ده كان قرار إدارة التخطيط والمتابعة.

- طيب ندخل في الموضوع على طول تجنبًا لإهدار وقتك ووقتي. قاطعه دخول عامل البوفيه الذي سأله ماذا يريد أن يشرب فأخبره كريم أنه يريد قهوة سادة مغليّة، ما جعل سمر تدرك كم هو مُمَيَّز، وهذا التَمَيُّز متأصل فيه ليس تصنعًا. استكمل كريم كلامه بنبرة جادة:

- هما موضوعين.. الموضوع الأول بالمختصر أنا عاوز أتشرف بإني أعرض على حضرتك شيك على بياض تُحطي فيه الرقم اللي تحبيه. والموضوع التاني شخصي شوية.. هقولهولك بعد ما أعرف ردك على الموضوع الأولاني.

- تمام.. أنا طبعًا شرف ليا إني أتعامل معاك ومن غير فلوس نهائي.

شرد قليلًا ثم سألها بحذر:

- مش عاوزة تقولي حاجة؟ بابتسامة عذبة هزت رأسها مدركة ما يقصده:

- الجامعة.. مش تقصد الجامعة برضه؟

- بالظبط.. طب ما إنتي فاكرة أهو.

بالطبع كانت متذكرة لكنها تظاهرت بعكس ذلك، وأحبت أن يفتح هو الموضوع. قالت له مبتسمة ابتسامة هادئة سحرته:

- شكلك اتغير جامد عن زمان يا كريم.

- للأحسن وللا للأوحش؟

- للأحسن.. بقيت وسيم أكتر.. رزين أكتر.. ناجح أكتر.

سمع كريم إطراءً كثيرًا من نساء كثيرات، لكن الإطراء حين خرج من بين شفتيها وجد أن الأمر مُختلِفًا، مُختلِفًا تمامًا، طريقة حديثها وهي شاخصة عينيها الساحرتين تجاهه كانت مُثيرة، لديها القدرة على السيطرة على كل حواس من تتحدث معه. رغم أن أي رجل يتحدث معها يواجه مشكلة كبيرة في التركيز في كلامها، بينما مُستمتِعًا في تأمل ملامح وجهها الصبوح؛ لذلك فلم يكن مندهشًا حين سرح قليلًا في عينيها بينما تتحدث، أدرك حينها أنه لم يرَ عينًا في حياته أجمل من عينيها، انبهر برسمتها ولونها الأزرق ورموشها الجميلة المُتكحلة، طريقة كلامها، مخارج ألفاظها، ترتيب مرادفاتها.. ولكن ليس كل ما سبق ما لفت انتباهه فقط، بل خطف نظرة مدتها ثلاثة فيمتوثانية حين شكرت عامل البوفيه، استطاع خلال تلك المدة أن يمسحها كماكينة

تصوير، متخيلًا أنه معها في مكانٍ ليس به أحد غيرهما.

وعن طريق حاسة ليست عند سيداتٍ كثيرات شعرت أنه يتخيلها معه، ولمست إعجابه بها، رغم حرصه على ألا يظهر ذلك، وهي تدرك جيدًا أن كريم من نوعية الرجال الذين لا يحبون إظهار إعجابهم بامرأة، خصوصًا من أول لقاء. لكنها شعرت بالاستمتاع وهي تقرأ بسهولة كل ما يشعر به وكل ما يجول في خاطره وخياله كأنها تقرأ كتابًا مفتوح أمامها. رغم كل ذلك آثرت ألا تبين له أنها مُطَّلِعة بسهولة فائقة على دواخله.

بعدما رحل عامل البوفيه انتزع عينيه منها بصعوبة بالغة وقطع حبل خياله ثم استطرد:

- أنا طبعًا بشكر الصدفة الجميلة اللي خلتنا نتقابل ونتكلم مع بعض، وطبعًا هكون سعيد لو اتعاملنا مع بعض في حملتي الإعلانية الجديدة.

- مفيش أي مشكلة، أكيد شرف لينا.. قالتها مبتسمة وصمتت لثانيتين بينما ما زالت معلِّقة عينيها عليه، غير متعمدة إرباكه مُطلقًا. حينها وجد كريم أن ثمة نقطة وضعت نفسها بسرعة لتبتر الحديث بينهما وتنهيه. وقد كان يظن أن الحوار سيطول أكثر من ذلك. وجد أن عليه أن ينهض الآن ويصافحها ليرحل. فهو ناجح في كل شيء إلا شيئًا واحدًا؛

وهو فتح مواضيع أو إطالة حوار ما. لم يكد ينهض ليستأذنها حتى أزالت النقطة من نهاية الجملة وفتحت له طريقًا آخر ليطول الحوار بينهما.

- إيه بقى الموضوع التاني اللي كنت عاوز تتكلم فيه؟

شعر حينها بتوترٍ أكبر وانعقد لسانه، بالفعل كان من المفترض أن يسألها عن شيءٍ ما لكنه تبخَّر من عقله ونسيه تمامًا، ومن الأفضل أنه نسيه، لأن هذا الوقت ليس مُناسبًا لأي شيءٍ سوى التحدث في موضوعٍ غير مُهِم، كي يستمتع بالنظر إليها ولو لدقائق إضافية قبل أن يرحل، فكر في حيلة يمكنه بها أن يراها مرة أخرى، فلو جلس هكذا العمر كله لن يمِل من النظر إليها وإلى عينيها مُطلقًا. انبثق منه شخصٌ آخر عاقدًا يديه عند صدره وهو ينظر إليه بخبث ويسأله: "هل أحببتها يا كريم؟" فأجابه في قرارة نفسه أن نعم.. أحببتها.. تلك المرأة التي تمتلك جمالًا يدير الرؤوس، وأنوثة طاغية أنسته كل مشاكل الحياة.. ما الذي سيحدث إن طلبت يدها الآن.. اطلب منها ببساطة أن تتزوجها..

نفض رأسه من كل تلك الأحاديث التي تدور في عقله، ومن غابة التساؤلات والترددات التي تحيط به من كل صوب ثم سألها بشكل مباشر:

- سمر.. تتجوزيني؟

مُبتسِمة، لم تجبه سوى بكلمةٍ واحدة دون تردُّد:

- موافقة

كان ذلك حين نهضت شروق زوجته فجأة من نومها صارخة، وارتجف قلبها فزعًا، بعد أن رأت كابوسًا مُخيفًا في أحلامها..!

***

بعد مرور ثلاثة أشهر..

من بين كل نساء العالمين اللائي دخلن حياته، كانت سمر هي أكثرهن قدرة على جذبه، اكتشف كريم أنه لم يكن يحب من قبل، بل كان شعوره تجاههن مجرد رغبة ليس أكثر، لكنه مع سمر اكتشف كيف يكون الحب، اكتشف أن له طعمًا مُمَيَّزًا حين يحتضن شفتيها بشفتيه، أدرك أن له رائحة أخّاذة حينما تقترب منه فتمر نسائم الهواء من خلفها متجهة إليه فيتنسم رائحتها، اكتشف أن له صوتًا عذبًا حين تهمس في أذنيه. اكتشف أن الحب خلق لسببٍ واحدٍ فقط، هو أن يستخدمه في عشقه لها، وأن الحب حين خُلقَ انقسم إلى جزئين، ليسا عادلين لكنهما متساويين من وجهة نظره، الجزء الأول نسبته واحد بالمائة ليستخدمه جميع الناس عبر الأزمان، والتسعة وتسعون بالمائة الباقية كانت من نصيبه ليحقن بها أوردة

قلبها. ليسقيها من ذلك الحب في كل ثانية يقضيها معها.

وما فائدة الحب إن لم تكن سمر موجودة!! وما النفع منه إن لم يكن لها؟! وما فائدة العشق لرجلٍ ليست حبيبته سمر شكري شعيب. أحس كريم أن كل ثانية تمر عليه يزيد فيها عشقه لها. وولعه بها.

اتفقا في فترةٍ قصيرةٍ على كل شيء دون أي خلاف، فكانت دائمًا وجهة نظره مطابقة إلى وجهة نظرها بلا أي تعقيد، وهي التي قلّما توافق على اقتراح أحد دون مجادلة. وبعد ثلاثة أشهر كان زفافهما، بأفخم قاعة بأفخر فندق في مصر، لم يحضر فيه سوى عددٍ قليلٍ جدًّا من المقربين بسبب تفشّي فيروس كورونا، وفي هذه الفترة تحديدًا شهر مارس ٢٠٢٠ كان الأمر قد بلغ ذروته، حتى السفر الذي كانا قد اتفقا عليه أصبح ممنوعًا بسبب غَلْقِ المطارات. وتحوّلت مصر بل والعالم كله إلى سجن كبير، لا يستطيع المرء الخروج بحرية، وإن حدث فيجب أن يرتدي كمامة وقفازًا ومطبِّقًا لكل الإجراءات الاحترازية، وبدأت مصر في هذه الفترة التفكير في الحظر الكامل. بل منع التنقل من محافظة إلى أخرى إلا في أضيق الظروف، ولأسباب قهرية.

رغم كل ذلك كان يوم زفافهما هو أسعد يوم في حياتهما، نسيا فيه كل العلاقات الفاشلة التي مرا بها من قبل، تذوق

كل منهما تعطش الآخر للحب والهدوء والانسجام. ليس فقط في أول يوم في حياتهما، ولكن خلال الأيام التالية.

لو بحثت في هذه الفترة عن أسعد رجل في العالم، لن تجد سوى كريم..! من المهم جدًّا أن تقابل مثل هذه المرأة بعدما تتعرف على نساءٍ كثيرات، حتى تعرف قيمتها جيدًا. وبوجهٍ عام، أي علاقة ناجحة لا تحدث إلا في الوقت المناسب لها، وستكون ناجحة أكثر إذا جاءت بعدما يتذوق الطرفان طعم علاقات أخرى قبلها، كي يدركا أنهما أخيرًا وجدا ما كانا يبحثان عنه.

ولهذا السبب كان أسعد رجل في العالم، لأنه ببساطة أصبح أخيرًا في العلاقة التي طالما تمنَّاها طوال عمره، تلك العلاقة التي تساعد على زيادة النجاح. أصبح متزوجًا من المرأة الوحيدة التي تستطيع بسهولة عزف ألحان الصبابة والعشق على أوتار قلبه، المرأة التي ستصير معها الحياة سلسة، ويمر اليوم دون أي مشاكل أو شد وجذب، المرأة التي تمثل في حياته دافعًا لأن يكد ويعمل أكثر وأكثر ويحقق نجاحات فوق نجاحه. بعد زواجهما استطاعا ترتيب كل شيء في حياتهما كي يواصلا نجاحاتهما، هي تعي جيدًا أنها تزوجت رجلًا متزوجًا، لكنه على أي حالٍ ناجح، وثري ثراء فاحش؛ لذلك لا تأبه كثيرًا لمعرفة ماذا تمثل له زوجته الأولى، لأنها

تعلم جيدًا قيمتها لديه. وفي النهاية ليست سمر شكري شعيب التي تضع امرأة أخرى في حسبانها..! استطاعا أن يتوصلا إلى اتفاقات كثيرة لترتيب الأيام التي سيقضيانها معها خلال الأسبوع، واستطاعا أن يرتبا كل شيء ليسير بانسجامٍ شديد.

ستمر على المرء فترة لا يحتاج فيها إلى حب قدر ما يحتاج إلى الراحة والهدوء والسكينة.

وكل ذلك وجده لدى سمر، والتي لم تكن أنانيّة معه على الإطلاق، ولم تضغط عليه مُطلقًا أو تطلب منه أن يظل معها دومًا، بل كان من المقرر أن يظل معها طوال شهر العسل بما إنهما لن يسافرا إلى جزيرة بالي بإندونيسيا كما خططا، بل مكثا في منزلهما منذ الليلة الأولى ولمدة أسبوع واحد فقط. وقد اختار أن يعيشا في فيلته التي خصصها لكل ما هو ثمين في حياته، سواء راحته أو السبائك أو سمر، والتي كان يعتبر خصلة من شعرها أغلى من ذهب العالم كله.

شجّعته أن يعود إلى عمله بعد أسبوع من زواجهما، ليُباشِر أعماله المُعلّقة والتي تستلزم وجوده، هي أيضًا كان لديها أعمال كثيرة تتطلب إنهاءها. ولأنهما اتفقا في البداية أن تكون علاقتهما حافزًا ودافعًا على نجاحهما أكثر وأكثر.

في اليوم التالي ذهب إلى زوجته الأولى، شروق؛ كي

يطمئن عليها وعلى أولاده وليتأكد أن كل شيء هناك يسير على ما يرام، لكنه - كما توقع - لم يجد منها ترحابًا واحتفاء، بل استقبلته بطريقةٍ باردة. لم يأبه لذلك كثيرًا وقضى معظم الوقت مع أولاده ليعوضهما عن غيابه طوال الفترة السابقة، وقد افتقدهما كثيرًا رغم أنه كان دائم التواصل معهما من خلال تطبيق زووم، وكان يطمئن عليهما يوميًا، حين أخبرهما أنه سوف يبيت معهما تهلّلت أساريرهما وقضيا معه وقتًا مُمتعًا، حتى جاءت الساعة الثانية عشرة فأمر الخادمة أن تأخذهما إلى غرفهما، وسألها عن سيدتها فأخبرته أنها في الأعلى، صعد لها فوجدها كالمعتاد، جالسة على كرسي بأحد أركان الغرفة تقرأ كتابًا ولم تلتفت إليه حين دخل، جلس أمامها كي تلتقي عيناه بعينيها فأشاحت بوجهها بعيدًا ناظرة يسارها باحتداد، حينما وجدها كذلك نهض وخلع ملابسه ثم دلف إلى الحمّام ليأخذ دشًّا باردًا ثم خرج مقررًا بداخله أنه سيبتدر الحديث معها، وإن وجدها لم تزل كذلك أو تحدثت معه بطريقة باردة سيتركها ويذهب إلى غرفة الأولاد لينام معهما أو يعمل لبعض الوقت في غرفة مكتبه.

كانت بالطبع قد علمت أنه تزوج من سمر، ليس هذا ما جعلها غاضبة، فهي اعتادت على ذلك، وتأكدت أنه لا يستطيع العيش في حياة ليس بها زوجة ثانية وربما ثالثة، لكنها تعلم أنه سرعان ما يطلقها وينفصل عنها، فهي مطمئنة

طالما تعلم أن وجود أيٍّ منهن يعتبر مسألة وقت، وكل امرأة تدخل حياته لا تمكث طويلًا، ولكنها هذه المرة شعرت أنها لن تكون مثل أيّ مرّة مَضَت، حتى مع تلك المذيعة التي كانت على ذمته مؤخرًا.

حين تنامى إلى علمِها زواجه من سمر شعيب، شعرت - للمرة الأولى - أنه يعشقها كما لم يعشق من قبل، وأنها ستُعمِّر في حياته ولن تنفصل عنه مثل أي امرأة سبقتها، منذ ذلك الحين باتت ساهِمة في اللا شيء مُعظم الوقت، ضامِرة ومهمومة، تحيا شاردة بألمٍ دفينٍ وأسى مكتوم بداخلِها. اقترب منها في حنانٍ ليلمس رقبتها بأنامله، فأشاحت بوجهها عنه قائلة له بحدة: - بعد إذنك متحاولش تقرب مني أو تلمسني.

شعر حينها ببوادر نكد فأولّاها ظهره وأشاح بيده قائلًا لها بلا مبالاة: "براحتك".

استلقى بجسده على السرير، وما إن أغمض عينيه حتى نهضت وقد احتدمت غيظًا:

- آه طبعًا ما إنت جاي شبعان و...

شعر أن الليلة لن تمر في هدوء وستبدأ محاضرة هو في غنى عنها، لم يعطها فرصة لبدء محاضرتها ونهض ليخرج من

الغرفة دون أن يتفوّه بحرف، اشتعل غيظها أكثر حينئذٍ واستشاطت، خرجت وراءه وأخذت تتطاول عليه فلم يكترث لما قالته، ثارت ثائرتها أكثر وألقت تجاهه الكتاب الذي كان في يدها فأصاب كتفه، التفت إليها دون أن ينبس، مُكتفيًا بنظرة اشمئزاز. ثم دخل غرفة مكتبه مُنتحيًا أحد أركانها يفكر نادمًا على اتخاذه قرار المجيء إلى هنا، تاركًا سمر بمفردها، ابتسم حين تذكرها، لم يكن من نورٍ ليضيء ظلام الغرفة إلا ضوء القمر الخافت الذي اخترق زجاج شباك مكتبه، التقط هاتفه ليتصل بها، كانت في ذلك الوقت منهمكة في تحضير فكرة إعلان جديدة لإحدى شركات الاتصالات..

اعتذر لها عن ابتعاده عنها الليلة، لكنه لم يجد منها إلا تفهُّمًا وتفاهمًا، فشكرها على ذلك ثم أغلق المكالمة وما زال صوتها يسري في جسده، فتح درج مكتبه ملتقطًا سيجارًا كوبيًا أشعله وشرب معه نصف زجاجة ويسكي، شعر أنه خرج من ضيقته رويدًا رويدًا إلى أن استلقى على الأريكة وغفا.

***

صباح اليوم التالي

استيقظ كريم في تمام الساعة الثامنة صباحًا، أخذ حمامه إلى أن أحضرت الخادمة فطوره، في نفس الوقت الذي رآه ابنه وابنته من أعلى فنزلا له وتناولا معه وجبة الفطور، جلس

بعد ذلك معهما لمدة نصف ساعة قبل أن يحضر سائقه وينهض. سأله ابنه أين سيذهب وقد بدا على وجهه الحزن، فضمه إلى صدره هو أخته وأخبرهما أنه سيسافر لمدة يومين ويعود لهما سريعًا. قبّلهما ونبّه على الخادمة أن تطبق كل الإجراءات الاحترازية ولا تقدّم أيّ شيءٍ دون نظافة وتعقيم.

حين ركب سيارته اتصلت به ابتسام القاضي لتخبره بصوتٍ متوتر أن هناك ضباط شرطة يسألون عنه، سألها عن السبب فقالت له إنهم لم يخبروها بأي شيء. طلب من السائق أن يتجه إلى مقر الشركة وكان هناك بعد ربع ساعة، أخبره الضابط أنه مطلوب للتحقيق بخصوص عدة بلاغات من مجهول تتهمه باستخدام مواد بناء مجهولة المصدر وغير مُطابِقة للمواصفات. ثار كريم مؤكدًا له أن كل المواد التي يستخدمها تورَّد له من شركاتٍ خاصة أو شركات تابعة للحكومة، ومن رابع المستحيلات أن يحدث هذا، مؤكدًا أن هذا البلاغ بالتأكيد كيديّ.. وإذا استمرت مثل هذه البلاغات فسوف تخسر البلد استثماراته، وسيسافر إلى أي بلدٍ آخر يستثمر فيه. كان ذلك حين حضرت ابتسام ومعها كل الأوراق المطلوبة والتي تثبت صحة كلامه، وطلبَ من الضابط تعيين لجنة استشارية لفحص كل مشاريعه. كان ذلك حين اتصلت به سمر لتطمئن عليه فأخبرها أنه مشغولٌ الآن،

شعرت أن صوته به بعض رجفة، وأنه متوتر، سألته ماذا به فأخبرها بما حدث، فأغلقت المكالمة وكانت في مكتبه بعد نصف ساعة مع المحامي الخاص بها، والذي تولّي أمر البلاغات، مُستعينًا بالأوراق التي أخذها من ابتسام القاضي. وفي النهاية اتضح بالفعل أنه بلاغ كيديّ. تنفس كريم الصعداء حينها وقد شعر بالإرهاق وأبلغ ابتسام أنه سيذهب إلى الفيلّا، وطلب منها تأجيل أي مواعيد في الفترة القادمة، وإعطاء الموظفين إجازة لمدة أسبوع. ثم رحل هو وسمر التي كانت تقود السيارة ولاحظت أنه ما زال متوترًا، فسألته بنبرةٍ هادئة:

- مالك يا كريم؟ الموضوع مش مستاهل يا حبيبي.

- تفتكري أنا متوتر من المحضر الكيدي ده؟ لا طبعًا.. أنا قلقان من اللي جاي.

نظرت له متوجسة بعض الشيء ثم سألته بريبة:

- قلقان من إيه تاني يا كريم.. في حاجة مخبيها عليّا؟

لم يجبها، لكنها لم تلح عليه كي لا تسبب له ضغطًا، ظل يفكر طوال الطريق هل يخبرها بالمشاكل التي بينه وبين البطاوي؟.. في قرارة نفسه مُتأكد بنسبة تسعين بالمائة أنه لن يتركه في حاله الفترة القادمة، فهو يعرف جيدًا أسلوب عمر

البطاوي، ومن المؤكد أنه يمتلك ورقة رابحة، لكن ما هي تلك الورقة؟! هل من الممكن أن تكون نبيلة خورشيد؟ هز رأسه نافيًا أن لا، من المؤكد أنها ليس هي، أخذ يفكر في أي ثغرة ربما قد يكون تركها أو نسيها فيدخل له منها، لكنه في النهاية بعدما راجع كل شيء في عقله وجد أنه بلا ثغرة. تساءل في قرارة نفسه هل من الحكمة أن يتصل به ويطلب مقابلته ليفاوضه بهدوء للتوصل إلى حلٍ وسط؟ لكنه حتى لو ارتضى بهذا الحل ربما يطلب منه بعد فترة مبلغًا آخر..! فكر في قتله والتخلص منه من خلال نبيلة على سبيل المثال، فهي أيضًا باتت تكرهه، لكنه ترك هذا الحل ورفض التفكير فيه.. على الأقل الآن.

حين وصلا إلى الفيلّا أخبر سمر أنه سيدخل مكتبه ويغلق على نفسه من الداخل قليلًا لينجز بعض المهام في عمله، فهزت رأسها متفهمة، ثم دلفت غرفة النوم لتزيل المكياج قبل أن تمدّد جسدها لترتاح قليلًا، دخل غرفته ثم وقف قليلًا أمام مكتبته المليئة بالكتب، والتي لم يقرأ منها أي شيء! لكنه أنشأ هذه المكتبة كي تكون ستارًا يختبئ وراءه سره الأكبر، الأعظم. في الصف الثالث من تلك المكتبة، وراء الكتاب الثامن من جهة اليسار، كان كتاب "هكذا تكلم زرادشت لفريديريك نيتشه" أزاحه من مكانه ليظهر من ورائه زرًا، ضغط عليه فانزاحت المكتبة يمينًا شيئًا فشيئًا،

إلى أن ظهر وراءها بابٌ مُثبّتة عليه لوحة تحكُّم بكلمة سر مُعقدة للغاية، أدخل كلمة السر فانفتح الباب لتظهر من ورائه خزينة ضخمة ألمانيّة الصنع، متران طولًا ومتر ونصف عرضًا، مُلحقة بلوحة مفاتيح أخرى، أدخل فيها كلمة السر التي لا تقل تعقيدًا عن كلمة سر الباب الأمامي. فانفتحت الخزينة لتفصح بحب عما بداخلها، خمسة أرفف، بالرف السفلي تمثال أثريٌّ فرعونيٌّ وبجانبه بعض الأوراق والملفات وكروت الذاكرة، أما الأربعة أرفف الباقية فكان مرصوص عليهم سبائك ذهبية، عددهم مائتا وخمسون سبيكة. نظر إليهم بشوقٍ والتياع لدقيقتين كاملتين ثم اطمأن عليهم، وأغلقها ليعيد كل شيء في مكانه وخرج من غرفة مكتبه مُتوجهًا إلى غرفة النوم، رنَّ هاتفه وكان المتصل عمر البطاوي، لم يجبه ووضع الهاتف على السرير ثم ارتمى بجسده بجوار سمر التي لمحت الاسم على شاشة الهاتف، شعرت بخطبٍ ما فسألته متوجسة:

- مين عمر ده اللي كنسلت عليه يا كريم؟ لم يجبها فأعادت عليه سؤالها الذي سألته له في السيارة:

- كريم لو مخبي عليّا حاجة قول، أنا مراتك حبيبتك. أمسكت هاتفها وأوصلته بالشاحن ثم وضعته على الكومود واقتربت منه مُردفة: - ومش هتلاقي حد يقف جنبك

ويحميك أكتر مني.

التقط بشكيرًا من الشماعة:

- عارف يا حبيبتي، كل حاجة هقولهالك في الوقت المناسب.. أنا هدخل آخد حمّام وأرجع لك بسرعة.. إوعي تنامي عشان عاوزك؟ - قالها وهو يغمز لها – عاوز أنسى اللي حصل لي امبارح والنهارده الصبح.

اقتربت منه وقبّلته قُبلة حارة ثم ساعدته في خلع ملابسه وأحاطت خصره بالبشكير قائلة:

- عارف يا كريم، كان نفسي في حاجة من زمان بس مش عارفة أقولهالك ولّا هتضحك عليا.

- قولي يا حبيبتي.. قالها مبتسمًا ثم قبّلها قبلة أخرى فأردفت:

- كنت بحلم أكون في يوم من الأيام مع حد بحبه على البحر لوحدنا، في جزيرة مثلًا.. ونكون براحتنا نعمل كل اللي إحنا عاوزينه.

- فكرة حلوة جدًّا تصدقي..!! خلاص أول ما موضوع الكورونا ده ينتهي على خير نعمل كده.. أنا كمان محتاج أفصل شوية، وكده كده الفترة دي مفيش شغل أصلًا وسوق

العقارات نايم.

- هو مينفعش نسافر بأي شكل من الأشكال؟

- المطارات قفلوها النهارده.. وحتى لو مفتوحة هنسافر فين؟

- طب هنا في مصر مفيش مكان نقضي فيه يومين تلاتة كده نستمتع فيهم؟

- خليني أشوف كده أي منتجع حلو.. أنا داخل دلوقت آخد دش. هرجع بسرعة متناميش.

ما إن دخل الحمَّام وملأ البانيو بماءٍ ساخنٍ ليغمر جسده فيه حتى دخلت عليه مُمسِكة باللاب توب لتريه صورة لجزيرة ما، تطلّع إليها مُضيقًا عينيه مُستفهِمًا فلم تجبه، بل وضعت اللاب توب على رخامة الحوض لتجري بحثًا آخر على جوجل إيرث ثم عرضت النتيجة عليه.

أطلق ضحكة قصيرة: - برضه إيه ده؟ مش فاهم!! فأجابته:

- دي جزيرة اسمها جزيرة نيلسون، مش كتير يعرفوها على حسب ما بحثت.

- لأ أنا أعرفها من أيام ما كنت بشتغل في إسكندرية.. بس

مالها؟

- دي جزيرة تبع إسكندرية.. كنت أسمع عنها شوية لما كنت مع إخواتي في إسكندرية.. معرفش كتير عنها لكن عملت سيرش عليها لاقيتها حلوة جدًا، تيجي نروحها نقضي فيها يومين؟

- مش عارف.. طب سيبيني أشوف كده؟ طب ما نشوف حاجة تانية.. تيران أو صنافير مثلًا.

- هنلاقي فيها ناس كتير، لكن دي مش معروفة، وعمومًا مش مهم المكان قد ما مهم إنك ترتاح شوية من الشغل. ونفصل ونكون لوحدنا.. قالتها وهي تغمز له بعينيها.

شرد قليلًا ثم طلب منها وقتًا للتفكير في الأمر، في قرارة نفسه أحَبَّ فكرة أن يغامر مغامرة كتلك، خصوصًا في مثل هذا الوقت الذي يعتبر فيه مُتفرغًا ليس مشغولًا بالشكل المعتاد، خصوصًا بعدما أمرَ بإغلاق الشركة في اليومين القادمين وإخلاء مواقع مشاريعه من العمال تنفيذًا لتوجيهات الدولة لمنع تفشِّي فيروس كورونا، بعدما خرج من الحمَّام رنَّ هاتفه مرة أخرى وكان المتصل عمر البطاوي الذي ابتدرَ مكالمته بضحكة مستفزة فقال له كريم:

- كنت عارف إنه إنت اللي بلغت البلاغ الكيدي ده.

سألته سمر بإشارة من يدها عمّن يتحدث إليه فأومأ برأسه ألا تصدر أي صوت. أجابه البطاوي:

- إنت كده بتقولّي إنك ذكي يعني؟ طب ما هو أكيد أنا، هو في حد غيري بيكرهك وعاوز يدمرك؟

التقطت بشكيرها ودلفت الحمَّام في حين صاح كريم منفعلًا:

- طب بص بقى يا عمر يا بطاوي، لو إنت فاكر إنك تقدر...

قاطعه:

- اسمع إنت... إنت هوا.. فراغ.. إنت ميت.. متقدرش تعمل أي حاجة.. المرة دي بلاغ كده على الماشي، المرة الجاية هقدم المستندات اللي توديك في ستين داهية.. فكر.. والقرار قرارك.. سلام.

ألقى كريم بهاتفه على السرير غير مبالٍ بتهديداته. جلس يفكر مرة أخرى في أي ثغرات قد يدخل له عمر من خلالها.. لكنه حريص دائمًا أن يكون كل شيء على ما يرام. كان ذلك حين وقعت عيناه على الحاسوب الخاص بسمر، تسلَّل إليه الشيطان حينها، في ماذا بالتحديد؟ هو نفسه لا يعلم، لكنه انتهز فرصة دخولها الحمَّام وألقى نظرة على حاسوبها وتفحصه في عجالة، كانت الملفات المفتوحة عبارة عن

عروض أسعار وعقود وصور لبعض المستندات الحكومية، بالإضافة إلى متصفح جوجل كروم على صفحة الموقع الرسمي لشركتها، بالإضافة إلى نتائج البحث عن جزر تيران، صنافير ونيلسون. مدفوعًا بفضوله أجرى فحصًا سريعًا على أي ملفات مخفية فلم يجد. عاد مرة أخرى وفتح صفحة ويكيبيديا الخاصة بجزيرة نيلسون وأخذ يقرأ معلومات عنها، تذكَّر حين كان سمسارًا في الإسكندرية، وكانت هناك أسرةٌ تريد الذهاب إلى تلك الجزيرة، وقد استعان حينها بمراكبي لا يتذكر اسمه لكنه كان مُسجَّلًا في هاتفه. فالتقطه ليبحث عنه. كان ذلك حين دخلت عليه سمر تلف جسدها ببشكير وفوطة فوق رأسها. سألته عمن كان يتحدث إليه في الهاتف، أخبرها أن المتصل كان عمر البطاوي، فسألته مشدوهة: عمر البطاوي الممثل؟ هزَّ لها رأسه بالإيجاب، جلست على الكرسي أمام التسريحة وخلعت الفوطة من فوق رأسها وأمسكت بمجفف الشعر وهي تسأله ماذا يريد منه.

لم يجبها، بل بدا ساهِمًا تائهًا، لاحظت سمر في المرآة تغيُّر ملامح وجهه، فوضعت المجفف على التسريحة ونهضت، أحاطت رقبته بذراعيها واحتضنته من الخلف، طبعت قُبلةً على وجنته وكررت عليه نفس السؤال، تردَّد لثانيتين ثم أجابها شاردًا دون أن تتغيّر ملامح وجهه:

- معرفش ليه اعترف لي إنه هو اللي بلغ.

- معقول هو اللي عمل كده؟ طب ليه؟

- أكيد لأ.. مش هو اللي بلغ طبعًا.

- إيش عرفك؟ مهو اعترفلك أهو.

- بيكدب.. مش هو اللي بلغ لأن ببساطة أنا اللي بلغت.

ابتعدت عنه ووقفت أمامه مُتفحصة ملامح وجهه وقد بدت مندهشة، سألته بارتياب:

- طب ليه عملت كده؟ كان المفروض حتى تقولّي.. على الأقل كنت أبقى عارفة.

- حبيبتي بالعكس، كان المفروض مقولكيش ساعتها.

- بس من حقي دلوقت أعرف ليه عملت كده.

اقترب منها واضعًا يده على خصرها ثم قبّلها وجذبها إليه:

- دي حاجة هتفيدني في شغلي على المدى البعيد يا حبيبتي.. خصوصًا في ظِل الركود ده. المهم دلوقت سيبيني أتصل بالمراكبي ده أشوف إيه اللي هيتم. اقعدي بقى وظبطي لنا برنامج حلو في السفرية دي.

أمسك هاتفه وأخذ يبحث عن اسم هذا المراكبي، ومن

حسن حظه أنه كان مُسجَّلًا على حسابه في جوجل، وليس في الهاتف الذي كان معه حينها، لكنه كان مسجلًا بـ "مراكبي أبو قير"، دون اسم عَلَمْ. دعا من الله ألا يكون قد غيَّر الرقم، كي يوفر عناء البحث عن شخصٍ آخر.

حين ضغط على زر الاتصال رنَّ الهاتف فحمد الله، حينما رن الهاتف انتفض مرجان أبو طالب من مكانه وانتزع من شروده في وقية الحشيش التي يزنها ويُقَسّمها إلى عشر قطع متساوية، تمهيدًا لتغليفها بالسوليفان وبيعها في اليوم التالي..!

- يا رازق يا رزاق.. ارزقنا من فضلك وعفوك ورضاك.. قالها وأمسك هاتفه مجيبًا بصوتٍ أجش:

- سلامه عليكم.

- أيوه يا معلم، أنا كريم سحاب، مش عارف إنت فاكرني ولّا لأ.. أنا...

قاطعه الرجل ناهِضًا، أيوه أيوه عارف سعادتك، كريم بيه. عامل إيه يا سعادة الباشا، أنا بسمع عن معاليك سمع خير من بعد ما سيبت إسكندرية وعرفت إنك ماشاء الله ربنا فاتحها عليك، ومن ساعتها مشيت وقلت عدّوا لي.

- حبيبي يا معلم، معلش بس فكّرني باسمك.

- مرجان.. خدامك مرجان أبو طالب سعادتك.

- طب بقولك إيه يا أبو طالب. كنت عاوز أعرف إيه أخبار جزيرة نيلسون (1).

- جزيرة جريشة سعادتك.. حلوة وزي الفل.. حضرتك عاوز تروحها؟

- آه.. بس عاوز أعرف هي بتكون زحمة؟

- لا خالص الأيام دي الدنيا نايمة بسبب الزفت الكورونا. والمفروض إننا واقفين مش شغالين والحكومة في الميناء هناك بيرخموا ومانعين أي رحلات ليها اليومين دول.

حين بدأ فيروس كورونا يشتد أصدرت إدارة ميناء أبو قير قرارًا بمنع أي مركب من المراكب أن تنقل أي شخص إلى الجزيرة؛ لأن الحظر في تلك الفترة كان يبدأ فعليًا الساعة السابعة مساءً، لكنهم كانوا يغلقون الميناء بداية من الساعة الرابعة عصرًا ثم بعد ذلك وجدوا أن بعض المراكب تعود بعد الساعة الخامسة وأحيانًا السادسة والسابعة، فقرروا أن يريّحوا أنفسهم ويمنعوا إقلاع المراكب من هناك نهائيًّا.

سأله كريم ما العمل إذًا..! فأخبره مرجان أبو طالب ألا يقلق، وأنه سوف يتصرف. هو يعرف جيدًا أن كريم سوف يكون

سخيًا معه ويعطيه فوق حقه ثلاثة أو أربعة أضعاف. وقد أكَّد له كريم ذلك بشكل مباشر حين سأله كم سيأخذ في تلك الرحلة، فأخبره الرجل أنه يأخذ خمسمائة جنيه. قال له كريم أنه سيقضي هناك يومين (الخميس والجمعة). يقلهم في الغد ثم يرجع إلى الإسكندرية، على أن يعود إليهما مرة أخرى بعد يومين ليعيدهما، وسوف يدفع له ثلاثة آلاف جنيه. لمعت عينا أبو طالب ووافق على الفور، وأخبره أنه كي يهرب من إدارة الميناء سوف يأخذهما من منطقة أخرى بعيدة نوعًا ما عن ميناء أبو قير.

بعدما أغلق المكالمة أخبر سمر بأن كل شيء على ما يرام، ففرحت جدًّا بذلك، طلبَ منها أن تجهز برنامج لما سيفعلانه في هذين اليومين اللذين سيقضيانهما على تلك الجزيرة، وترتب كل ما سوف يأخذانه معهما، ثم تركها ودخل غرفته مرة أخرى وأغلق على نفسه من الداخل.



في اليوم التالي

بينما ذهبت سمر إلى كارفور وعدة أماكن أخرى لتشتري كل ما يحتاجانه في الجزيرة، كان كريم في الطريق إلى شركته التي لم يكن فيها أحد سوى موظفي الأمن، وسكرتيرته التي دخلت عليه مُمسِكة بملف به أوراق مهمة

تحتاج إلى توقيعه قبل فترة الإغلاق، حين وضعت الملف على مكتبه لاحظت عليه وجومًا ليس معتادًا أن تراه فيه، سألته عما به فأشار إليها أن تجلس، ساد الصمت بينهما بينما كانت منتظرة أن يتحدث. فبدأ كلامه بعد دقيقتين، قائلًا لها وقد ارتسم على وجهه ابتسامة يشوبها بعض القلق:

- عارفة يا ابتسام.. أنا سعيد جدًّا إنك معايا من الصفر لحد اللي وصلت له دلوقت.. إنتي مثال للشخص الأمين اللي يعتمد عليه.

ردت عليه بنبرة بها شجن:

- يا كريم أنا هفضل طول عمري تحت أمرك وهفضل دايمًا حريصة على الاهتمام بيك وبشغلك. وده شيء أتشرف بيه. ده بغضّ النظر إنك مش مخليني محتاجة حاجة، كفاية المرتب اللي عمري ما كنت أحلم بيه.

- ده أقل شيء أقدمهولك يا ابتسام.. قولي للموظفين إن إجازتهم هتمتد لعشر أيام، وباقي الشهر هييجوا نُص يوم بس. ومرتبهم ماشي عادي.. مُهمتك بقى تظبطي الإجراءات الاحترازية في الشركة. وتتابعي مع التسويق اليفط بتاعتنا والدعاية. لأني هسافر يومين كده.

سألته مندهشة:

- هتسافر فين يا كريم؟! العالم كله مقفول.

- هروح جزيرة في إسكندرية يومين تلاتة.

قالها ثم سحب ظرفًا من درج مكتبه ووضعه أمامها مُستطرِدًا:

- الظرف ده جواه حاجات مهمة يا ابتسام، لو حصلي أي حاجة إديه لشروق..

- حاجة زي إيه؟ إنت كده هتقلقني عليك.

في هذه الفترة بالتحديد كان قلبه يشعر بشيءٍ ما، شيء غامض لا يعرف ما هو، لكنَّ عداءه مع البطاوي لن يمر مرور الكرام. ووجد أن هذين اليومين اللذين سيقضيهما مع سمر سوف يخرجانه مما هو فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى يعطي لنفسه الفرصة للتفكير فيما سيفعله معه حينما يعود. وفي أغلب الأحيان سوف يصل الأمر إلى الدم، يجب عليه التخلص من البطاوي في حالة عدم إيجاد أي طريقةٍ أخرى. انتزعته ابتسام من شروده مُكررة ما قالت: أرجوك يا كريم متقلقنيش عليك. في حاجة قالقاك؟ قولّي أرجوك. ابتسم لها ابتسامة خفيفة وطمأنها بالكذب:

- لا متقلقيش.. المفروض إني دايمًا خايف على حياتي، والإحساس ده ملازمني على طول وإنتي عارفة ده كويس.

كان المفروض أدي الظرف ده للمحامي بتاعي لكن محستش إنه ممكن يتصرف أحسن منك.

- طب معلش عندي سؤال، ليه ما إديتش الظرف ده لمدام سمر؟

أطلق ضحكة قصيرة ثم أجابها مُتقضبًا: - لأنها ببساطة هتكون معايا في السفرية دي. قالها ثم أعطاها الظرف الذي يحتوي على فلاش ميموري محمية بكلمة سر، مرفق معها ورقة مكتوب عليها: "كلمة السر هي اسم الفندق اللي قضينا فيه شهر العسل".. لا أحد يعرف اسم هذا الفندق غيرهما. داخل الفلاش ميموري ملف إكسيل شيت به كل شيء عن ممتلكاته، وكلمة سر الخزينة التي تحتوي على سبائكه، ومكان الخزينة، رغم أنه لا يثق في أي شخص، لكنه يعلم جيدًا أن الشخص المناسب الذي يجب أن يعرف كل شيء عن ممتلكاته المخفية بعد مماته هي شروق، بصفتها أم أولاده، وبالتأكيد ستكون حريصة على أن يرثوا كل تلك الممتلكات. وبالتأكيد لن تطمع في شيء لأن عينيها ممتلئتين، ولن تضر أولادهما بالطبع. المهم هو ألا تطلع على كل أسراره وممتلكاته إلا بعدما يفارق الحياة؛ لأن في تلك الحالة لن يخاف على شيء، وما الذي سيخاف عليه بعدما فقد حياته!! ذلك الشعور كان دائمًا يخامره، الشعور بأنه

اقترب من الموت، ولديه أسباب كثيرة تجعل هذا الشعور ينتابه، لذلك كان حريصًا على كتابة وصيته وأودعها لدى محامٍ كبيرٍ ومشهور تعاقد معه مؤخرًا، وكانت وصيته تنصُّ على أن تؤول أكثر من ٨٠ بالمائة من ممتلكاته إلى أولاده، والباقي لسمر. تلك المرأة التي رأى فيها الحضن الدافئ الذي طالما افتقدَهُ، ويعرف جيدًا أنها لن تبدي أيَّ ضيقٍ حين تعرف أنه كتب لها عشرين بالمائة فقط من ممتلكاته.

اتصل به مرجان أبو طالب ليخبره أنه سينتظره في الغد، الخميس، ٢٦ مارس ٢٠٢٠، الساعة الرابعة فجرًا. في مكان يسبق أبو قير بحوالي ثلاثة كيلو مترات. اتفق معه كريم على كل شيء وتأكد أن الجزيرة لن يذهب إليها أحد لأن الميناء قد تم غلقه بالفعل كما أخبره، وتم منع أي مركب من الإقلاع، وفرضت إدارة الميناء غرامات باهظة لمن يخالف ذلك، وعقوبات قد تصل إلى سحب رخصة الإبحار نهائيًّا، فامتثل كل المراكبية لتلك القرارات، ولزموا بيوتهم، ليس فقط المراكبية، ولكن معظم سكان مصر في تلك الأيام قد لزموا بيوتهم، بل كل العالم.

لكن كل هذا لن يمنع أبو طالب من المجازفة والمخاطرة، فثلاثة آلاف جنيه في تلك الأيام يستحقون المخاطرة. اتفق على كل شيء مع كريم الذي ذهب إلى البيت فوجد سمر قد

جهزت كل أغراضهما، سألته هل سيذهبان بسيارته، فكر كريم في الأمر ووجد أن الأفضل أن يؤجر سيارة ليموزين، اتصل بأحد المكاتب الذين أخبروه أنه غير متاح تأجير سيارة بسائق أو حتى بدون، نفس الحال كان مع عدة مكاتب، فقرر أن يذهب بسيارته وسائقه، على أن يعود السائق بالسيارة بعد ذلك، وحين يعود بعد يومين يتصل به ليرجع له مرة أخرى. اتصل بسائقه ليخبره أن يحضر في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وقد وصلوا بالفعل إلى المكان الذي أخبره عنه مرجان أبو طالب، الذي تهلّلت أساريره حين رأى كريم سحاب وقد تغيّر شكله تمامًا عما كان عليه منذ ثماني سنوات، أعطاه كريم الظرف الذي يحتوى على خمسة آلاف جنيه ليس ثلاثة آلاف كما اتفقا، فقفز الرجل من الفرحة ثم بدأ في نقل مستلزماتهما من السيارة إلى المركب، بل كان يود أن يحملهما شخصيًا، ولم تمر أكثر من نصف ساعة حتى انتهى من نقل كل أغراضهما قبل أن يسمي الله الرحمن الرحيم وينطلق مُغادرًا الرصيف، المسافة من مكانهما إلى الجزيرة حوالي سبعة كيلومترات ولم تأخذ المركب سوى ثماني ووأربعين دقيقة حتى وصلوا إلى هناك، أنزل مرجان أغراضهما على الشاطئ، ونصب لهما خيمتهم ثم سأل كريم إن كان يريد أي شيءٍ آخر فشكره وأعطاه خمس ورقات أخرى فئة مائتين جنيه، لمعت عينا الرجل وامتلأ قلبه

بالفرحة والحبور حتى كاد ينحني على الأرض ليقبل قدمي كريم، ثم استأذنهما وغادر بعدما أكد عليه كريم أن يعود مساء الجمعة. كان الطقس على الجزيرة رائعًا ومعتدلًا. لم تكد مركب مرجان أبو طالب تختفي عن ناظريهما حتى قفزت سمر فرحًا ودارت حول نفسها مُبتهِجة، تطلع كريم إلى حسن وجهها الوضاء، أمسك يدها وقبّل باطن كفها ثم ضمها إليه في شوقٍ بالغ..

- يلّا بقى نحضر الأكل عشان أنا ميتة من الجوع.. قالت سمر التي ارتدت مايوه أسود اللون. في حين دّس كريم مسدسه المُرخص إيطاليّ الصنع ماركة بيريتا FS92 بين ثنايا ملابسه بينما كانت سمر منهمكة في البحث عن الحقيبة التي تحتوي على الطعام، ثم نهض وضمّها إلى صدره وقال لها مُبتسِمًا:

- مش مهم الأكل دلوقت.

قبّلها متابعًا:

- المهم الشُّرب يا حبيبة قلبي، الأيس بوكس فيه ازازتين ويسكي وواحدة كونياك والباقي بيرة. عاوزين النهارده نشرب ونعيش ليلة جامدة أوي.

طوال حياته لم يشعر بتلك السعادة من قبل، قضى مع سمر

وقتًا ساحرًا بعدما تناولا فطورهما وشربا نصف زجاجة الويسكي قبل أن ينزلا البحر لساعة ونصف ثم دخلا الخيمة مرة أخرى وأمسك بهاتفه فوجد أن الساعة الثالثة عصرًا، كانت سمر قد شعرت حينها بالإرهاق فاستلقت على ظهرها وفي غضون دقائق غابت عن الوعي وغطت في نومٍ عميق، حاول كريم إيقاظها لكنه فشل، فقبّلها ثم خرج من الخيمة وفتح إحدى الحقائب ملتقطًا علبة بها جبنة رومي وخبز وخيار مخلل، أعدَّ لنفسه ثمانية سندوتشات له ولسمر، أكل منهم خمسة ثم دخل ليوقظها لكنها أبت بغنجٍ أن تستيقظ، مشى بأنامله على شعرها فجذبته إليها لينام بجوارها قليلًا، لكنه أفلت يده من يدها برفقٍ وخرج من الخيمة ليشرب قليلًا من الفودكا وهو جالس على الشاطئ. بعد نصف ساعة عاد مرة أخرى إلى الخيمة ليأخذ سجائره فوجد سمر ما زالت نائمة، ظلَّ يتأمل قسمات وجهها مبتسمًا. تساءل في قرارة نفسه مُتعجبًا كيف استطاعت دون بذل أي مجهود أن تجعله يعشقها كل هذا العشق..؟!

كان قد اتفقا أن يخصص لها ثلاثة أيام في الأسبوع أو أربعة أيام، لكنه قرر في تلك اللحظة أن يعيش معها ستة أيام في الأسبوع على أن يذهب إلى أولاده يومًا واحدًا في الأسبوع، رغم أن هذا صعبٌ عليه. لكنه ينظر إلى الأمر بشكلٍ مُختلف، فهو لن يعيش إلا حياة واحدة، لا يمتلك غيرها،

ويجب عليه استغلال هذه الحياة ويعيشها على نحوٍ أمثل، ولا يملك أيّ استعداد ليضحي بسعادته من أجل أي شخص، حتى لو كانوا أولاده، فحين يكبرا ويخبرهما أنه تحمَّل من أجلهما الكثير وعاش معهما على حساب سعادته التي ضحى بها من أجلهما، لن يقولا له سوى كلمتين "ما الذي أجبرك على هذا؟" وحينها لن يستطيع أن يلومهما. أو على أكثر تقدير لن يقولا له أكثر من كلمة "شكرًا"..

هذا إن قالوها!

أمسك هاتفه مرة أخرى ليضبط المنبه لكن تفاجأ أن الشبكة ليست موجودة، رغم أنها كانت موجودة على استحياء حين كانوا في عرض البحر في الطريق إلى الجزيرة. نهض من مكانه وابتعد عدة أمتار علَّه يلتقط أي شبكة لكن بلا جدوى، لم يدع الفرصة لأفكاره أن تتداعى في عقله، وعاد مرة أخرى إلى الخيمة فوجد سمر قد بدأت تستيقظ. سألها بنبرة بها بعض قلق:

- سمر تليفونك فيه شبكة؟

أجابته وهي تتثاءب: - معرفش يا حبيبي.. إشمعنى؟

طلب منها أن تفحص هاتفها، ففعلت ووجدته بدون إشارة أيضًا، دلكت عينيها وأغلقت هاتفها ثم أعادت تشغيله مرة

أخرى، فوجدت نفس الشيء، ليس به إشارة.

- هو أصلًا يا كريم مكانش في شبكة لما جينا الجزيرة.

- إزاي؟ تليفوني كان فيه شبكة.

- لا يا حبيبي، آخر ثانية التليفونات كان فيها شبكة لما كنا في وسط البحر في أقرب نقطة لسان ستيفانو. بعد ما عدينا تجاه الجزيرة الشبكة راحت، وأكيد هنا مش هنلاقي نهائي.

- وبعدين بقى في المشكلة دي؟

- فين المشكلة دلوقت يا حبيبي؟ ما هو كده كده المراكبي هيجيلنا.

- وافرضي مجاش أو نسي؟

- استحالة.. أولًا إنت مظبطه.. ثانيًا هو حريص إنه ينفذ كل طلباتك..

لم يرد بأي حرف وأخذ يفكر في كل الاحتمالات التي يمكن أن تحدث، حينئذٍ شعرت سمر بقلقه الذي تسرّب إلى دواخلها هي الأخرى ونهضت شاردة:

- مالك يا كريم بتفكر في إيه؟ بقولك إيه متوترنيش إحنا كده هنقضي الإجازة في توتر ولا كإننا عملنا حاجة!! كنا قعدنا في البيت بقى وخلاص.. وبعدين إحنا معانا أكل كتير،

وآدينا قاعدين مستمتعين ببعض.. مالك بقى؟!

- مليش يا حبيبتي.. خلاص تمام.

شعر أنها بدأت تتوتر ونهضت لتقف على الشاطئ وتنظر إلى الأفق وهي تزم شفتيها، ندم حينها أنه صرَّح لها بما يفكر فيه ويدور في عقله، اقترب منها محاولًا أن يزيح عنها الأفكار والهواجس. صبَّ لها كأسًا فرفضت أن تشرب دون أن تأكل أي شيء أولًا. أعطاها سندوتش وأكلت ثم شربت كأسًا من الويسكي، وما إن انتهت حتى ناولها كأسًا أخرى، ظلت تشرب معه كأسًا تلو الكأس حتى شعرت أنها ثملت وغابت قليلًا عن الوعي، نفس الشعور الذي انتابه حينها. بدأ الليل يسدل أستاره، والسماء كانت صافية تلتمع فيها النجوم، فأرسل القمر الفضي المُكتَمِل ضوءه عليهما، فساعد ذلك على بث الطمأنينة في روحهما. قضيا حينها وقتًا عاصفًا ممتلئًا بالحب الممزوج بالرغبة والشبق. حتى استلقيا مكانهما وغابا في سباتٍ عميقٍ.

***

في نفس الوقت - التجمع الخامس

بعد أن بدأت الشوارع في الهدوء وخلوّها من السيارات والمارة بسبب الحظر، وصل البطاوي أمام فيلّا كريم سحاب،

ومعه أربعة من رجاله، تهجّم أحدهم على الحارس وأحكم سيطرته عليه بسهولةٍ ويُسر، ثم جاء دور فنيّ الكاميرات المُحترِف، والذي كانت مهمته فصل الكاميراتين المثبتتين أعلى البوابة، بالإضافة إلى فصل جهاز الإنذار، جاء بعد ذلك رجلان آخرين استطاعا كسر الباب الخلفي الخاص بالمطبخ، ومنه استطاعوا دخول الفيلّا التي لم يكن بها شيء ثمين يخاف عليه كريم، لأن كل ما يخاف عليه مخفيّ في مكان آمن مؤمن تمامًا من وجهة نظره، لكن عمر البطاوي ورجاله كان لهم رأي آخر، قصدوا غرفة مكتبه في الدور الثاني، وأزاحوا المكتبة فوجدوا الخزينة أمامهم، قويّة، أبيَّة، شامخة. تتحداهم أن يستطيع أحدهم كسرها أو اختراقها، لكن رجال البطاوي كانوا يملكون أهم شيئين للتغلُّب عليها، الوقت الكافي والعِدد والآلات الحديثة لكسرها بسلاسة مُنقطِعة النظير. لم تمر أكثر من ثلاث ساعات ونصف حتى استطاعوا كسرها. لمعت عينا البطاوي حين رأى سبائك الذهب مرصوصة أمامه ولامعة. ودَّ أن يجلس هكذا ساعتين أو ثلاث ساعات يُملي عينيه منهم، لكنه للأسف لا يملك الوقت الكافي لذلك، فأجّل تلك الجلسة حين ينفرد بهم فيما بعد.

أشار لرجاله أن يبدأوا في وضع تلك السبائك في صندوق ويغادروا في أسرع وقت. وبالفعل لم تمر أكثر من ربع ساعة

حتى انتهوا من رص السبائك، وفني الكاميرات استطاع الوصول إلى جهاز تخزين وتسجيل الكاميرات ونجح في فصله وأخذه بالكامل معه..!! ثم اتصلوا بأحد رجاله الذي كان يراقب بالخارج فطمأنهم أن كل شيء يسير على ما يرام ويستطيعون الخروج. فخرجوا في سلامٍ آمنين، ثم وضعوا الصندوق في حقيبة السيارة الخلفية قاصدين فيلّا البطاوي. قابل في الطريق ضابط مرور استوقفه طالبًا رخصة قيادته لأنه يسير في الشارع في وقت حظر التجول الذي فرضته رئاسة الوزراء، فأعطاها له البطاوي وهو يعتذر لأنه لم يشعر بالوقت أثناء تصوير آخر مشاهد مسلسله القادم في رمضان، رأى الضابط الرخصة ثم أعادها إليه بعد أن حرّر له غرامة. دفعها البطاوي وانصرف مع رجاله مُتجهًا إلى فيلّته. وكان هناك بعد تسع عشرة دقيقة، وما إن دخل الفيلّا نادى على الخادمة لتعد له فنجان قهوة ثم أشعل سيجارًا، قبل أن يصعد إلى الطابق الأعلى ويدخل غرفة نومه ليجد زوجته، نبيلة خورشيد، مقتولة بجرحٍ قطعيٍّ في الرقبة.. من الأذن إلى الأذن..!

صرخَ صرخة عالية اهتزت لها منطقة التجمع الخامس بأكملِها، فتجمع الخدم والحرس ودخلوا غرفة النوم ليجدوه يهز فيها ويحتضنها مُنتحِبًا صارخًا..

حضرت سيارات الشرطة بعد وقتٍ قليل من بلاغ الحارس الشخصي للبطاوي، ومن بين تلك السيارات التي وقفت أمام الفيلَّا، نزل المقدم زياد ضرغام. دخل الفيلَّا قاصدًا الطابق الأعلى مُباشرة ومعه أفراد البحث الجنائي الذين انتشروا سريعًا في مسرح الجريمة ليمسحوا المكان جيدًا ويفحصوه، بينما في الخارج أخذ يتزاحم عشرات الصحافيين، يريدون التقاط أي صور أو أخذ أي تصريح، وفي الداخل جلس عمر البطاوي على درجات السلم يبكي، ينوح، وقد بدا منهارًا من هول ما حدث، بينما في الأعلى كانت جثة نبيلة خورشيد. وما إن انتشر الخبر على القنوات ووسائل التواصل الاجتماعي حتى ساد الحزن على كل من يعرف الخبر أو يسمع عنه، ففنانة مثل نبيلة خورشيد ليست كأي فنانة، إنما تاريخ، عشرات الأعمال الفنية سواء أفلام، مسلسلات أو مسرحيات. أعمال خلدتها السينما المصرية والعربية، ومن خلالها عرفها وأحبَّها جمهور عريض، ليس عشرات بل مئات الملايين. والذين قلما يجتمعون هكذا على حزن لفراق شخص ما. ليس فقط لأنهم أحبوا أعمالها، بل أيضًا لأنهم أحبوا الحالة التي فيها مع زوجها الممثل القدير عمر البطاوي، والذي ارتبط وجوده بوجودها أمام الجمهور، فهم يحبون دائمًا أن يروهما معًا.

بعدما انتهى رجال البحث الجنائي من معاينة الفيلَّا

بالكامل، وحرزَ كل الأدلة التي وجدوها، اقترب زياد ضرغام من عمر البطاوي الذي ما زال مُنهارًا من البكاء، وبجواره المحامي الخاص به وبعض أصدقائه المقربين ورجاله، أخبره الضابط أنهم سينقلون الجثة إلى المشرحة لفحصها وتشريحها. وبعدها سيستدعونه كي يستجوبوه عما حدث، فأخبرهم المحامي الخاص به أن البطاوي مستعدًا لأي استجواب، ولكن بعد يومين على الأقل، حتى يستطيع تمالك نفسه ويستفيق من تلك الصدمة.

رفع رجال الإسعاف جثة نبيلة خورشيد، هرع إليها زوجها زاحفًا، محاولًا إلقاء نظرة أخيرة عليها، الصور التي استطاع بعض الصحفيين التقاطها له في هذه الحالة قد جالت كل وسائل التواصل الاجتماعي وأضافت إلى حزن الجمهور حزنًا على حزنهم، فهم يعرفون جيدًا رد فعل البطاوي بعد حدثٍ كهذا.

قبّل عمر البطاوي قدميها وعيناه مغرورقتان وأخذ يتفوه بكلامٍ غير مفهوم حتى سقط مُغشيًا عليه من الصدمة وشدة الحزن..!

وتم نقله في نفس السيارة إلى المستشفى..!

***

في نفس اليوم - الخميس ٢٦ مارس ٢٠٢٠

الساعة الثامنة مساءً

وعلى بُعد سبعة كيلومترات ومائتين وثلاثة وتسعين مترًا من الجزيرة، بالقرب من شاطئ البحر المتوسط داخل عشة من الخوص، يخرج من بين خصاصها دخان سيجارة حشيش في يد أبو طالب، بالإضافة إلى ست زجاجات بيرة، قد اشتراهم للتوّ ليقضي بهم سهرته هو وأصدقاؤه المراكبية الذي كانوا مستغربين من بزخه غير المعتاد هذا، لكنه في ذلك اليوم قرَّر أن يُخصّص خمسمائة جنيه من المبلغ الذي أخذه من كريم ليرفه بهم عن نفسه. ودعا أصدقاءه الذين طالما دعوه على سهراتٍ كهذه. بالإضافة إلى أنَّ أحدهم أحضر امرأة لتقضي الليلة معهم، وبما أن صاحب السهرة هو مرجان، فقد اتفقا على أن يكون هو من يفتتح الليلة معها، ناوله أحدهم مقويًّا جنسيًّا، وما إن دخل معها العشة المجاورة واقتربت منه المرأة حتى بدأ يشعر بدوارٍ شديدٍ وارتفع ضغط الدم لديه، ثم بدأت عضلة قلبه في الخفقان بقوة، وتسارعت أنفاسه حتى شهق فجأة وسقط غائبًا عن الوعي..!

في نفس الوقت بالإسكندرية أيضًا..

في فندق سان ستيفانو حيث يجلس عامر قنديل بشقته

الفندقية هناك، يتفق مع رجاله على تفاصيل حملته الانتخابية القادمة، والتي يجهز لها قبلها بمدةٍ كبيرة. وبعدما انتهى من الاجتماع رحل الجميع عدا سكرتيرته التي اقتربت منه في غنج تسأله عن الوعد الذي وعدها به.. لم تُكمِل جملتها حتى دسَّ يده في جيبه ليخرج منه شيكًا قيمته مليون جنيه:

- عامر قنديل عمره ما يرجع في كلامه، ومايقدرش يرفضلك طلب يا حبيبتي. بس خِفّي شوية من المصاريف والطلبات. لسه كنت جايبلك عربية بسبعُمية وخمسين ألف من شهرين، لحقتي تزهقي منها؟

قالت له مُتَبَرِمة: - يعني يرضيك يقولوا سكرتيرة عامر قنديل معاها عربية موديل السنة اللي فاتت؟ وبعدين أنا مش سكرتيرتك بس.. أنا حبيبتك كمان، سرك اللي محدش يعرف عنه حاجة ومستعر إننا نتجوز ومع ذلك راضية وساكتة.

- بقولك إيه إحنا اتكلمنا في الموضوع ده مليون مرة، وده كان اتفاقنا من الأول، وعلى فكرة حبي ليكي مش بسبب إنك جميلة، لأ.. أنا بحبك عشان انتي أكتر شخص مُخلِص عرفته في حياتي وبيخاف عليّا. لكن بلاش سيرة الجواز دي لأنها هتضر أكتر ما تفيد.

- ولا يهمك يا حبيبي. قالتها وهي تأخذ منه الشيك وتضعه على المنضدة أمامها ثم التفتت إليه مرة أخرى: - مالك يا حبيبي حاساك وشك متغير شوية ومش في الموود بقالك يومين؟

سعل عدة سعلات متتالية قبل أن يجيبها:

- معرفش مالي اليومين دول فعلًا.. حاسس إن جسمي همدان.

أردفت وهي تجس بظهر يدها على رقبته:

- وحرارتك عالية شوية.. قالتها وشردت لثوانٍ وقد تبادر إلى ذهنها أنه ربما يكون قد أصيب بفيروس كورونا. خفق قلبها بقوة ثم نهضت مذعورة، مُبتعدة عنه قليلًا: - معقول ممكن يكون اللي في بالي؟!

لم يجبها سوى بكلمتين غير واضحتين ثم انتابته نوبة سعالٍ أخرى قبل أن ينتفض فجأة وهو يتقيأ كل ما في معدته، ابتعدت عنه فجأة وهي تنظر له هَلِعة، مُحاوِلة كتم صراخها، ظلَّت تراقبه وهو مرتمٍ على الأرض وقد تقيأ مادة مائلة للاصفرار، فكرت ماذا تفعل لكنها أُصيبت بشلل في التفكير حينها، مُتذكرة أنها كانت تُقَبِّله منذ دقيقتين، وإن كان مصابًا بكورونا فبالتأكيد سيكون قد نقل لها العدوى!

أخذت تصرخ كالمجنونة وتركته لتغادر الشقة كي تجري مسحة في أي مكان أو تقوم بأي إجراء لتطمئن على نفسها، لكنها حين وصلت إلى الباب وأمسكت بالمقبض تذكرت الشيك، المليون جنيه، وقد تركته على المنضدة، عادت لتأخذه ثم ألقت عليه نظرة أخيرة وقد خفتت حركته وسكن تمامًا. عبرت من فوقه ورحلت مُلتاعة..!

كان ذلك حين اكتشفت ابنته سلمى بالصدفة، أن زوجها يتاجر في المخدرات، مُستغِلًا سُلطته كضابط شرطة، اكتشفت ذلك عن طريق تفتيش هاتفه، اتصلت بوالدها على الفور فلم تجد ردًا منه. بعد حوالي ساعة ونصف وقد هاتفته أكثر من خمس مرات بدأ القلق ينتابها، اتصلت بسكرتيرته لتسألها عنه فأخبرتها أنها لا تعرف عنه شيئًا، أخذت سيارتها وذهبت إلى الفيلّا الخاصة به فلم تجده، وأخبرها الخدم أنه لم يأتِ منذ أن غادر في الصباح. تذكرت شقته الفندقية بسان ستيفانو، اتجهت مباشرة إلى هناك وبالفعل وجدت سيارته في الجراج حين ركنت سيارتها، صعدت الشقة وظلّت ترن الجرس فلم تلقَ أيَّ ردٍّ، تأكدت حينها أن به خطبًا ما، اتصلت بإدارة المبنى كي يكسروا باب الشقة، بعد التأكد من هويتها وأنها ابنته أرسلوا معها حارسين أشداء، كسرا الباب فوجدته منكفئًا على وجهه، هب الحارسان كي يحملاه لكنهما سرعان ما تراجعا فجأة وخرجا من الشقة حين شكا في أنه ربما

مصاب بكورونا. رغم ذلك لم تتردد ابنته في الاقتراب منه وقلَّبت جسده كي ينام على ظهره ربما يدخل رئتيه بعض من الهواء. ثم التقطت هاتفها لتتصل بالإسعاف التي حضرت بعد نصف ساعة لينقلوه إلى أقرب مستشفى عزل خاصة.. وهناك تأكدوا أنه مصاب بكورونا، فوضعوه في العناية المركزة على أجهزة التنفس الصناعيّ.

***

صباح اليوم التالي

الجمعة ٢٦ مارس ٢٠٢٠

التجمع الخامس - شارع التسعين الشماليّ

خرجت شروق من بوابة الفيلَّا قاصدة القطامية لتزور والديها، وفي الخلف يجلس ابنها ممسكًا بالهاتف وبجواره أخته شِبه نائمة، في الطريق لمحت عبر المرآة سيارة رباعية الدفع تتبعها، وبعد قليل حاولت تلك السيارة أن تجتازها وتمر بجانبها، فلم تأبه لذلك، مُحاوِلة جمع شتات نفسها والسيطرة على خوفها، لكن ما حدثَ هو أن السيارة حاولت قطع الطريق عليها. كان ذلك عند أحد الدورانات، فاستغلت اجتياز السيارة لها وهدأت سرعتها مستخدمة ذلك الدوران لتعود مرة أخرى وتهرب من تلك السيارة التي توقفت فجأة،

وعادت بظهرها لتطاردها من جديد، وبعد حوالي ثلاثة كيلومترات نجحت في قفل الطريق على شروق، كان الشارع شبه خالٍ، نزل رجلين ضخمين من السيارة، لكمها أحدهما قبل أن تصرخ بينما الآخر رش على أولادها المذعورين مسحوقًا فغابا عن الوعي في الحال، ثم حملهما ووضعهما في سيارتهما ورحلا، لم تمر خمس دقائق حتى مرَّت بجوارها سيدة بسيارتها فارتابت في الأمر، لا سيما حين نزلت من سيارتها وحاولت إفاقتها فلم تنجح في ذلك إلا بعد عدة محاولات، وما إن استفاقت شروق حتى أخذت تتلفت حولها يمنة ويسرة في لهفة فلم تجد أولادها، صرخت حينها وأخذت تبكي منهارة والتقطت هاتفها من حقيبتها لتتصل بكريم، والذي كان هاتفه خارج نطاق الخدمة، فغابت عن الوعي مرة أخرى. تجمّع بعض الشباب والفتيات محاولين إيجاد أيّ شيءٍ يوصلهم بأهلها إلى أن تعرفت عليها إحدى صديقاتها في النادي وأجرت عدة اتصالات لتتصل في النهاية إلى رقم والدها، الذي جاء على الفور وبلّغ الشرطة بما حدث قبل أن ينقلها إلى المستشفى الجوي..

وما زالت غائبة عن الوعي تمامًا.

***

في نفس الوقت.. الإسكندرية

كان عادل مهدي جالسًا في الشرفة المطلة على البحر يتحدث في الهاتف مع أحد الأطباء المشرفين على علاج حَمِيه عامر قنديل، والذي أخبره أن حالته تسوء بالتدريج، وأن نسبة الأكسجين في الدم لديه منخفضة جدًّا، وربما لا يستطيع اجتياز الأيام القادمة. فقال له عادل متظاهرًا بحزن عميق: - لا إله إلا الله.. زعلتني جدًا والله يا دكتور.. ربنا يقومه لنا بالسلامة ويرجعه أحسن من الأول.

بعدما أغلق المكالمة التقط علبة سجائره وأشعل سيجارة وهو شاردٌ يفكر في سيناريوهات ما بعد وفاة عامر قنديل، مُتخيّلًا شوكة ابنته التي ستنكسر، وكرامته التي سيستردها منها بعد ذلك، وها هو الآن بينه وبين ما يتمنى مجرد أيام، وقد لاحظ أن معظم كبار السن لا يستطيعون النجاة من فيروس كورونا، خصوصًا هذا الكهل الذي يصل صباحه بمسائه وهو مُمسكٌ بكأس الخمر. ظلَّ يفكر ويفكر في سيناريوهات كثيرة كلها تنتهي لصالحه، حتى انطلق فجأة في الضحك بشكلٍ هيستيريّ، كان ذلك حين لمح زوجته سلمى قنديل في انعكاس زجاج الشرفة وهي تلتقط حقيبة يدها. أقبل عليها مُتشفيًا شامِتًا ليسألها أين ستذهب، نظرت إليه بتقزز ولم تجبه.. اقترب منها أكثر مُكررًا سؤاله:

- هو أنا مش بكلمك؟ بقولك رايحة فين؟

رمقته بنظرة مُنكسِرة بعينين مغرورقتين:

- هو المفروض بابا في الحالة دي هروح فين غير ليه؟

انطلقت منه ضحكة أخرى بسخرية قائلًا:

- لا طبعًا لازم تروحيله، عشان كمان تملّي عينك منه عشان هيوحشك.

- مش هرد عليك.. سعلت عدة سعلات جافة فابتعد عنها خوفًا من أن تكون مصابة هي الأخرى، استطردت: - أنا عارفة إحساسك دلوقت، وعارفة إنك مستني موت بابا. لكن أحب أطمنك إنه مش هيحصل، عامر قنديل مش هيموت.. على الأقل دلوقت. هيعيش ويخرج ويخليك عبرة. اتقل بس وهتـــ...

اقترب منها وصفعها ثم أمسك ذراعها بقوة:

- أنا اللي هوريكي هعمل فيكوا إيه؟ بس كل شيء بحساب. ومش هنسبق الأحداث.. هستمتع وأنا بنتقم منك وشايفك مذلولة بعد ما الكلب أبوكي يموت.

أفلتت ذراعها من قبضته بقوة ثم حدجته بنظرة حادة ورحلت حابِسة دموعًا جاهدت بقوة ألا تسقط أمامه كي لا يتشفى فيها أكثر من ذلك، ولم تفكر في كلامه أو في أي

شيء سوى والدها. ركبت سيارتها وهي تفكر فيما ستواجهه لو حدث ما تخشاه ومات والدها، انهمرت دموعها فجأة وأخذت تتضرع إلى الله أن يخرج والدها من هذه المحنة أولًا ثم تتفرغ إلى الانتقام من عادل، نادمة على أنها عادت إليه في المرة الأخيرة، وكان يجب أن ترفض توسلاته وتطلب الطلاق. لكنها نفضت نفسها من التفكير في كل تلك الأشياء الآن، وأخذت تفكر في والدها. حين وصلت إلى المستشفى قابلت المدير في مكتبه الذي رحب بها واستدعى الأطباء الذين يتابعون حالة والدها، ولم يخبروها بشيء أكثر مما عرفه عادل مهدي، ولكن ليس هذا هو المهم، فالمهم أنهم لاحظوا أثناء التحدث معها أنها سعلت عدة مرات سعلات جافة، طلبوا منها قياس درجة حرارتها فوجدوها مرتفعة. فقرروا أخذ مسحة لها ليفحصوها وطلبوا منها الانتظار لمعرفة النتيجة التي ظهرت بعد ساعتين وكانت..

إيجابية!

في نفس الوقت الذي وصل فيه عادل مهدي إلى منزل أبو طالب مرجان كي يأخذ منه ثمن حصة الحشيش التي أعطاها له منذ أسبوع، وقد كان عليه أن يعطيه ثمنها قبل يومين، لكنه حين لاحظ تأخُّره اتصل به عدة مرات فلم يجبه؛ لذا قرر الذهاب إليه فقابل ابنه، سأله عليه فأخبره أنه

أصيب بوعكة صحية وانتقل إلى مستشفى أبو قير العام.
فسأله عادل مهدي مُنفعلًا:

- كورونا يعني ولّا عنده إيه؟

أجابه ابنه:

- فال الله ولا فالك يابيه، كورونا إيه بس.. لا طبعًا، دي جلطة في القلب. ودخل عناية مركزة.

شعر حينها ببعض الخوف والقلق، ليس على طالب أبو مرجان، ولكن على الحشيش الذي أعطاه له، فقرر الذهاب إليه في المستشفى فوجده بالفعل في غرفة العناية المركزة، قابل إحدى الممرضات وسألها عن حالته فأخبرته أنه كان بين الحياة والموت والحمد لله أنه استفاق واجتاز مرحلة الخطر منذ ساعات معدودة. تنفس الصعداء ثم طلب منها الدخول إليه والتحدث معه في أمرٍ مهمٍّ، لكنها أخبرته أن هذا الأمر ليس في يدها بل يجب الاستئذان من الطبيب النباتشي أولًا، والذي بدوره وافق حين طلب ذلك منه. في تلك الأثناء كانت الطبيبة انتهت من إعطائه الحقنة وبدّلت المحلول المعلّق بجواره ورحلت، كان مرجان مستيقظًا حينها يفكر في كريم وزوجته اللذين ينتظرانه في جزيرة نيلسون، وكان من المقرر أن يذهب إليهما اليوم، مساء الجمعة كما اتفق معهما، كيف سيذهب إليهما وهو في تلك الحالة؟! سأل الممرضة هل

يستطيع الرحيل، فأجابته أن لا، ولن يستطيع الخروج قبل ثلاثة أو أربعة أيام من الآن. رغم أن حالته الصحية بدأت في التحسن لكن ربما لو خرج قبل اكتمال العلاج تسوء حالته، خرجت الممرضة فأخذ يفكر في تلك الورطة، هل يتصل بأحد زملائه المراكبية ليذهب إلى جزيرة نيلسون بدلًا منه ويأخذهما، لكن هذا سيعرِّضه إلى مشاكل هو في غنى عنها، هذا إن وافق أحد أصلًا على ذلك، لأن خرق أمر كهذا قد يؤدي إلى إيقاف الرخصة نهائيًا.. هز رأسه في أسى محاولًا إيجاد حل، قطع تفكيره عادل مهدي الذي دخل واضعًا يديه داخل جيبه:

- إيه الأخبار يا أبو طالب؟ إيه اللي حصلك ده؟ اتحسدت وللا إيه؟

حاول أبو طالب النهوض احترامًا لكن عادل مهدي أشار له ألا يتحرك أو يتعب نفسه، فاعتدل في نومته مستندًا بظهره إلى الوسادة قائلًا: - مفيش والله يا عادل بيه، حبيت أوجب مع نفسي، لكن الواجب كان هيجيب أجلي.

- أومال فين فلوس الحاجة الأخيرة؟

- في الحفظ والصون يا بيه. أطلع بس وأديك اللي إنت عاوزه.

- ماشي.. مش مشكلة. هستناك.. أنا همشي.. عاوز حاجة؟

- آه والنبي يا عادل بيه.. عاوزك في خدمة. أنا في ورطة بنت كلب ومفيش غيرك اللي يقدر يساعدني..

- قول.. مالك؟

- كنت وديت جماعة لجزيرة جريشة، وكان المفروض أروح أجيبهم النهارده. أنا عارف إنه ممنوع حد مننا يودي ناس هناك، بس كان طالعلي منها قرشين حلوين، لكن ربنا عاقبني باللي أنا فيه دلوقت..

- ومطلوب مني أعمل إيه؟ أروح أجيب سعادتهم؟

- لا طبعًا العفو يا باشا مصر.. أنا كنت عاوز سعادتك بس تبعت حد من طرفك يجيبهم أحسن يموتوا هناك.

- ما يموتوا ولّا يولعوا

- ماهو ممكن يتعرف بأي طريقة إني أنا اللي وديتهم. على الأقل من السواق بتاعه اللي شافني وممكن يبلغ عني لو مات وحصل سين وجيم. كريم سحاب مش شوية برضه.

- كريم سحاب ده بتاع شركة سحاب؟ - سأله وقد لمعت عينيه - طب خليني أشوف هعمل إيه.. أنا هتصرف.

- شكرًا يا باشتنا.. وفلوس الحاجة هتكون عندك إن شاء

الله يومين تلاتة بالكتير.

***

صباح السبت ٢٨ مارس

جزيرة جريشة "نيلسون"

استيقظ كريم من النوم وقد شعر أنه قد استردَّ طاقته التي طالما أهدرها في العمل طيلة السنوات الماضية ليل نهار، نهض وظلَّ ينظر إلى سمر لثوانٍ يتأمل صفحة وجهها الصبوح وهي نائمة، طبع قُبلةً على وجنتها ثم نهض ليصب بعض من القهوة ويشعل سيجارة دخنها وهو واقفٌ أمام البحر يتأمل السفن على مرمى بصره، وفي نفس الوقت يفكر في المراكبي مرجان، ماذا لو لم يأتِ، تخيّله وهو يظهر من الأفق آتيًا من بعيد ثم التقط هاتفه الموصول بمخزن الطاقة. ما زالت الشبكة منعدمة! هزَّ رأسه لا يدري ماذا يفعل فوضع الهاتف مرة أخرى، لكنه تسمّر فجأة وجحظت عيناه عين لمح شيئًا آخر على شاشة هاتفه الذي التقطه مرة أخرى كي يتأكد إن كان ما لمحه صحيحًا أم مجرد خيالات وهواجس، فتح شاشة الهاتف بترقُّب، خفقَ قلبه بقوة حتى كاد يخرج من بين ضلوعه حين تأكدت له هواجسه. هب إلى سمر ليوقظها بقوة: سمر.. سمر.. سمر قومي إحنا في مصيبة.

استيقظت سمر وفتحت عينيها ببطء وتكاسل فلكزها في كتفها بقوة: سمر فوقي بقولك إحنا في مصيبة.

- مصيبة إيه؟

- النهارده اليوم التالت لينا مش التاني.. النهارده السبت مش الجمعة.. وريني موبايلك.

التقطت هاتفها فشردت قليلًا حين رأت التاريخ:

- إيه ده.. معناه إيه الكلام ده؟

- معرفش.. بس واضح كده إن في يوم ساقط مننا. المفروض مرجان أبو طالب كان ييجي إمبارح الجمعة بالليل أو النهارده الفجر.

- طب والعمل؟! إحنا كده انتهينا خلاص يعني؟! فيلم كاستاواي بقى وكده؟

- مش وقت هزار دلوقت خالص.. إحنا لازم نفكر في المصيبة اللي إحنا فيها دي، بعد حوالي ساعتين كل منهما يفكر في حل لتلك المشكلة، لكنهما لم يجدا أي حل.

ورغم أن القلق كان قد استطاع السيطرة عليهما إلا أنهما حاولا نسيان المشكلة التي هُما فيها. ضمَّها إليه في حضنه محاولًا بث الأمان داخلها قائلًا: - متخافيش يا حبيبتي، إحنا

معانا أكل يكفينا أيام تانية، إحنا بس هنقتصد في المياة شوية، أنا مش قلقان.. كل اللي مجنّني هو اليوم اللي سقط مننا ده..!!

ظلَّ يتحدث معها حتى الثانية ظهرًا إلى أن شعرت ببعض التعب من كثرة التفكير في الأمر، فاستلقت بجواره وطلبت منه أن يغلق الخيمة كي لا تؤذي الشمس بشرتَها، ففعل. أغمضت عينيها لأنها كانت تشعر بتعبٍ شديدٍ، ولم تمر أكثر من خمس دقائق حتى استغرقت في نومها. استلقى هو الآخر بجوارها وأخذ يفكر في تلك المصيبة التي حلّت بهما، ماذا لو لم يأتِ مرجان أبو طالب؟ ترَى، هل اعترضه أحدٌ من ميناء أبو قير وكشف أمرَه. حتى لو كان هذا الاحتمال صحيحًا، فمن المؤكد أنهم سيرسلونه لينجدنا أولًا ثم بعد ذلك يحاسبونه أو يغرمونه كيفما أرادوا. وليس من المنطقي أن يعلموا أن هناك أشخاصًا في الجزيرة دون أن يهبوا لإنقاذهما وإعادتهما. ترى، هل من الممكن أن يكون قد مات؟! أغمض عينيه محاولًا عدم التفكير في أي شيء، وينتظر ربما يأتي بعد قليل. مدَّ يده بجواره متحسسًا بحثًا عن علبة سجائره وولاعته، وجد العلبة لكن الولاعة لم يجدها، وكان الضوء داخل الخيمة خافتًا فلم يستطع الرؤية بوضوح، وجد بجواره هاتف سمر فحاول أن يفتحه كي يستخدم الكشاف به فوجده محميًا بالبصمة، أمسك إصبعها الرقيق مبتسمًا

وفتح به هاتفها فوجد تطبيق الواتساب مفتوحًا، لمح حينها رسائل جعلته مُتسمرًا في مكانه غير قادر على النطق، وشعر أن جسده بالكامل قد تخدَّر تمامًا.. وكانت آخر رسائل قد تم استقبالها من...

عمر البطاوي..





العاصفة

منذ ٢٢٣ عامًا - أي عام ١٧٩٨ ميلادية

تحديدًا في الأول من أغسطس عام ١٧٩٨ قامت معركة أبو قير البحرية، أو كما أطلق عليها الجنود الإنجليز؛ معركة النيل، والتي كانت بين الأسطول الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت والقوات البحرية الإنجليزية بقيادة هوراشيو نيلسون، وانتهت تلك المعركة

بهزيمة الأسطول الفرنسي شر هزيمة، بعد أن نفذ نيلسون تكتيكًا بحريًا غاية في الروعة، مُحدِثًا ثورة في مجال التخطيط البحري في حرب السفن الشراعيّة، أدى هذا التكتيك إلى تدمير الأسطول الفرنسيّ. لدرجة أن إحدى القذائف البريطانية استهدفت مُستودع الذخيرة في إحدى سفن الأسطول الفرنسيّ، فأدى ذلك إلى انفجارها بشكلٍ يقشعر له الأبدان، لدرجة أن دويّ الانفجار سمعه آنذاك أهل الإسكندرية على البَر وأفزعهم. قُتِل حينها أكثر من ألف جنديّ فرنسيّ. لم تهدأ بعد ذلك السُّفن الإنجليزية التي واصلَتْ تقدُّمها وانتصارها، إلى أن انتهت الليلة بتدمير بارجتين وأَسْر تسعة سفن، بالإضافة إلى قتلِ أكثر من ١٧٠٠ بحار فرنسيّ، وأَسْر حوالي ثلاثة آلاف منهم.

المحلِّلون الفرنسيّون اعتبروا هزيمتهم في هذه الحرب بسبب أنَّهم أضاعوا وقتًا كبيرًا في مِصر دون تأمينهم السفن، والسبب الرئيسي في ذلك هو انشغال نابيلون بونابرت في حروبه على البَر ضدَّ المماليك، حينها كان بالفعل خائفًا على سفن الأسطول الفرنسيّ، وأرسل رسولًا ليأمرهم بتأمين الأسطول عن طريق إرسال سُفنِهم إلى اليونان، لكن لسوءِ حظِّه، هذا الرسول اعترضَهُ أحد المماليك في الطريق وقطعَ رأسه..!

بعد ذلك في التاسع عشر من يوليو لعام ١٧٩٩ ميلادية، تم اكتشاف حجر رشيد على يد أحد الضباط المهندسين الفرنسيين، ويدعى بيير فرنسوا خافيير بوشار، والذي اكتشف أشياء أخرى غير حجر رشيد، من بينها خريطة من جلد الماعز بها رسومات متقاطعة، وفي الأعلى مكتوب كلامٌ باللغة اليونانية، لم يستطع بوشار قراءة ما بها وأعطاها لأحد جنوده ويُدعَى دوشاتو بارتوليه، وطلبَ منه أن يعطيها له حين يقابل شامبليون. لكن بارتوليه وضعها في جيبه غير مكترث بأهميتها. بالإضافة إلى أن اكتشاف مثل حجر رشيد قلبَ الدنيا رأسًا على عقب، مُستوليًا على كل الاهتمامات، حتى نسيَ أمرَ هذه الخريطة تمامًا. وذات مرة كان جالسًا في إحدى الحانات بالإسكندرية، وهناك تعرَّف على عاهرة يونانية قضى معها سهرته، وبعدما انتهى منها نهض ليرتدي

ملابسه ويخرج من جيبه عشرين فرانكًا ليعطيها لها، حينها تذكَّر الخريطة التي معه، دسَّ يده في جيبه ليخرجها ويعطيها للعاهرة، علَّها تفهم ما هو مكتوب فيها. وما إن قرأت ما فيها:

Εδώ βρίσκεται το σώμα του Μεγάλου Αλεξάνδρου

- إيدو بريسكيتاي تو سوما تو ميغالو أليخاندرو..!

قالتها مشدوهة بينما كان يشعل الرجل غليونه، سألها ماذا بتلك الخريطة فارتبكت وقالت له إنها ليست ذات أهمية، واستأذنته أن تدخل الحمَّام لتغتسل. فأومأ رأسه مُنتظرًا أن تعطيه الخريطة ويرحل، لكنه لاحظ أنها أخذت معها الخريطة، ارتاب في أمرها وفيما هو مكتوب فيها، سألها ماذا قرأت فقالت له مرتبكة:

- هنا عاش المصريون القدماء.

- كيف؟ - سألها مُتعجبًا مُرتابًا - وماذا عن كلمة أليخاندرو؟! أليس معناها الإسكندر أم أنا مخطئ أيتها العاهرة الكاذبة. أمسكها من شعرها بقوة وهو يسألها بحدة عن ترجمة ما قرأته، ظلت تتألم فأحكم قبضته أكثر مُلتقِطًا خنجره ليهددها به، إلى أن انهارت في الأخير وأخبرته أن الخريطة تشير إلى

المكان الذي فيه جثمان الإسكندر الأكبر.

لمعت عيناه حينها واعتبر أن هذا الاكتشاف مِلكٌ لَهُ وحده ومن حقه، مُقرِّرًا ألا يخبر به أحدًا، وألا يعطي تلك الخريطة إلى بوشار ولا شامبليون. سأل العاهرة عن هذا المكان الذي يشير إليه الخريطة. فأنكرت معرفتها به لكنه عرفَ كيف تتكلم، أمسكها مرة أخرى من شعرها بقوة أكبر حتى رضخت وأجابته باكية: أقسم لك إنني لا أعرف فعلًا، ولكن فيما يبدو أنه سيوة. أعتقد ذلك.

كانت كلمة "ذلك" آخر كلمة تخرج من حلقها، بعد أن استخدم دوشاتو بارتوليه خنجره وقطع به رقبتها ثم أخذ العشرين فرانكًا من بين قبضتها ورحل في هدوء.

رغم إحساسه بقيمة اكتشافٍ كهذا لكنه منذ ذلك الحين لم يتسن له الذهاب للحصول عليه، بالإضافة إلى أن حماسه خفت مع الوقت حين رأى أن كل الاكتشافات تُنسَب إلى القادة وليس الجند، وحتى لو اكتشفه فلن يستطيع الاستفادة منه كما ينبغي، فقرر أن يحفظ الخريطة معه بشكلٍ جيّد، إلى أن تكون الأمور مواتية أكثر. وظلت بالفعل معه حتى حل عام ١٨٠١، شَنَّت حينها القوات البريطانية هجومها على الفرنسيين مرة أخرى، كان بارتولييه حينئذٍ في جزيرة نيلسون مع مئات الجنود الآخرين، استعدادًا للرحيل.

لكن حال دون ذلك هجوم القوات البريطانية. وفي ذلك الوقت كان بارتوليه من ضمن القتلى، وقد تم دفنه في الجزيرة مع جنود آخرين..

في العصر الحديث تحديدًا يوم الأربعاء ١٠ أكتوبر ٢٠٠١

تم الاتصال بجمعية نيلسون من قِبَل دكتور "باولو جالو" أستاذ علم المصريات بجامعة تورينو (تورين) ومدير المعهد الأثري الإيطالي، وبالتنسيق مع السُّلطات المصرية تم تعيين بعثة لاكتشاف الآثار التي تحتويها جزيرة نيلسون، من ضمن تلك الاكتشافات كانت المدافن، والتي تحتوي على قطعٍ أثرية من العصر النيلسوني، مثل الأزرار العسكرية والمشابك وبنادق قديمة، كانت المدافن آنذاكٍ قريبة جدًّا من سطح الجزيرة، لدرجة أن البعض يستطيع رؤية بعض عظام الجنود بارزة على سطح الأرض..!

من بين أفراد البعثة كان هناك طالب يونانيّ الجنسية يُدْعَى أثناسيوس كزانثوبولوس، والذي قام بعمل عدة حفائر، ومن بين ما اكتشفه كان الهيكل العظمي لبارتوليه، والذي وجد بجانبه علبة صفيحية بداخلها الخريطة، محفوظة بحالةٍ جيدةٍ. فتحها ليقرأ ما فيها فاستطاع بسهولة أن يعرف ما المكتوب، لأنه ببساطة يوناني، بالإضافة إلى أنه قد درس اللغة اليونانية القديمة. التفت بوجهه يمنةً ويسرةً بحذرٍ

شديدٍ، وحين اطمأن أن الجميع مُنشغِل فيما يفعله ولم يلاحظه أحدٌ، دسَّ العلبة في جيبه كي يأخذها معه ويقرر بعد ذلك ماذا سيفعل بها، لكن في منتصف اليوم تذكَّر أن كل طلاب البعثة سوف يخضعون للتفتيش قبل العودة على ظهر المراكب البخارية، فقرر أن يتسلَّل مبتعدًا عن الأعين ويحاول إخفاءها في أي مكان، فلم يجد أفضل من هذا الممر الكهفيّ في الجزء الغربي من الجزيرة، دخل فيه مُمسِكًا منجاله وسار حتى نهايته، ظلَّ يحفر ويحفر ويحفر، إلى أن استطاع عمل حفرة عمقها خمسة وسبعون سنتيمتر تقريبًا وهناك قبَّل العلبة وألقاها قائلًا لها: - سوف أحضر هنا لأخذك مرة أخرى يا عزيزتي، كوني بخير إلى أن أعود.

ثم سد الحفرة بالرمال مرة أخرى وخرج ليُكمِل ما كان يفعله.

لكن الرياح لم تأتِ بما تشتهي السفن، في اليوم التالي طلبَ الدكتور باولو جالو منه أن يقوم بمهمة أخرى في مكتبة الإسكندرية، ألح عليه أثناسيوس أن يذهب معهم إلى جزيرة نيلسون، لكن قوبل طلبه بالرفض، فلم يأبه أثناسيوس كثيرًا، ونفَّذ ما طلب منه، منتويًا أنه حينما يعود إلى اليونان، يأتي هنا إلى مصر بمفرده. لكنه حين عاد إلى أثينا (اليونان) انشغل بشهادته وامتحاناته ومن ثم مرض أمه بسرطان الرئة

والاعتناء بها لعدة سنوات، ترك حينئذ العمل في الآثار والتنقيب واتجه إلى مجالٍ آخر.. وهو مجال التصوير والسينما ثم تزوج بعدها وأنجب طفلًا جميلًا، وكلما يمر الوقت يقل حماسه قائلًا في قرارة نفسه إنه حتمًا لن يجدها، وبالتأكيد سيكون قد أخذها أيٌّ شخصٍ آخر. لكنه يعود ليقنع نفسه أنه من المستحيل أن يكون قد وجدَها أحد، فلو وجدها أي شخص لسمع بالتأكيد أن المقبرة قد تم اكتشافها وسيعرف هذا الخبر كل العالم. حين يقنع نفسه بتلك النظرية يشعر بالراحة نوعًا ما.

يناير ٢٠٢٠

تلقى أثناسيوس كزانثوبولوس عرضًا من إحدى شركات الإنتاج في مصر للمشاركة فيه، بالإضافة لدعوة إلى أحد المهرجانات السينمائية بالأوبرا، فقرر أن يقطع الشك باليقين ويذهب إلى الجزيرة حينما يأتي إلى مصر ليبحث عنها ويرى ماذا سيفعل، قابل في المهرجان نبيلة خورشيد بطلة الفيلم الذي سيعمل فيه، قضى في هذه الليلة سهرة رائعة معها ومع باقي طاقم الفيلم. شعر براحةٍ كبيرة حين تحدَّث معها ووجد نفسه يسألها هل فعلًا يوجد مكان في مصر يدعى "سيوة"؟ سألته لماذا؟ فتحدث معها على استحياء عن تلك الخريطة، في البداية لم تكن تصدقه، فربما يكون قد ثملَ، لكنها قالت

في قرارة نفسها ما المانع أن تصدقه مؤقتًا وترى إن كان كلامه صحيحًا. أخبرت عمر البطاوي الذي طلبَ منها مقابلة صديقها اليوناني هذا والاستفسار منه أكثر، شعر أثناسيوس كزانثوبولوس حينها أن سرّه سوف يتفشى لو أصبح بين ثلاثة، والحالة الوحيدة التي يحفظ فيها السر بين ثلاثة، هو قتلُ اثنين منهم. وكان أثناسيوس أول من قُتِلْ حين رفض في البداية الحديث مع البطاوي الذي هدّده بأنه لن يغادر مكانه حيًا إن لم يخبره بكل شيء، كل شيء بدقة، لأنه لو أخبره بأي شيء كاذب سوف يقتله أيضًا، فخاف أثناسيوس وبالفعل أخبره بكل شيء كي ينجو بحياته. قائلًا له إن الخريطة بها وصف دقيق للمكان المخبَّأ فيه جثمان الاسكندر الأكبر، شعر البطاوي أنه صادق في كلامه ولم يكذب، ورغم ذلك غدر به وقتله، ظنًا منه أنه لو تركَه يرحل بالتأكيد سيُسبِّب له مشاكل قد تعطله عما ينتوي فعله، أو على الأقل سيتصل به ليبتزه أو يطالبه بحقه، بعد أن قتله أمر رجاله بإلقاء جثته في النيل بعد بتر كفيه.

حين اكتشفت نبيلة خورشيد ذلك، تشاجرت مع زوجها لأن هذا لم يكن في الاتفاق، بالإضافة إلى أن الرجل ليس له ذنب في أي شيء. بخلاف المشاكل الأخرى التي نشبت بينهما في الفترة الأخيرة، كان هذا الخلاف هو القشة التي قصمت ظهر البعير، وهددته بأنها سوف تبلّغ عنه، لم يصدر منه أي رد فعل

لكنه قرَّر بينه وبين نفسه أن يضرب كل العصافير الواقفة في الشجرة بحجرٍ واحدٍ، قرر أن يقتلها هي الأخرى ويتهم كريم سحاب في قتلها انتقامًا منه، ثم سرقة خزينته..!

في تلك الأثناء تنامى إلى علمه أن كريم سحاب قد تزوَّج من الموديل الطموحة الجميلة وصاحبة إحدى أكبر شركات الدعاية والإعلان.. سمر شكري شعيب، انتظر تحيَّن الفرصة كي يأخذها ويسافر معها إلى أي مكان ليقضيا شهر العسل بالتأكيد، لكنه تفاجأ حين اكتشف أن كريم لم يسافر إلى أي مكان ومكث في فيلَّته أسبوعًا..!

أمسك ورقة وقلمًا ورتب أولوياته التي كانت كالآتي:

١ - قتل نبيلة خورشيد.

٢ - التأكد من وجود تلك الخريطة المزعومة.

٣ - الحصول على سبائك كريم سحاب المخبأة في فيلَّا التجمع الخامس. فثمنها حوالي مليار جنيه.

سأل نفسه مُشككًا هل بالفعل تلك الخريطة موجودة؟ ورغم كل هذا القلق السافر الذي انتابه حينها، إلا أنه قد ساوره بعض الاطمئنان، لأنه لو حصل عليها أي شخص بالتأكيد سيستطيع إيجاد مقبرة الإسكندر الأكبر وسيعرف بذلك كل العالم. ولكن طالما مكانه ما زال غامضًا فمن المؤكد

لم يكتشفه أحدٌ بعد. نفس النظرية المنطقية التي أقنع نفسه بها أثناسيوس رحمه الله..!

جلس البطاوي على مكتبه مُلتقطًا ورقة وقلمًا مرة أخرى، وبدأ يعيد ترتيب أولوياته. رسمَ دائرتين، الأولى كتب بداخلها "سبائك كريم سحاب".. والثانية كتب بداخلها "خريطة قبر الإسكندر". إذا حصل على الثانية فلن يأبه كثيرًا للحصول على الأولى. لكن هذا لا يمنع من أنه يجب أن ينتقم من كريم سحاب، بل ويتخلص منه. حتى لو حصل بالفعل على الخريطة. وأولًا وأخيرًا "زيادة الخير خيرين".

قرّر أنه يجب أن يحصل على الهدفين معًا. ويعمل على الأمرين بشكلٍ متوازٍ. ظلَّ يفكر طوال الليل. ماذا يفعل كي ينال مراده. إلى أن جاءت الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل حين جاءت فكرة أضاءت في عقله، من خلالها سيضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ. ظلَّ يتأمل تلك الفكرة لمدة ساعتين كاملتين حتى تخمّرت في عقله واستطاع ترتيب ما سيفعله، حينئذٍ انطلقت منه ضحكة عالية أخذ بعدها نفسًا من سيجاره ثم فتح حاسوبه ليبحث أكثر عن سمر شكري شعيب، لم يجد معلومات عنها سوى بدايتها كموديل إلى أن أصبحت صاحبة شركة. نادى على أحد معاونيه طالبًا منه مراقبة سمر لمدة أسبوع كامل، أربع وعشرين ساعة في

اليوم، لمعرفة كل الأماكن التي تتردد عليها وروتينها اليومي. بالفعل نفَّذ مساعدُه ما طلبه منه وقدَّم له تقريرًا بكل شيء طلبه.

ولاحظ عند قراءة التقرير أنها تعشق المال وتعبده..

في اليوم التالي وكالة سمر شعيب للدعاية والإعلان

دخل عمر البطاوي ومعه اثنان من حرسه، ووقف أمام سكرتيرتها التي ارتجفت من هيبته، لدرجة أنها لم تتعرف عليه منذ الوهلة الأولى.

- مساء الخير.. ممكن أقابل الأستاذة سمر؟

حين تحدَّث إليها تعرَّفت عليه من صوته، وشعرت أنه ليس من اللائق أن تسأله إن كان هناك موعد مُسبَق أم لا، وآثرت أن تدخل لسمر أولًا وتخبرها. أجابته بصوتٍ مبحوح: حاضر يا افندم، أستأذن حضرتك بس تتفضل تستريح لحد ما أدخل أشوف معاها حد جوة ولّا لأ.. وأقولها.

لم يرد عليها سوى بجملة واحدة: ادخلي قوليلها عمر البطاوي هيدخل كمان نُص دقيقة.. بسرعة. قالها ثم ابتسم لها ابتسامة سمجة، فارتبكت السكرتيرة ودخلت إلى سمر فوجدتها مُنهمكة في دراسة ملف لأحد كبار العملاء لديها..

- أستاذة سمر.. عمـ.. عمر البطاوي بره عاوز يقابل حضرتك.

- عمر البطاوي الممثل؟ مفتكرش إنه حدد ميعاد.. مش كده؟

- لا يا افندم مفيش موعد مسبق.. شكله في الحقيقة غير التليفزيون خالص.. شكله أحلى بكتير، هيبة مقدرش أقولك.. أنا كنت هعملها على نفسي والله.

انطلقت منها ضحكة قائلة: ماشي يا اختي.. دخليه.

خرجت السكرتيرة مُمسِكة بهاتفها بعد أن ضبطته على وضع الكاميرا الأمامية: اتفضل يا أستاذ عمر..

نهض البطاوي فاستأذنت منه السكرتيرة بصوت مرتجف أن تلتقط معه صورة سيلفي للذكرى، أجابها موافقًا بابتسامة صفراء فوقفت بجانبه والتقطت الصورة، ثم سارت أمامه لتوصله إلى مكتب سمر. ما إن دخل بمفرده بدون الحارسين حتى نهضت وصافحته، أشارت له أن يجلس فجلس وأشعل سيجاره. لم تزل السكرتيرة واقفة شاخصة النظر عليه، سألته سمر: قهوة؟

أجابها باقتضاب: ملوش لزوم أنا همشي كمان دقيقتين.

رغم أن إجابته لم ترق لها لكنها أشارت للسكرتيرة أن ترسل عامل البوفيه بقهوة، وما إن خرجت وأغلقت الباب حتى دخل عمر البطاوي في صُلب الموضوع مباشرة.

- عندي ليكي مشروع هايل يأكّلك الشهد.

- اللي هو؟

- شركة إنتاج هتعتبر الأكبر في تاريخ الفن.. مش بس في مصر، بل في العالم العربي كله.

من ضمن أحلامها أن تطوِّر عملها وتوسعه لتكون صاحبة شركة إنتاج سينمائي بالفعل، وأن تكون لها الحصة الأكبر في إنتاج مسلسلات المواسم الرمضانية، وأفلام العيد، وأن تنشئ تطبيق يضاهي يومًا ما نيتفليكس.. كيف علم أن هذا حلمها؟! تساءلت فيما بينها باندهاش.

- طبعًا انتي بتسألي نفسك دلوقت أنا عرفت منين؟

- بالظبط. أجابته منبهرة بذكائه وقدرته على قراءتها ككتابٍ مفتوح.

- بصي.. بالإضافة إني ممثل شاطر.. فأنا كمان ذكي ولمّاح، وأنا متابعك من زمان يا سمر وعارفك طموحة. وعشان تحققي طموحك ممكن تعملي أي حاجة.. حتى لو على

حساب رجل عامل نفسه بيحبك.

- قصدك مين؟ سألتها وقد صُرَّ ما بين حاجبيها.

- كريم سحاب.. كريم سحاب عمره ما حَبِّك، وكل أمواله في الآخر مش هتكون ليكي.

- بس أنا مش محتاجة فلوس.. ولو عاوز توقع بيني وبينه عشان مشاكلكم فأرجوك خرَّجني منها.

- تمام.. يلّا نعمل صفقة.

- اللي هي؟

- كريم شايل في الفيلّا بتاعته.. سبايك دهب.. ٢٥٠ سبيكة تمنهم مليار جنيه تقريبًا. ملهومش ضرايب، ومحدش سمع عنهم ولا يعرف عنهم حاجة. دول في الأصل بتوعي.. موضوع كبير متعلق بغسيل الأموال..

- معنى كده إن إنتوا الاتنين بتغسلوا أموال؟

- آه.. نُص السبايك دي بتاعتك..

- أنا استحالة أسرقه، وحتى لو عملت كده بالتأكيد هيكتشف ويقتلني.

- لا ما هو مش إنتي اللي هتسرقيهم.. أنا مرتب كل حاجة.

المهم خليني أكمل باقي كلامي.. الصفقة.. الكلام المهم.. مش الملاليم دي.

نهضت مشدوهة:

- مليار جنيه وملاليم؟!

- آه.. انتي هتستدرجيه بحيث يبعد عن الفيلّا بتاعته يومين تلاتة.. من ناحية أنا ورجالتي هيكون عندنا الوقت والفرصة إننا نسرق الخزنة دي، وزي ما قلتلك ليكي فيها التُّص.. المهم في الموضوع بقى هو إنك مش هتستدرجيه لأي مكان، لأ.. لمكان محدد.. مدفون فيه كنز حقيقي.

ضحكت في داخلها ضحكة ساخرة متسائلة: "إيه حكاية الكنوز المدفونة معاكي يا سمرا!" لاحظ البطاوي شرودها فسألها عما تفكر فهزت له رأسها أن لا شيء، وطلبت منه أن يكمل كلامه، فأردف:

- لو اللي أنا مرتب له حصل.. هتلاقي هناك خريطة.. بتوصف مكان حاجة لو اتصرفنا فيها وبِعناها هتجيب لنا أكتر من ٢ مليار، برضه ليكي فيهم التُّص.. مليار.. كاش.

تعرَّقت حين سمعت المبلغ، منذ سنوات قليلة كان حلمها أن تجمع ولو مليونًا واحدًا، والآن قد تكون صاحبة مليار جنيه. سألته:

- طب لو ملقيتش الخريطة دي؟

- عادي جدًّا، هترجعوا من هناك، هيكتشف سرقة السبايك، وانتي ملكيش دعوة بحاجة لأنك أصلًا متعرفيش حاجة عنهم ولا قالك عليهم، وده طبعًا لأنه مش بيثق فيكي ولا بيحبك زي ما قالك، إنتي بالنسبة له واجهة.. زوجة جميلة جسمها حلو تروح معاه الإيفنتات ويتصور جنبها. وأهو بيستمتع بيكي.

أخذت تتأمل كلامه فلم يعطها فرصة، كان الكلام بينهما ككرة التنس، يرسل لها الكرة فتردها إليه بسرعة دون أي تفكير، استطرد كلامه:

- نُص السبايك هتكون بتاعتك. يعني من الآخر بعد الرحلة دي هيكون معاكي مليار و٥٠٠ مليون.. أو على الأقل خالص ٥٠٠ مليون بس.

- بعدها أسيبه؟

- اللي تحبيه، عاوزة تكملي معاه لحد ما تاخدي منه الخازوق التمام المنتظر، براحتك.. عاوزة تطلقي منه ونتجوز ونعمل مع بعض شركة الإنتاج.. برضه براحتك.

- لا لو كده هختار أكون معاك بالتأكيد.

- اتفقنا.

- طب ونبيلة خورشيد؟

- نبيلة كبرت خلاص وراحت عليها. لكن إنتي حاجة تانية.

- هتخونّي؟

- مش هيحصل. وعلى استعداد إني أقدملك أي ضمانات إنتي عوزاها.

- اتفقنا.

***

جن جنونه حين رأى تبادل الرسائل بينها وبين عمر البطاوي، بعدما تفحص تلك الرسائل وجد أن فحواها عبارة عن الاتفاقات بينهما، أن تستدرجه هنا إلى هذه الجزيرة، رغم أن الكلام بينهما لم يكن هذا هو معناه بشكلٍ مباشر، لكن ما قرأه كان كافيًا ليدرك ذلك بفطنته. تقلّبت في نومتها من الجانب الأيسر إلى الأيمن وفتحت عينيها ببطءٍ وهي تمد يدها بجوارها لتتلمس هاتفها فلم تجده بجوارها، لم تحتَجْ أكثر من ثانية وجزء منها كي تدرك معنى ذلك، نهضت مُنتفضة باحثة عن هاتفها فلم تجده، التفتت في الحال إلى كريم الذي كان واقفًا على مقربة منها مُمسِكًا الهاتف، ورغم

أنها قرأت في عينيه وملامح وجهه ما يكفي لتدرك أنه قرأ الرسائل، لكنها تظاهرت بأنها طبيعية، علّه لم يقرأ ما تخشاه. لكنه لم يعطها فرصة أكثر من ثانيتين للتظاهر بأي شيء. أقبل عليها مُقطِبًا عن عينين يتطاير منهما الشرر وهو مُمسِكٌ هاتفها ليريها الرسائل، لم تستطع التحدث بأي شيء تدافع به عن نفسها فنهضت مُرتعِدة، مُحاوِلة الابتعاد عنه، لكنه مدَّ يده قبلما تبتعد وأمسكها من شعرها ولفه على قبضة يده اليمنى بينما كان ممسكًا الهاتف باليسرى، سألها بملامح تحمل كل علامات القسوة الممزوجة بالاندهاش:

- إيه ده؟!

لم تستطع التفوُّه بأي كلمة ولم تفعل أي شيء سوى البكاء، لم يعطها فرصة حتى لتبكي وظل يصفعها على وجهها مرددًا نفس السؤال: "إيه ده؟ بتتفقوا عليا يا ولاد الكلب؟ في إيه بينك وبين البطاوي.. ردي". ركلها بقدمه في بطنها فسقطت على ظهرها، أقبل عليها مرة أخرى ملتقطًا إياها وهو مُمسك بشعرها وهمَّ ليصفعها، لكنه تفاجأ بها تدافع عن نفسها، أمسكت ذراعه من رسغه وتحوّلت نظرات عينيها من الضعف والبكاء إلى القوة والتبجح وما زالت مُمسِكة برسغه بقوة. وضع الهاتف بيده الأخرى في جيبه ثم حاول السيطرة عليها بركلها في ركبتها لكنها تفادت ضربته، أخذ الغضب يقلع

جذور عقله وحاول لكمها في وجهها فتفادتها أيضًا بخفة ورشاقة ثم ألحقته بلكمةٍ قويةٍ في وجهه، فتقهقر خطوتين إلى الوراء، مندهشًا مما فعلته ولم يكن متوقعًا. سال حينها الدم من أنفه، لم يبدِ اندهاشًا طويلًا لكنه اعتبرها منذ هذه اللحظة عدوًّا لم يكن في الحسبان، مما جعله يهجم عليها بقوة أكبر لكنه تفاجأ بها هي التي تنقض عليه محاولة التقاط الهاتف منه:

- هات التليفون يا كريم وبلاش نخلّص على بعض هنا. لا ده الوقت المناسب ولا ده الظرف المناسب. نروح القاهرة وكل واحد يروح لحاله.. لا تأذيني ولا أأذيك.

شعر بالإنهاك بعد مواجهتها والقوة التي بدت عليها وتفاجأ بها، لدرجة أنه شكَّ أنها امرأة أخرى غير تلك المرأة التي أحبَّها وتزوجها، سألها بأنفاسٍ لاهثة:

- إنتي مين؟ انتي سمر شكري شعيب؟ إنتي أكيد مش هي؟ إنتي مين وكنتوا عاوزين منِّي إيه؟!

- عاوزة التليفون ونخلص من الورطة اللي إحنا فيها دي ونروح القاهرة وكل واحد بعدها يروح لحاله.

- كده؟ بالبساطة دي؟ انتي مش هتروحي القاهرة. انتي هتندفني هنا. قالها وهجم عليها مرة أخرى متوقعًا أي رد

فعل هجومي منها، أمسكها من ذراعها مُحاولًا السيطرة عليها، لكنها أفلتت نفسها من قبضته ثم أدارت ذراعه فانحنى معها كي لا ينكسر، في نفس الوقت الذي لكمته فيه ثم ألحقت تلك اللكمة بركلة قوية في بطنه فتقهقهر خطوتين إلى الوراء ثم تعثَّر وسقط على الأرض بجوار الحقيبة التي يخبئ فيها مسدسه، دس يده ليلتقطه فانحنت سمر مُمسكة بقبضتها حفنة من الرمال وألقتهم في وجهه فدخلت الرمال في عينيه وأصبح عاجزًا عن الرؤية، أخذ يتألم وهو ينفض الرمال من وجهه وعينيه، حتى استطاع بعد نصف دقيقة أن يفتح عينيه، لم يجد سمر حينها، تلفَّت حوله بحثًا عنها لكنها اختفت تمامًا، خرج من الخيمة وأخذ يجول الجزيرة بعينيه فلم يجدها وكأنها تبخَّرَتْ، كانت دقات قلبه تعلو وتتسارع، والعرق يتفصد من جبينه، استشاط غضبًا حينها ودخل الخيمة مرة أخرى ليلتقط مسدسه ويبحث عنها في كل أرجاء الجزيرة، ليفعل شيئًا واحدًا..

ألا وهو قتلها.



صباح الأحد ٢٩ مارس ٢٠٢٠

في شركة سحاب للتطوير العقاري

بعدما لاحظت ابتسام مرور أكثر من يومين ولم يعد كريم، اتصلت به عشرات المرات فتجد هاتفه ما زال مُغلقًا. فتحت درج مكتبها وأمسكت الظرف الذي أعطاه لها، ظلت تفكر في كريم، ترى، هل حدث له مكروه كما كان يظن؟ ولماذا أصلًا يظن ذلك، فمن المفترض أنه ذاهب لقضاء يومين يزيل فيهما تعب الفترة الأخيرة كما قال، فلماذا كان يشعر بأن مكروهًا قد يصيبه؟! تأملت الأمر فوجدته مُؤلمًا جدًّا، فكرة أنها لن ترى للأبد الرجل الذي غيَّر حياتها لهي فكرة مُوحِشة وقاسية.

- كريم! قالتها بصوتٍ مبحوح وهي تبكي وترتجف.. يارب يا كريم ميكونش حصلك حاجة، مش هقدر أعيش من غيرك ومن غير ما أشوفك كل يوم زي ما اتعودت.. حتى لو إنت مش شايفني، كفاية إني حطاك في قلبي ورافضة أرتبط بحد عشان مفيش حد عارفة أحبه بسببك.

حاولت أن تتماسك ومسحت دموعها ثم وضعت الظرف في حقيبتها كي تذهب به إلى شروق كما طلب منها، حين ركبت سيارتها فكرت في الأمر مليًا، ووجدت أنه لن يحدث مشاكل إذا انتظرت يومًا آخر أو يومين كي تتأكد من أن كريم قد حدث له سوء بالفعل. كان ذلك حين وقعت عيناها على سياراته القابعة في الجراج فجاءت إليها فكرة، وهي أن

تسأل السائق عن آخر مكان أوصله إليه. ربما تستطيع الإمساك بأي طرف لخيطٍ يمكنها به إنقاذه إن كان قد حدث له أيٌّ سوءٍ. أمسكت هاتفها بيدٍ مرتعشة لتتصل بالسائق على الفور: - أيوه يا عيد، أنا سكرتيرة كريم بيه ومديرة مكتبه.. إنت فين؟

- أنا أجازة سعادتك. كريم بيه أداني أجازة لحد ما يرجع.

- لا تعالى دلوقت أنا عاوزاك في موضوع مهم.

لم تمر أكثر من ساعة حتى قابلها السائق عند ميدان لبنان بالمهندسين، سألته ابتسام عن آخر مكان أوصله إليه، في البداية تردَّد السائق في إفادتها، لكنها أخبرته أنه ربما يكون في خطر ويجب عليها التحرك لإنقاذه. وإن لم يخبرها فالعواقب قد تكون وخيمة، حينئذٍ خافَ السائق وبدأ يصف لها المكان فقاطعته:

- لا مش هينفع توصف.. اركب معايا وديني للمكان ذات نفسه.

ركب السائق بجوارها طالبًا منها التوجه إلى الإسكندرية. فوضعت الظرف داخل درج التابلوه وضغطت بقدمها بقوة على مكبح البنزين..!

***

في نفس الوقت

المركز الطبي العالمي

بدأ عمر البطاوي يشعر أن سمر تأخرت عن موعد عودتها، أخذ يتصل بها عدة مرات فيجد الهاتف مُغلقًا، فكر في أن يذهب إلى الإسكندرية لكنه لا يعلم ماذا سيفعل هناك دون أن يعلم مكانها، بالإضافة إلى أنه من الصعب أن يظهر هذه الأيام في أي مكان غير المستشفى، خصوصًا أنه ليس مُتأكدًا من أنه سيقابلها إن ذهب إلى الإسكندرية. أخذ نفسًا عميقًا مُحاوِلًا إقناع نفسه أن كل ما في الأمر أن كريم قد أجَّل موعد عودتهما يومًا أو يومين آخرين ليس أكثر.



في نفس الوقت

الإسكندرية

أخذ عادل مهدي يبحث في جوجل عن آخر أخبار كريم سحاب، والصفقات الأخيرة التي أبرمها، والمناصب التي شغلها. تذكَّره حينما كان مجرد سمسار في الإسكندرية، يقف على الناصية ليلتقط أسرة يؤجر لها، وتلك الليلة التي تشاجر فيها مع أحد السماسرة وبات ليلة كاملة في القسم، حينها

ظلَّ يتوسل إليه باكيًا أن يخرج لأنه ليس من تلك النوعية التي تحتمل السجن، فهو شابٌ جامعيٌّ. ابتسم ساخرًا في أسى حين تذكَّر إلحاحه هذا في نفس الوقت الذي يشاهد فيه صوره بين أغنى أغنياء البلد.

والآن هو عالقٌ في جزيرة تبعد عن شاطئ الإسكندرية مسافة أربعة كيلومترات، ولن يذهب أحدٌ لإنقاذه، على الأقل في هذه الفترة والتي قد تمتد إلى أسبوعين وربما أكثر. فكَّر في أن يذهب إليه ويهدده بأن يحبسه لاختراق قرار الحظر، هو يعي جيدًا أنه لن يسجنه أو يفعل له أي شيء من هذا القبيل، لكنه حينها يستطيع أن يتفاوض معه ويأخذ منه مبلغًا كبيرًا من المال. وفي نفس الوقت سيعتبرها جميلة فعلها في حقه أنه أنقذه من الموت المُحَقَّق.

أخذَ القرار بسرعة واتصل بصديقه المُقرَّب، طالبًا منه اليخت الخاص به ليأخذه ويذهب إليهم بمفرده، على أن يكون مُرتديًا ملابسه الميري كي يضفي على حبكته واقعية أكثر. كان الوقت مُناسبًا جدًّا والشوارع شِبه خالية، خصوصًا شارع الجيش المطل على شاطئ البحر المتوسط. وصل بعد عشرين دقيقة إلى المرسى وأخبر صديقَه أنه معه فتاة وسيأخذ اليخت ليقضي فيه بعضًا من الوقت معها. فهو يستطيع قيادته بسهولة، بصفته عضوًا في نادي اليخت

وكثيرًا ما قاد يخوتًا في البحر. فأعطاه صديقه المفتاح. ولم تمر أكثر من خمس دقائق حتى أدار المحرك متجهًا إلى..

جزيرة نيلسون..!

كان كريم جالسًا فوق صخرة ليرتاح قليلًا قبل أن يعاود البحث عن سمر التي اختفت ولم يجد لها أثرًا، رغم أن الجزيرة محدودة، ومن المفترض أن يكون إيجادها سهلًا. أشعل سيجارة وصبّ قليلًا من القهوة التي أصبحت باردة داخل الترمس لكنه على أي حال متعودٌ على شربها باردة. ظلَّ يفكر في كل ما حدث بينه وبينها طوال الفترة الماضية، منذ أن قابلها في شركتها حتى آخر لحظة رآها فيها. وكيف أنه طوال تلك الفترة لم يرَ منها أي شيء يدل على أنها سوف تخونه يومًا ما، ومع مَن؟! مع عمر البطاوي، عدوِّه، وأكثر شخص يكرهه في الوجود.

أين ذهبت؟! سأل نفسه مُتلفتًا حوله كالمجنون، لدرجة أنه لوهلة شكَّ في نفسه أن يكون قد جاء هنا بمفرده وكل ما حدث ليس إلا خيالات رسمها له عقله الذي كاد ينفجر من كثرة التفكير في آلاف الأشياء والأحداث والسيناريوهات، ومن ضمن هذه الأشياء التي فكّر فيها هو ذلك اليوم، وتلك المقابلة التي أخبرته فيها نبيلة خورشيد بالكارت الرابح ضد عمر البطاوي، وقتله لذلك الرجل الذي يدعى أثناسيوس

كزانثوبولوس! واصل التفكير مُحاوِلًا التوصل إلى أي شيء، أي خيط..! كانت الأسئلة تداهمه من كل صوبٍ كسهام لا يستطيع اتقاءها، هل لسمر علاقة بقتل هذا الرجل؟ إلى أي مدى متورطة مع عمر البطاوي؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ وما تلك الخريطة التي تحدَّثت عنها نبيلة؟ بدأت الصورة تتضح أمامه شيئًا فشيئًا.. توصَّل في النهاية إلى أن سمر والبطاوي يعرفان بعضهما البعض منذ فترة طويلة، واتفق معها على استدراج أثناسيوس لمعرفة سر الخريطة، وأيضًا اتفق معها على أن تُبعده عن الفيلَّا ليخلو له الجو ويجد فرصة سانحة لسرقة السبائك. جن جنونه حين وردت السبائك في تفكيره، عصفت به عواصف الغضب حينها فنهض ثائرًا وشدَّ أجزاء المسدس ليبحث عنها ويقتلها، لكنه تفاجأ بأن مسدسه خاليًا من خزينة الطلقات. رفع رأسه في السماء وأخذ يصرخ كالمجنون من ذلك الشعور الذي انتابه. شعور بالخذلان. فالشعور به هو أسوء من الخيانة نفسها. ابتلع ريقه بصعوبة وأخذ يلتفت حول نفسه، صارخًا بأعلى صوته: - سمر.. إنتي فين يا سمر؟ اخرجي نتكلم عاوز أعرف عملتي كده ليه؟ يا سمااااااااااااار..

لم يلقَ إلا صمت، شعر بملوحة البحر قد أكلت شفتيه فعاد إلى الخيمة التي تبعد عنه بحوالي عشرين مترًا ليشرب بعض الماء ويغسل وجهه، مُتسائلًا في قرارة نفسه كم من الوقت

ستصمد في مكانها دون أكل أو شرب! أخذ يفكر هكذا إلى أن قطع تفكيره صوتُ يخت رآه يتهادى من بعيد، مُتجهًا نحو الجزيرة. هرع إلى الشاطئ وقد تهلَّلت أساريره وقد أدرك أن تلك المحنة بحمد الله أوشكت على الزوال..!

ميدان فيكتور عمانويل - سموحة - الأسكندرية..

وصلت ابتسام إلى هناك وبجوارها السائق يحاول تذكُّر الطريق الذي سلكه في تلك الليلة، لكن الأمر بالنسبة إليه كان صعبًا ومرهقًا، فقد كان الوقت حينها قُرب الفجر والليل يخيم على المكان، لكنه بعدما بذل مجهودًا في التذكر استطاع أن يكمل لها وصف خط السير الذي سلكه، حتى وصلا إلى المكان الذي ترك فيه كريم وزوجته. كان مجرد مكان عادي يطل على البحر، ولا يوجد أي مراكب أو يخوت راسية فيه أو حتى بالقرب منه. سألته ابتسام متأففة: - يعني إيه يا عيد؟ هو ده المكان اللي سيبتهم فيه متأكد؟!

- أيوه والله يا أستاذة.

- طب ساعتها كان في مراكب راسية أو أي حاجة؟

- مش فاكر والله يا ست هانم.. الدنيا كانت ليل.

ساد الصمت بينهما للحظات إلى أن قفز فجأة مُتذكرًا شيئًا مُهِمًّا:

- أيوة افتكرت اسم المراكبي.. كان اسمه طالب.. طلبة.. أبو طالب.. حاجة زي كده.

- يا فرحتي.. قالتها ساخرة ثم أخذت تتلفت حولها.. طب قولِّي.. مش فاكر المركب كان شكلها إيه؟! فيها حاجة مميزة.. مكتوب عليها حاجة مميزة.. كده يعني.

- لا والله يا أستاذة.

نظرت إليه بحنقٍ شديد وأخذت تفكر في أي خيط يمكنها الإمساك به.

***

جزيرة نيلسون

وقف كريم سحاب على الشاطئ مُنتظرًا بلهفة اليخت المُتَّجه ناحيته، إلى أن وصل أخيرًا ورسى على الشاطئ، نزل منه ضابط شرطة مُرتديًا الزيّ الرسمي. في البداية شعر كريم بارتجافة حين رآه، فقد كان مُتوقعًا أن يكون مرجان أبو طالب، لكنه لم يعطِ للموضوع أهمية، فربما علمت الشرطة بما حدثَ وجاءت لتغرمه، قال في قرارة نفسه أنه لا مشكلة في دفع أي غرامة، المهم الآن هو أن يخرج من تلك الورطة بأي ثمن. وأن يغادر تلك الجزيرة البائسة المشؤومة ويذهب

إلى بيته لينام وسط أولاده وزوجته. نزل عادل مهدي من اليخت فأقبل عليه كريم سحاب الذي استقبله مُتهللًا:

- أنا عارف سعادتك هتقول إيه.. ومستعد لأي غرامة.. المهم أمشي من هنا.

شعر كريم حينها أنه رآه من قبل، لكن متى وأين، لا يستطيع التذكر. لم يرد عليه عادل الذي وقف مُنتفِخًا كالطاووس، شادًا قامته وعاقدًا يديه على صدره يجيل النظر في المكان لمدة دقيقتين، ثم دخل الخيمة يفتش ويتطلع ويحدق، أمام كريم الذي حاول التحدث معه فحدجه عادل بنظرةٍ رادعةٍ، فتراجع وآثر أن يتحلَّى بالصبر وألا يتكلم مُطلقًا، ويتركه يفعل ما يشاء. انتبه حينها أن يدَه ما زالت مُمسِكة بالمسدس، فألقاه بين قدميه وطمره بالرمال، دون أن يلحظ عادل الذي كان مُنهمِكًا يتفقد محتويات الخيمة على عجلٍ، مُلتقِطًا بعض زجاجات الخمور وملابس سمر ثم نظر إلى كريم مُستَوضِحًا:

- الملابس دي بتاعة مين؟ وفين مراتك؟

لم يجد كريم شيئًا يجيبه به، فآثر الصمت، أعاد عادل عليه السؤال بإصرار، فأجابه مُضطرًا:

- معرفش حضرتك هي فين.. أنا فجأة ملقتهاش جنبي.

حدجه عادل بنظرةٍ طويلة، مُحاوِلًا قراءة ما بداخل عينيّ كريم الذي بدا له متوترًا، وشعر أنه يخبئ شيئًا خطيرًا، وكذبه هذا وراءه خطبٌ ما، اقترب منه مُتفرسًا ملامح وجهه بعينين ثابتتين، مُستمتعًا بضعفه الماثل أمامه، انفرجت شفتاه عن ابتسامة سمجة ثم سأله:

- مش مراتك معاك برضه؟! ما ترد عليا هي فين؟

أصر كريم على كلامه:

أقسم بالله ما أعرف هي فين.. أنا صحيت ملقتهاش.. اختفت.

كان ذلك حين ظهرت سمر فجأة من العدم، بملابس رثة مُهترئة وشعر أشعث، وقد بدا عليها أنها تعرضت لضربٍ مُبرحٍ، وبها إصابات متفرقة في وجهها وبعض الكدمات بجسدها، والتي تدل على أنها قد تم تعذيبها.

- أنا هنا يا افندم.. مختفيتش ولا حاجة.

التفت إليها عادل، دنا منها يتفحصها بعينيه الحادتين، ثم التفت مرة أخرى إلى كريم وسأله عمن فعل بها هذا، فأشاح كريم بوجهه، اقترب منه عادل ثم سأله بطريقة حادة عمن فعل بها هذا، فارتبك كريم ثم أجابه بكلماتٍ مقتضبة:

- الهانم اكتشفت إنها بتخونني. ثم اقترب منها وسألها بصوتٍ عالٍ: كنتي مستخبية فين؟ هه؟ ردي..

همَّ ليصفعها لكن حال دون ذلك عادل الذي أمسك بمرفقه:
- كلمني أنا متكلمهاش هي.. إيه اللي عمل فيها كده وليه؟ وإزاي خانتك..

لم يجبه كريم ناظرًا إليها متوعدًا، فسألها عادل عما حدثَ، فانهارت فجأة في البكاء وهي تجيبه:

- أخدني هنا حضرتك وقالِّي هنقضي يومين حلوين، طاوعته ورُحت معاه على أساس إنه جوزي وبيحبني وأكيد مش هيئذيني ولا جه في بالي إنه يضربني كده. أجهشت أكثر في البكاء ولم تستطع أن تكمل كلامها فاقترب منها عادل مُحاولًا أن يهدئ من روعها، بينما وقف كريم مُندهشًا من قدرتها على التمثيل، ومصدومًا من رؤيته لها هكذا وهي تكذب بمهارةٍ فائقة، شعر أن لسانه أصيب بالخرس، لم يستطع أن يتفوَّه ولو بكلمة. فاستطردت: فجأة لاقيته اتحول وبيتخيل حاجات غريبة ويقولِّي انتي بتخونيني وبتاع. وأنا مخونتوش ولا عرفت حد عليه..

قاطعها كريم الذي أخرج من جيبه هاتفها وأعطاه له:

- اتفضل ده التليفون اللي فيه محادثات الواتساب بينها

وبين عشيقها. علشان تعرف إنها كدابة.

أخذ منه الهاتف وطلبَ منها أن تفتحه ببصمتها، في حين أطلق كريم ضحكة ساخرة رغمًا عن حزنه الدفين، قائلًا لها: - أنا معرفش جبتي منين كل الجبروت ده ومكنش باين عليكي.

رغم كل ما فعلته سمر كي تبدو ضحية، لكن عادل لم يشعر أنها صادقة، ولم يبدِ لها أي تعاطف، ولم يقتنع بتلك المسرحية التي قامت بها من الأساس. بل بالعكس، شعر أنها تكذب عليه. نظر إليها مُحدِّقًا:

- مش إنتي برضه البنت اللي بتطلع في الإعلانات؟

- أيوه يا كابتن أنا.

- كابتن إيه انتي شايفاني ماسك مضرب تنس؟!.. افتحي التليفون. مدَّ يده إليها بالهاتف لتفتحه له ببصمتها دون أن تمسكه، شعرت حينها أن لعبتها أوشكت على الانتهاء، بعد تردُّد ثانيتين فتحت له الهاتف، فأخذ يتصفح الرسائل، تدخل كريم ليوفر عليه:

- حضرتك هتلاقي الرسايل اللي بقولك عليها في آخر محادثة.. بينها وبين عمر البطاوي..

سأله بنبرة ساخرة: الله..!! الممثل؟!

- آه.. أنا في بيني وبينه مشاكل كبيرة يطول شرحها.. المهم إن هي اللي أقنعتني نيجي هنا بناء على اتفاق بينهم. الله أعلم إيه الاتفاق ده.

أخذ عادل يتصفح المحادثة التي جرت بينهما، بالفعل هناك كلام واتفاقات لكنه لم يستطع فهم شيء محدَّد، لكنه شعر أن بينهما أمورًا وأمورًا، وأن الاثنين وراءهما أسرار كثيرة. أحسَّ حينها أنه الآن سيد الموقف، وأن يديه أمسكتا بخيطٍ يستطيع ابتزازهما به، وقرَّر أن يتعامل معهما بعيدًا عن بدلته التي يرتديها.

- طب بصوا بقى أنا فعلًا مش فاهم منكم حاجة. أنا هاخدكم انتوا الاتنين قسم الشرطة، وهناك هنعرف كل حاجة.

تهلَّل كريم حينها:

- آه تمام.. كده كويس جدًّا الحل ده.

استطرد عادل كلامه مُناوِرًا:

- أو أرجع إسكندرية لوحدي وأسيبكم إنتوا الاتنين هنا تولَّعوا في بعض.

اقترب منه كريم مُتوسِّلًا:

- لالالالا أرجوك. خدنا إحنا الاتنين معاك وهناك عينيا ليك.. المهم مش عاوز أموت هنا.

- تدفع كام؟ سأله مباشرة كاشفًا عن وجهه الحقيقي. فأجابه كريم دون تردُّد:

- مليون جنيه.

شعرت سمر حينها بثغرةٍ تدخل من خلالها إلى عادل الذي اقترب منها مُبتسمًا ابتسامة ظفر:

- ها يا سمر هانم.. وانتي هتدفعي كام؟

تبدَّلت ملامح وجهها وقد زال في ثواني كل الضعف الذي كانت تتظاهر به، فهي ماهرة في ذلك، أجابته بتباجحٍ: - جميل جدًّا، أنا شايفة إننا نعمل deal مع بعض.. إيه رأيك؟

- قشطة.. يلّا بينا.

- هرجع معاك، وهترجعلي الموبايل بتاعي، وهنسيبه هنا لوحده. مقابل.. خمسة مليون جنيه.

جحظت عينا كريم حينها، بينما ارتجف عادل مما سمعه، خمسة مليون جنيه؟!! مبلغ يجعله مرتاحًا باقي عمره ويترك وزارة الداخلية، ويتحرر من وطأة حَمِيه وزوجته وخضوعه

لهما، مبلغ مخيف، وحتمًا سيغيِّر حياته. لكن هذا لم يمنعه من التفكير بينه وبين نفسه في هذا السبب الخفي الذي يجعلها تلقي بمبلغ كهذا على منضدة المفاوضات أمامه بكل سهولة وسلاسة، مقابل هاتف لعين والتخلص من زوجها؟ شعر أنها تخبئ شيئًا كبيرًا وراءها. نظر إلى كريم شارعًا ذراعيه له كأنه في مزاد، مُتسائلًا بعينيه كم المبلغ الذي سيعرضه؟ هل سيدفع أكثر فيفعل العكس.. يأخذه هو ويتركها هي؟ فألقى له كريم نفس المبلغ بالإضافة إلى خمسة مليون آخرين. أي عشرة مليون. شعر حينها أنه على استعداد لدفع أي مبلغ مقابل أن يتم إنقاذه، ليس فقط من تورُّطه في تلك الجزيرة، ولكن أيضًا إنقاذه من هذه الأفعى السامة.

تقدمت سمر مباشرة بتعديل عرضها بعد أن أضافت الضِّعف: ٢٠ مليون ونمشي حالًا

كاد عادل أن يقفز فرحًا مما سمعه ويرقص لكنه تمالك أعصابه بصعوبة، نظر إلى كريم الذي رأى أنه مهما زود ستزود عليه، لا يعرف من أين ستعطيه هذا المبلغ، لكنه أحسَّ أن وراءها شيئًا كبيرًا صعبًا عليه استيعابه الآن، رفض حينها أن يزود أيَّ مبلغ آخر، وقد تعلَّم في حياته ألا يواجه شخصًا ليس أمامه شيء يبكي عليه. مُقررًا داخل نفسه أنه سيبقى هنا، لا مشكلة، سيتعايش ويقتصد في الأكل الذي

معه إلى أن يأتي أي شخص آخر لنجدته. وإلى أن يحدث هذا سيحاول البقاء بأي طريقة، فمهما حدث لن يموت في هذه الجزيرة، حدَّث نفسه مُتمنيًا ذلك. حينما وجدَ عادل أن كفة سمر هي التي رجحت، قال لها:

- تمام.. هآخدك انتي.. والموبايل معايا أهو. فين الفلوس؟

- في القاهرة.. أو الإسكندرية زي ما تحب. أول ما نوصل إسكندرية.

شعر كريم حينها أنه كان يعيش وهمًا كبيرًا، جشأت نفسه ألمًا وشعر بغصة في حلقه حين رأى بعينيه ما تفعله تلك المرأة التي من المفترض أنها زوجته التي اختارها وأحبها، وكان يراها دومًا سيدة مرموقة موقرة، لكنه أدرك الآن أن ليس كل ما تراه العين حقيقة. ووراء كل حقيقة آلاف الحقائق الأخرى التي تدحضها. نقحت عليه كرامته حينها، بعدما كشفها واكتشفها، مُقررًا ألا تمكث ثانية أخرى على ذمته، فقال لها دون تردُّد أو تفكير: - سمر.. إنتي طالق.. طالق بالتلاتة.

لم تهتز ولم تأبه لما قال، بل التفتت إلى عادل مهدي الذي لم يتأثر هو الآخر بموقف كريم، قائلًا لها:

- تمام.. بس لو وصلنا إسكندرية ومخدتش منك حاجة..

هعمل إيه ساعـ...

قاطعته دون تردُّد قائلة بثقة:

- اقتلني أو اعمل فيا اللي تحبه.

- فُل.. يلّا بينا.. ثم التفت إلى كريم قائلًا بنبرة متهكمة:

- وهو بقى معاه ربنا. لو ربنا بيحبه هيسيبه على قيد الحياة. وهيعيش. لكن أصلًا واضح إن ربنا غضبان عليه.

قالها ضاحكًا، فهو مدرك تمام الإدراك أن الجزيرة ستبقى منعزلة فترة كبيرة لا تقلّ عن أسبوعين أو عشرة أيام. دخلت سمر الخيمة وجمَّعت معظم متعلقاتها في حقيبة كبيرة، وكان كل شيء جاهزًا بعد عشر دقائق تقريبًا، أدار بعدها عادل مهدي مُحرك اليخت منطلقًا نحو الإسكندرية، تاركين كريم مصدومًا غير قادرٍ على استيعاب كل ما يحدث حوله. جلس مكانه على رمال الشاطئ، تتزاحم في رأسه مئات الأسئلة وتتدافع، دون أن يجد لأي سؤال منهم إجابةً..! وقد تأكد أن نهايته غالبًا ستكون هنا على تلك الجزيرة.

***

في نفس الوقت القاهرة مشرحة زينهم

رغم زحام الصحفيين والضوضاء في الخارج، لكن

المشرحة من الداخل كانت هادئة تمامًا، والصمت سائدًا فيها ومخيمًا على كافة الأرجاء، دخل المقدم زياد ضرغام غرفة التشريح التي يعمل فيها الطبيب على جثمان نبيلة خورشيد، وكان تقريره المبدئيّ يشير إلى أن سبب الوفاة جرح قطعيّ في الرقبة، بالإضافة إلى طعنة في الصدر. بعدها اتجه إلى المركز الطبيّ العالميّ، ليستجوب عمر البطاوي. فوجد الطبيب قد أعطاه حقنة مهدئة لينام، سأله المقدّم زياد إن كان يستطيع استجوابه، لكن الطبيب رفض ذلك لأن أعصابه مرهقة، فلم يأبه له زياد ودخل للبطاوي ضاربًا بكلامه عرض الحائط. حين دخل الغرفة وجده قد بدأ ينام بالفعل، وقد بدا وكأنه مُتهدِّلًا نصف غائبٍ عن الوعي.

- حمد الله على سلامتك يا عمر بيه.

نظر له البطاوي بعينين مرتخيتين، لم يكترث زياد لذلك وسأله دون مقدمات:

- كنت فين وقت وقوع الجريمة يا عمر باشا؟

- أنا معرف.. أنا معرفش ليه بتستجوبوني..!! هو أنا متهم لا سمح الله فـ...

قاطعه زياد: - محدش قال كده يا فنان بس إحنا لازم نشوف شُغلنا بالطريقة اللي تساعدنا، وبعدين هو إنت مش

كنت عملت دور ظابط قبل كده وقلت لجوز القتيلة إن أول حد متهم في جريمة قتل الزوجة هو الزوج؟!.. لم يرد عليه عمر مُكتفيًا بغلق عينيه خوفًا من أن تصدر منه أي نظرة تفضحه فيرتاب زياد في أمره ويقرأ ما في داخله، كرر عليه السؤال بإصرار فأجابه عمر:

- كنت بستغل فترة الحظر والشوارع فاضية في التجمُّع، وبدوَّر على كام لوكيشن أصور فيه الفيلم الجديد، تقدر تسأل الظابط اللي في الكمين اللي جنب داون تاون. هو حرَّر لي محضر في نفس الوقت ودفعت غرامة.

استطرد زياد:

- كان في أي خلاف بينك وبين المرحومة في الفترة الأخيرة؟

- لا خالص مش لدرجة الخلاف أو.. قاطعه زياد:

- أومال تفسر بإيه كلام الخدامة اللي قالت لنا إنكم كنتوا دائمين الشجار في الأيام الأخيرة؟

- مكانش خلاف، كل الحكاية إني كنت شاكك إنها على علاقة برجل أعمال اسمه كريم سحاب، وكذا حاجة أكدت لي ده، لكن هي أنكرت وقالتلي إني مش بثق فيها، طلبت أشوف موبايلها قالتلي هوريهولك بس لو ملقتش فيه حاجة من اللي

شاكك فيها هنتفصل، فقلت لها خلاص مصدقك.

- إيه اللي أكِّد لك إنهم على علاقة ببعض.

- من حوالي خمس شهور رجالتي شافوها خارجة من فيلِّته، واجهتها قالتلي إنها كانت بتتفق معاه يعملوا شركة إنتاج مع بعض.

- ورجالتك شافوها إزاي؟ إنت كنت بتراقبها؟

- آه.. قالها خجلًا.. كنت براقبها، تصرفاتها الفترة دي مكانتش عجباني زي ما قلتلك، وقبلها كانت على علاقة بمصور يوناني، وكنت شِبه متأكد وبرضو أنكرت.

سأله زياد:

- طب نرجع لكريم سحاب، تحرياتنا بتقول إن كان في مشاكل كانت بينكم الفترة اللي فاتت؟

- كان ليا عنده فلوس، طالبته بيها رفض يديهالي.. قلتله ربنا يسامحك.. أهو دلوقت هربان الله أعلم عشان الفلوس اللي ليا عنده ولَّا يمكن يكون هو اللي قتلها..

قالها مُستجمِعًا خبرته في التمثيل، اغرورقت عيناه وانهمر في البكاء، ثم سعل بعدها عدة سعلات متتالية فدخل الطبيب الذي طلب من زياد عدم استكمال التحقيق، زمَّ زياد

على شفتيه ورحل، تاركًا البطاوي على سريره وسط آلاف بل ملايين من الأسئلة التي أخذت تعيث في عقله وتهجم عليه كنصالٍ حادة باترة، وقد بدأ بالفعل يشعر بالإعياء ورغبة في التقيؤ، وما زال لا يعلم شيئًا عن سمر، أمسك هاتفه ليعيد الاتصال بها علها تجيب، وكان حينها شبه متأكدٍ أن هاتفها سيكون مُغلقًا، لكن ما حدث هو العكس، رن هاتفها أخيرًا فهنض جالسًا مُنتظرًا أن تجيبه فلم يتلقَّ أي رد، عاود الاتصال مرة أخرى ونفس الشيء، لم تجبه.

في نفس الوقت - الأسكندرية

بعدما وصل عادل مهدي باليخت إلى المرسى القريب من نادي اليخت، نزل منه حامِلًا الحقيبة التي أخذتها سمر ووضعها في الشنطة الخلفية ثم ركبت سمر بجواره، رن هاتفه حينها وكان المتصل زوجته، فتح درج السيارة ملتقطًا كلبشًا قيَّد به سمر قائلًا:

- معلش يا حلوة.. الأمر ميسلمش. ثم فتح الباب وخرج من السيارة ليجيب متأففًا: - نعم.. عاوزة إيه؟!

تحدَّثَت إليه مُنهارة من كثرة بكائها فلم يسمع أو يفهم منها شيئًا، طلب منها أن تهدأ، سكتت لثوانٍ ثم أخبرته أنها حُجِزَت في المستشفى لأنها مصابة بكورونا، تهلَّل وجهه حينها، وشعر أن فرحة الدنيا كلها لم تسعه لكنه حاولَ جاهدًا أن يخفي

إحساسه هذا.

- تؤ تؤ تؤ.. زعلتيني أوي يا حبيبتي والله، طب خليكي عندك وهجيلك النهارده أتابعك وأشوف الدنيا عندك إيه.. ربنا يسهِّلها من عنده إن شاء الله وآخد عزاكي إنتي وأبوكي الكلب في يوم واحد.. ربنا راضي عني والله، اقفلي وربنا يكرم إن شاء الله والمكالمة الجاية تكون خبر موتك انتي والخنزير أبوكي.

أطلق ضحكةً ثم دخلَ السيارة مرة أخرى، نظر إلى سمر مشيرًا لها بيديه ألا تتفوه بكلمة، ثم اتصل بمأمور القسم ليخبره كذبًا أنه لن يذهب إلى العمل اليومين القادمين لأنه محمومًا وحرارته مرتفعة، ويساوره الشك بأنه قد أصيب بكورونا. ولن يعود إلى العمل إلا بعد عمل مسحةٍ للتأكد. بعدما أغلق معه المكالمة اتصل بمطعم قدورة طالبًا وجبة سمك وجمبري وأعطاهم عنوانه. ثم انطلق بعد ذلك قاصدًا شقته.

شعرت سمر حينها بإرهاقٍ شديدٍ، تفكر في هذا الوضع الذي هي فيه الآن. طلبت منه أن يفكَّ قيدها لأنه يؤلم مِعصَمِها لكنه رفض:

- استحملي يا عروسة، كلها ربع ساعة ونوصل البيت.

استندت برأسها إلى مسند الكرسي وأغمضت عينيها إلى أن وصل وفك الكلبش الذي يقيدها به، ما إن دخلت شقته حتى شعرت بالإعياء، حين وضع حقيبتها بجوار الباب سمعت هاتفها يرن، طلبت منه أن يعطيه لها لترى من المتصل لكنه رفض: مش هتخدي الموبايل قبل ما تقوليلي إيه حكايتك انتي وكريم سحاب وعمر البطاوي بتاعك ده..

- حاضر، هقولك على كل حاجة بس بعد ما أرتاح، أنا هموت وأنام.

- طب ادخلي خدي دش وارتاحي.. على ما السمك يوصل.

قالها وهو يغمز لها، فلم تكترث له ودخلت الحمَّام، حينها خشيت أن يفتح الحقيبة بينما تستحم ويفتشها، حينئذٍ سوف يجد الخريطة. فكرت ماذا تفعل، وقعت عيناها على مقص موضوعًا بجوار الحوض، فكرت في أن تخرج به وتباغته فترشقه في رقبته، لكنها تدرك جيدًا أنها لن تستطيع فعل ذلك مع رجل مربوع بهذا البنيان القويّ، فقررت أن تستحم بسرعة وتخرج داعية الله ألا يفتح الحقيبة. قطع تفكيرها حين طرق الباب، سألته ماذا يريد، طلب منها أن تفتح له ليعطيها بشكيرًا. ترددت في البداية لكنها تعلم أنه لو أراد الدخول سوف يدفع الباب ليدخل ولن تستطيع مقاومته، ففتحت وأخذت منه البشكير ثم أغلقت مرة أخرى،

أخذت حمامًا في غضون ثلاث دقائق ثم خرجت فوجدته يضع الأكل على السفرة، شعرت حينها أنها جائعة جدًّا، وما إن جلست حتى التهمت الطعام في نهم. بينما هو لم يأكل سوى القليل، مكتفيًا بشرب ربع زجاجة فودكا وعيناه معلقتان على الحقيبة التي بجوار الباب. لاحظت سمر ذلك، فكّرت في اختلاق أي شيء لتشغله عنها كي لا يفتحها ويرى الخريطة، لكنها تفاجأت به ينهض وذهب إليه ليفتحها، وما إن فتحها حتى رنّ هاتفه، فتركها والتقط الهاتف، ارتجف حينها وشعر أن قلبه قد انخلع من مكانه حين وجد أن المتصل هو حَمُوه..

عامر قنديل..

أجاب على الهاتف متوقعًا أن يكون المتصل أحد الأطباء، يستخدم هاتفه ليبشره بموته، لكن ما حدث هو العكس تمامًا، فقد كان المتصل حَماه، وقد لاحظ في نبرة صوته أنه قد تحسَّنت حالته كثيرًا عن ذي قبل. لم يقل له سوى كلمتين:

- إيه الكلام اللي قلته لسلمى ده؟ تاني يا عادل يا مهدي؟ تاني؟

- اسمعني بس يا عمي.. حضرتك فهمت غلـ...

- مفيش كلام خلاص.. كنت فاكرني هموت مش كده؟

- يا عمـ...

- ششششش اسكت متتكلمش.. إنت أيامك الجاية هتكون سودا.

***

في نفس الوقت

لم يفلح السائق في تذكر أي شيء ذي قيمة ليساعد ابتسام على الوصول إلى كريم، أخذت تفكر في أي خيط، نزلت من سيارتها ووقفت على الكورنيش تمسحه بعينيها علها تجد أي شخص تسأله عن أي شيء، وبعد نصف دقيقة لمحت كهلًا يخرج من عُشَّة على مقربة من البحر ومعه شباك للصيد، سألته عن مراكبي يُدعى طلبة أو طالب فهز رأسه لها بالنفي، سألته عن مكان تستطيع أن تسأل فيه عن هذا الاسم لكنه رفض أن يوافيها بأيّ شيء، شعرت ابتسام أنه يتظاهر بعدم معرفته به فأخرجت من حقيبتها ورقة بمائتي جنيه مكرِّرة سؤالها، فأدارت الورقة فجأة تروس الذاكرة لدى الرجل ثم أخبرها أن تذهب إلى ميناء أبو قير، هناك ستقابل رئيس الصيادين الذي يعرف كل شيء. قفزت داخل سيارتها متجهة إلى ميناء أبو قير، وبالفعل قابلت رئيس الصيادين وسألته، تردد في البداية لكنها أخبرته أنها مُدينة إليه بمبلغٍ كبيرٍ من المال، وإن دلها عليه سيكون له نصيبٌ من هذا المبلغ،

فأخبرها على الفور أنه تعرَّض لوعكة صحية ويرقد الآن بمستشفى أبو قير العام، والذي وصل إليها للتو الكهل الذي أخذ منها المائتين جنيه، ليحذره من أن هناك سيدة سألت عنه، ارتبك مرجان حينها ثم سأله عن شكلها، فأجابه الرجل:

- معرفش يا ريس مرجان، أنا قلت أجيلك أنبهك لأني مرتاحتش ليها لما ادتلي ٢٠٠ جنيه عشان تعرف أي حاجة عنك. بس قلتلها تسأل عنك الريس حمزة رئيس الصيادين.

نهض من ضجعته وبصق في وجهه ثم التقط زجاجة مياه بجانبه وألقاها عليه منفعلًا: - مرتاحتش ليها تقوم تدلها على المكان اللي هتعرف تجيبني منه يا غبي؟ كل ده عشان ٢٠٠ جنيه؟

- ما هو بصراحة المتين جنيه وقفوا تفكيري يا ريس مرجان، بس بعد ما مشيت حسيت إنها مش مظبوطة فجيت أنبهك.. الحق عليا؟

- لا الحق على اللي خلفتك.. ربنا يستر بقى.. قالها ثم أمسك هاتفه ليتصل بعادل مهدي ليسأله عما إذا ذهب إلى الجزيرة لإنقاذ كريم وزوجته أم لا، فطمأنه عادل كذبًا أنه فعل، وكل شيء على ما يرام، شك مرجان في صدقه من خلال نبرته وطريقة كلامه، لكنه حاول أن يقنع نفسه بالتصديق وتنفس الصعداء، أغلق هاتفه ثم قال لصديقه: - الحمد لله، راح جاب

كريم بيه سحاب ومراته من الجزيرة.

كان ذلك حين دخلت عليه ابتسام التي سمعت اسم كريم يخرج من فمه، نهض الكهل من كرسيه قائلًا لمرجان إن هذه هي السيدة التي سألت عنه، رمقها مرجان مندهشًا وسألها من تكون، فأخبرته بنبرة حازمة صارمة أنها زوجة كريم وتريد أن تعرف مكانه، تردَّد في الإفصاح عن أي شيء لكنها اقتربت منه وهددته بصوتٍ خافتٍ أنها سوف تبلغ عنه إن رفض مصارحتها بكل شيء، حين رأى الكهل ذلك ابتعد مُهروِلًا، في حين أخذ مرجان يرتجف بدنه قائلًا لها: - والله يا ست هانم هو دلوقت بخير، وبعتله عادل بيه مهدي راح جابهم وقالِّي من شوية إنهم بخير.

- لو كان بخير كان اتصل بيا، أو حتى كنت لاقيت تليفونه مفتوح. صمتت لهنيهة ثم استطردت: عمومًا استنى هتصل بيه تاني عشان أتأكد ومظلمكش.

وجدت بالفعل هاتفه ما زال مغلقًا، أشارت لمرجان أن ينهض الآن ويخرج معها ليدلها على مكانه، ردَّ عليها متمتمًا:
- ما هو أصلو.. أصل أنا.. أصل..

- لا أصل ولا فصل.. قوم معايا بقولك، لا كده لا إما النهارده هيكون آخر يوم في عمرك، ومحدش هينفعك. لكن لو لاقيته، هظبطك..

سكت الرجل لثوانٍ، شعرت ابتسام أنه ما زال مترددًا، فقطعت تردُّدَه بأن دست يدها في حقيبتها لتخرج منها رزمة من النقود فئة مائتين جنيه، أعطتهم له ثم وعدته برزمة مثلها حين ترى كريم.

رأى مرجان رزمة النقود فجحظت عيناه ثم خلع الكانيولا التي في يده ونهض من سريره. دخلت عليه المُمرضة لتسأله عما يفعل، فأخبرها أن لديه ظرفًا طارئًا ويجب أن يغادر الآن، رفضت وأخبرته أنه يجب أن ينتظر للصباح حتى تنتهي جرعة المحلول، لم يأبه لكلامها وخرج مع ابتسام. في الأسفل كان ينتظرها السائق الذي شعر أنه مُقبلٌ على خطر، فاستأذن من ابتسام أن يرحل: والنبي يا أستاذة أنا رجل صاحب عيال، ومليش في القصة دي.. أستأذنك همشي و...

قاطعته ابتسام حانقة: شششششش.. امشي.

كانت الساعة حينها حوالي العاشرة مساءً، وحين وصلا إلى مركبه وجدَ أن الجو متوتر، وليس من الحكمة أن يغادر الآن، التفت إلى ابتسام طالبًا منها أن تصبر للفجر، تفحصت وجهه فشعرت أنه لا يكذب عليها ولا يتهرب منها، لكنها كي تضمن أنه سيصدق في كلامه طلبت منه استعادة المبلغ الذي أعطته له، على أن ترده حين تقابله في تمام الساعة الرابعة فجرًا قائلة بنبرة مهدِّدة: خلي بالك أنا إسكندرانية أصلًا ومن

عيلة القاضي في الحضرة، لو متعرفهاش أحسن لك تفضل كده متعرفهاش، فلو فكرت متجيش متزعلش من اللي هعمله فيك.

ابتلع ريقه بصعوبة قائلًا لها وهو يرتعش: حاضر يا ست هانم، ميعادنا هنا الساعة ٤ الفجر.

بعد مكالمته مع حَمِيه وسماع توبيخه له وتوعُّده، لم يحتمل سماع المزيد وأغلق المكالمة في وجهه، رمقته سمر بطرف عينيها فوجدته شاردًا ساهمًا، آثرت ألا تكترث له ونهضت لتغسل يديها في الحمَّام، في حين أخذ عادل مهدي يفكر في تلك المصيبة التي سوف تحلّ عليه لا محالة، وقف في الشرفة يفكر في حساباته التي تتعقد مرة أخرى، فقد أخبره الأطباء بالأمس أن الرجل بين الحياة والموت، ماذا حدثَ بين يومٍ وليلة ليجعله يستفيق مرة أخرى ويعود إلى الحياة؟! اتصل بالطبيب المتابع له كي يتأكد أكثر عن حالته، لكن الطبيب أكد له أن ما حدث معجزة، وجميعهم اندهشوا حين استفاق عامر قنديل فجأة بعد أن استجاب لجلسات الأكسجين في وقتٍ قياسيّ. أنهى المكالمة وفكر فيما سيفعله له حينما يخرج من المستشفى هو وابنته، وعلى حسب كلام الطبيب فإنه سيخرج في غضون أيام..! شعر حينها بارتجافة في بدنه حين تخيل مستقبله وهو يضيع

أمامه، ليس مستقبله فقط بل وكرامته أيضًا. لفت انتباهه سمر التي جلست على مقربة منه بعد أن أخذت سيجارة من علبته، شعر أن وقته يضيع هباء دون أن يستفيد منه بشيء، نفد صبره فجأة ونهض من كرسيه مُنفعلًا قائلًا لها: إنتي لسه هتشربي زفت؟ ذهب إلى حقيبتها.. أنا دلوقت هديلك التليفون وتديني رقم الناس اللي معاكي، عاوز الفلوس تكون معايا النهارده أو بكرة بالكتير، وكاش مش تحويل.. أخذ يفتش حقيبتها بحثًا عن هاتفها، في حين كانت تدعي ألا يرى الخريطة، لكن الله لم يستجب لدعائها، ووجد بين ملابسها علبة صفيح صدئة لفتت انتباهه، فتحها فوجد بداخلها الخريطة، تطلّع إليها في فضول، مُحاوِلًا فَهم ما تحتويه، لكنه فشل في ذلك. حاولت عدم إظهار أي اهتمام بالخريطة، علّه يتركها ويظن أنها ليست ذات أهمية، لكن حدسه جعله يشعر أن كل ما حدث كان بسبب تلك الخريطة. أخذ يلوح بها أمام عينيها لكن استمرت في عدم إظهار أي اكتراث. فوضعها داخل العلبة الصفيح وأعطاها الهاتف لتفتحه له ببصمتها، سألها عن الرقم الذي تريد أن يتصل به، فقالت له مراوغة: أنا اللي هكلمه.

شعر الضابط الذي بداخله أن تحدثها هي، وبهاتفها، ربما يسفر عنه فخ له، فرفض ذلك رفضًا قاطعًا وأمسكها من شعرها وجذب رأسها إليه بقوة، كادت أن تسقط ووقفت على

ركبتيها صارخة: اسمعي بقى، الوقت مش في صالحي، وإنتي مش سالكة وعاوزة تضيعي وقتي، ومش هسمح لك بده. تحبي تقابلي دلوقت وجه كريم.. كريم اللي هو ربنا.. مش كريم جوزك.. هاااا جاوبيني..

- حاضر.. قالتها وهي تصرخ من الألم

- الخريطة دي بتاعة إيه؟ فأجابته وما زالت تتألم.

- معرفش بتاعت إيه؟ كل اللي أعرفه إن دي اللي لازم تسلمها لعمر البطاوي عشان تاخد فلوسك.

أفلت شعرها من قبضة يده ثم أخرج هاتفه من جيبه طالبًا منها إعطاءه رقم البطاوي، رضخت له وأمسكت هاتفها وأعطته الرقم وهي تبكي، فكتبه على شاشة هاتفه ثم ضغط زر اتصال، مُستخدمًا رقمه الخاص الذي لا يظهر للمتصل. ردَّ عليه البطاوي بعد ثلاث رنات:

- ألو.. عمر البطاوي.. إزيك يا فنان.. عندي ليك أمانة.. لالالا أمانتين.

***

فجر الاثنين ٣٠ مارس ٢٠٢٠

ما إن مدد المقدم زياد جسده على أريكة مكتبه كي يرتاح

قليلًا، حتى اتصل به الطبيب الشرعي ليخبره ببعض المستجدات في قضية مقتل نبيلة خورشيد، والتي كان أهمها هو أن هناك بعض السحجات في رقبتها، وأن سبب الوفاة هو أنها تعرَّضت للخنق، بالإضافة إلى أن الجرح القطعي في رقبتها ليس حيويًّا، وأنها ذُبِحت بعدما لفظت أنفاسها بحوالي ساعتين. علاوة على أنَّ تقارير المعمل الجنائي أثبت وجود بصمات في مسرح الجريمة تنتمي لكريم سحاب..!

***

في نفس الوقت

كان كريم مُمدِّدًا جسده على الشاطئ وقد بدا عليه الشحوب والامتقاع فأصبح غير قادر على الحركة، بعد اكتشافه أنه لم يتبقَّ معه سوى ربع زجاجة مياه، لا يدري إن كانت سمر قد تعمدت إهدار المياه المتبقية أم أنهم استخدموها بالكامل اعتمادًا على أن المراكبي سيأتي في موعده. مكث مكانه مُستسلِمًا لمصيره أيًا كان هذا المصير.

بدأت ملوحة البحر في نخر شفتيه، وشعر بالعطش يستبد به، بلَّلها ببعض القطرات من زجاجته ليروي ظمأه قليلًا. ورغم شعوره بالجوع لكنه خشي أن يأكل فيشعر بالظمأ أكثر. استطاع أن يصمد ويقاوم ذلك الجوع حتى الساعات الأولى

من الصباح، حينها قرر أن يأكل وليكن ما يكن، دخل الخيمة ووجد نصف علبة تونة، فالتهمها وبعد نصف ساعة حدثَ ما كان يخشاه، شعر بالعطش الشديد، فلم يجد أمامه سوى أن يشرب الكمية المتبقية في زجاجته.

بعد مرور عدة ساعات بدت الشمس عمودية على الجزيرة، مُسَلِّطة عليها بإصرارٍ بَيِّنْ قيظًا تلو قيظ، وأخذت ملوحة البحر تلح عليه إلحاحًا حتى نضح ظمؤه واستبد به أكثر من ذي قبل، رمق أمامه زجاجة ويسكي لكنها لا تُسمِن ولا تُغني من جوعٍ أو عطش. شعر حينها أنه اقترب من الموت، سمع صوتًا ضعيفًا لموتور لمركب بخارية فهبَّ من مكانه مسرعًا ووقف أعلى صخرة فلم يرَ شيئًا، واكتشف أن كل هذا ليس إلا خيالات. وخزه ألمٌ شديد في رأسه، فجلس مكانه مرة أخرى ليفكر في تلك الشيطانة التي دخلت حياته الهادئة وقلبتها رأسًا على عقب. كان ذلك حين رمق شيئًا مُهمًا لم يلتفت إليه من قبل..! في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة، تحديدًا أمام الصخرة التي يجلس عليها، لمح كهفًا صغيرًا أشبه بممرٍّ ضيقٍ، تَحَامَل على نفسِه وذهب نحوه، وجد ظلامًا بالداخل فاستخدم كشاف هاتفه الذي أصبحت بطاريته ١٢٪ بعد نفاد الطاقة التي في "الباور بانك"، حاول إيجاد أي شيء داخل هذا الممر فلم يجد، توغَّل أكثر إلى أن وصل لنهايته، فوجد آلة حفر يدويَّة تعمل بالبنزين، بجوارها حفرة

قُطرها سبعون سنتيمتر وعُمقها حوالي متر أو أكثر، كل ذلك لم يلفت انتباهه حينئذٍ ولم يلقِ له بالًا لأنه شعر بالجزيرة تلف به وبدأ الجوع والعطش يأكلان جسده. خرج من الممر بعد ان أحسّ بضيقٍ في التنفس، شعر أنه نثارة في مهب الريح، وألم الظمأ ينخر جسده نخرًا، بينما كان العرق يسير في شُعبٍ على وجهه وصدره وظهره، جلس فوق الصخرة مرة أخرى، ناظرًا إلى السماء، فوجد لونها يتغير تارة إلى الأحمر وتارة أخرى إلى الأزرق. تساءل مندهشًا في قرارة نفسه متى استطاعت حفر كل هذه الحفرة؟ وعما كانت تبحث؟ وهل ما كانت تبحث عنه وجدته أم لا؟ هل هذا له علاقة الرجل اليوناني والخريطة؟ كيف لامرأة مثلها أن تحفر هذه الحفرة؟ وما الوقت الذي احتاجته كي تفعل ذلك؟ وكيف أصلًا أحضرت معها تلك الماكينة؟

تذكَّر حين لفتت انتباهه الحقيبة الكبيرة التي معها وسألها عن سبب أخذها لتلك الحقيبة كبيرة الحجم وأجابته في غنج: "هو إحنا هنشيلها فوق راسنا.. وبعدين دي يادوبك نُص الحاجات اللي عاوزاها، ثم إيش عرفك إنت في حاجات الستات.. مش واجب عليا أدلعك برضه؟"

قالتها وهي تغمز له فحضنها حينها وقبَّلها ودخل ليحضر حقيبته هو الآخر.

تطرق بتفكيره إلى آلاف الأسئلة الأخرى التي حاول إيجاد إجابة لها. أدرك حينها سبب اليوم الذي سقط منه، ظنًا منه أنه قضاه في النوم بجوارها، ولكن أغلب الظن أنها لم تكن نائمة، بل وضعت له شيئًا جعله يغط في النوم وتفعل هي ما تشاء. هذا هو أكثر سبب منطقي لهذا اليوم الذي مرّ دون أن يشعر به. وكلما يفكر أكثر يدرك كم كان مخدوعًا، ذلك الإحساس الذي ترك مرارة في نفسه، وجفافًا في حلقه.. شعر بالأسف والحزن على اكتشاف كل تلك الحقائق في نفس الوقت الذي استسلم فيه لتسليم روحه إلى بارئها. إحساس الاستسلام الممزوج بالحزن على كل ما فعله معها ولم يلقَ مقابله إلا خسة ودناءة، تذكَّر في تلك اللحظة زوجته، وأولاده. بكى.. بكى بحرقة، ظلَّ يبكي بينما مازال العطش وملوحة يود البحر يأكلا شفتيه.. وروحه.

جاءت في عقله فكرة أن يكتب ويدوِّن كل ما اكتشفه، لعلَّه يصل إلى أسرته بأي طريقة. لعلَّه يكون دليلًا على ما اقترفته سمر، ربما تُعاقَب يومًا ما. القلم والورقة على بُعد خطواتٍ منه داخل الخيمة، حاول النهوض مُجبرًا نفسه على الصمود، لكنه لم يكد يقف حتى أحس بوهنٍ شديدٍ، ولم يستطع أن يصلب طوله ويشد قامته، حينها خذلته قدماه وسقط مكانه، فالبحث عنها هنا وهناك بعث في ساقيه وهنًا على وهنٍ، هز رأسه مُتأسيًا، مُتأمِلًا تلك النهاية! شعر بعد ذلك بدوارٍ يلف به

الجزيرة، قبل أن يُغمِض عينيه المليئة بالدموع، مُستسلمًا للمجهول. إلى أن اختفى صوت البحر من حوله، كما اختفى إحساسه بالهواء. اختفى كل شيء..

كل شيء..!!!

فاستلقى مكانه مُمتثِلًا، مُنهزِمًا، مُنكسِرًا.. ذاهبًا إلى غيبوبةٍ بعيدةٍ لا يعلم مداها..

كان ذلك حين اقتربت مركب أبو طالب من الجزيرة، وكلما تقترب أكثر كلما يدق قلب ابتسام أكثر وأكثر، وبداخلها شيء يخبرها أنه ليس بخير، إلى أن أصبحت المركب على بُعد ثلثمائة متر تقريبًا، لمحت ابتسام الخيمة لكنها لم تجد كريم، انتظرت مُتلهفة إلى أن تقترب أكثر وأكثر، حتى أصبحت المسافة بينها وبين الجزيرة أربعين مترًا، وقعت عيناها حينئذٍ على كريم، فوق صخرة، مُستلقيًا على ظهره، تألمت باكية حينها ولكزت مرجان كي يُسرِع قليلًا، مرت حوالي نصف دقيقة حتى أصبحت المسافة للشاطئ ستة أمتار، لم تستطع الصبر أكثر من ذلك، قفزت من المركب وركضت نحوه فوجدته واهِنًا، شاحب الوجه، غائبًا عن الوعي تمامًا. أول شيء فعلته هي أنها أمسكت رسغه بسبابتها وإبهامها استجداء لنبض وجدته ضعيفًا جدًّا، ودرجة حرارته مرتفعة، بينما العرق يقطر على جبهته، تذكرت زجاجة مياه قد

اشترتها في الصباح، دست يدها في حقيبتها فأخرجتها وقطرت بها على شفتيه فاستفاق قليلًا حين لامست شفتاه المياه العذبة الباردة، فتح عينيه ببطء فوجد أمامه ابتسام، لهفى، باكية. ابتسم لها على استحياء ثم أغمض عينيه مرة أخرى، سكبت قليلًا من الماء داخل فمه، ابتلعهم على عجل ليرتوي حلقه المُتيَبِّس كالصحراء الغربية. فتح عينيه لثانيتين ثم أغمضهما مرة أخرى، أمسكت رسغه ثانية فلاحظت أن النبض بدأ يتحسن نوعًا ما، وشفتيه بدأتا في التورُّد، كان ذلك حين جالَ مرجان أبو طالب الجزيرة وينتقل ببصره على الأشياء المترامية داخل الخيمة وخارجها، نظر إلى ابتسام مُتسائلًا:

- أومال فين مراته؟ مش باين لها وجود.

- هو مش صاحبك اللي كلمته قالك إنه جه الجزيرة وخدهم؟

- آه صح.. عادل بيه مهدي قالّي كده.. يعني كان بيكدب عليّا؟

- بلاش أي أسئلة دلوقت، لمّ الخيمة ولم كل اللي تقدر عليه من الحاجات دي وفي أقل من خمس دقايق تكون مدوّر المركب وماشي.. عاوزين نسيب المكان ده حالًا ونوديه المستشفى.

نفذ مرجان ما قالته بالضبط، وبعد سبع دقائق كان يدير المحرك، مُبتعدًا عن الجزيرة، متجهًا إلى الشاطئ..

شاطئ الإسكندرية

***

في نفس الوقت - المركز الطبي العالمي

بعدما أغلق البطاوي المكالمة مع عادل مهدي، ظلَّ يفكر في طريقة يستطيع بها الخروج من المستشفى دون أن يقابل أحدًا من الصحفيين بالخارج، وما زال الحوار الذي دار بينهما في المكالمة يرن في أذنيه، رغم فرحته العارمة بوجود خريطة بالفعل لكنه شعر ببعض القلق، كيف عرف هذا الرجل موضوع الخريطة؟ هل قام بخطف سمر ومن ثم اكتشف موضوع الخريطة؟! أم تلك خطة بينهما كي يستدرجوه إلى هناك؟ ماذا يريد هذا الرجل بالضبط؟! قرر أن يضع حدًا لكل هذه التساؤلات واتصل بأحد رجاله الذين ينتظرونه بالخارج، سأله إن كان يستطيع الخروج من المستشفى دون أن يراه الصحفيين فأجابه أن نعم، ولكن من الباب الخلفيّ. ضغط عمر على الزر المُجاور له فحضر الطبيب بعد نصف دقيقة، ابتهج حين رآه قد بدأ يستفيق ويسترد صحته، رمق المؤشرات الحيوية على الشاشة قائلًا: عال عال.. اتحسنت

كتير أهو يا فنان و...

قاطعه عمر بحدة:

- أنا لازم أمشي حالًا من هنا، مش هقدر أقعد أكتر من كده وبره الدنيا خربانة وقتل مراتي وحاجات كتير أوي لازم أتابعها.

- مفيش مشكلة، بس هكتب لك على شوية أدوية تواظب عليهم الفترة الجاية.

شكره عمر ثم أشار لأحد رجاله أن يذهب إلى الحسابات لدفع الفاتورة، ثم نهض واقفًا، نزع منه الطبيب الكانيولا، شعر في البداية بدوارٍ يلف به الغرفة، لكنه سرعان ما تمالَك نفسه. ارتدى سترته وحذاءه وفتح باب الغرفة، فوجد أمامه ضابط المباحث زياد ضرغام الذي قال له: - إحنا عرفنا مين القاتل..

- مين؟ سأله مُتلهفًا

- كريم سحاب.

***

ما إن اقترب مرجان أبو طالب من مرسى صغير على شاطئ الإسكندرية، لمحت ابتسام رجلًا عجوزًا جالسًا

بزجاجات مياه معدنية مثلجة وحلوى فاشترت منه عشر زجاجات وبعضًا من الحلوى، ثم عادت إليه مرة أخرى وصبت على وجهه زجاجتين ماء، فلاحظت أن أصابعه تحركت، انطلقت منها ابتسامة تفاؤل وظلت تمسح على وجهه بالماء البارد ثم وضعت قليلًا منه على شفتيه فتحركت أيضًا، ولم تمر أكثر من عشر ثوانٍ حتى بدأ يفتح عينيه، أول من رآه حينها هو ابتسام، التي انفرجت أساريرها وابتهجت وهي تحمد الله، رمق بعينيه زجاجة المياه، فطنت إلى أنه يريد أن يشرب لكنه لا يستطيع التحدث، فرفعت رأسه بيمينها وضمته إلى صدرها ثم قرَّبت بيسارها زجاجة المياه من فمه، ظل ينهل منها بنهمٍ حتى ارتوى، ثم وضعت في فمه قطعة شيكولاتة كي تمد جسده ببعض السكريات، وسرعان ما بدأ يستفيق ويدرك ما حوله، حتى اكتمل إدراكه بعد سبع دقائق، انتفض فجأة مُتلفتًا حوله كالمجنون:

- سمر.. سمر.. فين سمر؟ مسكتوها ولَّا لأ؟

- مالها؟ سألته ابتسام.. عملت لك إيه يا كريم؟ وليه مكانتش موجودة في الجزيرة معاك؟

أطرق رأسه لثوانٍ ثم قال لها:

- هحكيلك كل حاجة بعدين.. المهم دلوقت أنا عاوز أدور عليها.

سأله مرجان أبو طالب:

- هو الظابط جالك فعلًا زي ما قالّي يا كريم بيه؟

التفت كريم إليه مُتذكرًا ما فعله، اقترب منه وهو يسأله: - إنت كنت فين؟ أمسكه من تلابيبه ثم صفعه على وجهه وصاح به: رُد عليّا.. مجتش ليه في الميعاد اللي قلتلك عليه؟

ارتجف مرجان حين لمح أساريره المنقبضة بالشر ومدَّ له يده ليريه مكان الحقن:

- أنا كنت بين الحياة والموت يا كريم بيه، اسأل حتى الست هانم.

- ما علينا دلوقت.. قولّي بقى كنت بتقول إيه؟ إنت تعرف الظابط ده؟

- آه.. عادل بيه مهدي.. وأنا اللي قلتله يجيلكم.

- تعرف عنوانه؟

- آه أعرف عنوانه.

قالت له ابتسام:

- بس إنت مش هتروح في حتة قبل ما أطّمئن عليك، أنا اتصلت بالإسعاف.

- لالالا بلا إسعاف بلا بتاع.. أنا بقيت كويس وهبقى أحسن مع الوقت.. حاليًا أنا عندي هدفين.. لاحظ أن مرجان ينصت إليه باهتمامٍ كما لو كان أحد أفراد أسرته، فآثر ألا يتحدث بشيءٍ أمامه وطلب منه أن يذهب ليحضر ورقة وقلمًا ويكتب له عنوانَ عادل مهدي بالتفصيل. ما إن ابتعد عنهما حتى أخبر ابتسام أنه يريد شيئين الآن، أول شيء هو الاطمئنان على السبائك التي يخبئها في فيلّته، ثانيًا قتل سمر وعمر البطاوي. شعرت ابتسام حينها بالخوف والقلق عليه حين ذَكرَ كلمة القتل، وأحست أنها أمام رجل تعرفه لأول مرة، سألته ما الذي فعلته له سمر كي يريد قتلها. دس يده في جيبه بحثًا عن هاتفه فلم يجده، فطنت إلى أنه يريد الهاتف فأخرجته من حقيبتها وأعطته له، لكن بطاريته كانت فارغة تمامًا، سألها إن كان معها باور بانك فهزت رأسها نافية. كان ذلك حين جاء مرجان أبو طالب ومعه ورقة مكتوبًا فيها عنوان عادل مهدي بخطٍ ركيك، لكن كريم استطاع قراءته وحفظ العنوان عن ظهر قلب. وضع الورقة في جيبه ثم شكر مرجان طالبًا منه ألا يخبر أحدًا أنه تم إنقاذه.

- حتى عادل بيه مهدي؟

- أهو ده خصوصًا إنت مش محتاج تقوله، لأنه هيعرف لوحده.. التفت إلى ابتسام التي كانت رغم أي شيء سعيدة

جدًّا باسترداده وعيه: - ابتسام.. أنا عاوز آخد دش وآكل.

أخرجت هاتفها على الفور لتطلب سيارة أوبر، ثم تركا أبو طالب ووقفا على الكورنيش منتظرين السيارة التي سوف تأتي بعد عشر دقائق، استغلتها في فتح تطبيق booking لتحجز غرفة أخرى بفندق تيوليب، بجوار غرفتها التي أجّرتها بالأمس لتبيت فيها، جاءت السيارة فاستقلوها على الفور، شعر كريم حينها بإنهاكٍ شديد، أغمض عينيه إلى أن وصلا إلى الفندق، أعطته رقم الغرفة وأخبرته أنها ستلحق به بعدما تشتري له ملابس من الملحق التجاري للفندق. فأومأ رأسه المنهكة وصعد غرفته بعد أن نظر لها مبتسمًا بنظرة شكر وامتنان وتقدير، فهمت ما يريد قوله دون أن يتكلم وردت عليه بابتسامة رقيقة وذهبت..

ما إن دخل غرفته حتى خلع ملابسه وملأ البانيو ثم غمر نفسه فيه وأغمض عينيه المُنهَكَتين. مُتذكرًا كل ما حدث له خلال اليومين السابقين، فأخذ يرتب داخل عقله ما الذي سوف يفعله فيما بعد.

لم تكد تمر نصف ساعة حتى سمع طَرْقَ الباب، أدرك على الفور أنها بالتأكيد ابتسام، لا أحد غيرها، ستر نفسه ببشكير ثم فتح لها فوجدها قد اشترت له بعض الملابس وشاحنًا لهاتفه وباور بانك ونظارة شمس، وضعتهم على السرير ثم

أوصلت هاتفه بالباور بانك قبل أن تجلس واجِمةً، عابِسةً. سألها كريم عن سبب عبوسها، زمَّت شفتيها وترددت في البداية إخباره لكنه ألحَّ عليها بإصرار، فقالت له إنه مُتَّهَم في جريمة قتل نبيلة خورشيد. والخبر تم انتشاره وتداوله على وسائل التواصل الاجتماعي منذ قليل.

تيبَّس في مكانه من وقع الخبر على أذنيه، وتجمَّد الدم في عروقه، شعرت ابتسام به واقتربت منه وضمته إلى صدرها كي تبث فيه بعض الأمان والطمأنينة، جلس على طرف السرير ساهمًا، شاردًا، يفكر في تلك الخطط التي تحاك ضده من كل الجهات والنواحي، وفي كل تلك المصائب التي تنهال عليه من كل صوبٍ وحدبٍ. شعر أن نهايته قد اقتربت، تذكَّر في ذلك الحين سبائك الذهب التي خبأها في شقته، ترى هل ذهبت سمر لأخذهم؟ ولكن كيف وهي لا تعرف كلمة السر، واحتمالية سرقة خزينة البنك المركزي أكبر من احتمالية سرقة خزينته، ومع ذلك لم يشعر بالاطمئنان الكامل. فتح هاتفه ليتصل بنظام الكاميرات في فيلته فلم يفلح، تأكد حينها أن السبائك قد سُرِقَت بنسبة تفوق التسعين بالمائة.

- أعمل إيه دلوقت يا ابتسام؟

- مش عارفة.. أنا عمالة أفكر معاك أهو، بس أنا اكتشفت إني معرفش كل حاجة عنك زي ما كنت فاكرة.

تذكَّر حينها الظرف الذي طلب منها أن تعطيه إلى زوجته:

- بقولك إيه إنتي إديتي الظرف لشروق؟

خشيت في البداية أن تصارحه فينفعل عليها ويثور، لكنها وجدت أن الوقت ليس ملائمًا لأي كذبة حتى لو بيضاء، وآثرت أن تصارحه بالحقيقة:

- لا بصراحة يا كريم. سامحني.

تنفس الصعداء وحمد الله:

- كويس.. دلوقت إحنا عندنا كذا اتجاه عاوزين نمشي فيه.. قالها وهو يلتفت حوله يبحث عن شيءٍ ما، فأدركت ما يريده دون أن يتفوَّه بكلمة، أخرجت من حقيبتها ورقة وقلمًا مُنتظِرة ما سيقوله لها لتدوِّنه وتسجله. تساءل في قرارة نفسه فيمن لديه مصلحة في ذلك، ولم يجد ببساطة سوى اثنين، سمر شعيب وعمر البطاوي. بالتأكيد هما اللذان خطَّطا لذلك كي يتخلصا منه، انتزع نفسه من شروده وسأل ابتسام متى قُتِلَت نبيلة خورشيد، فقالت له أن الخبر انتشر قبل يومين، أي إنها قتلت بينما كان في الجزيرة. ولا يوجد شهود إثبات لذلك سوى سمر التي كانت معه، والتي بالتأكيد ستشهد أنها لم تكن معه، هذا إن وجدوها من الأساس. تذكَّر المراكبي، مرجان أبو طالب، وبالتأكيد سوف يستعين به

كدليل على حجة غيابه، وأنه طوال تلك المدة كان في الجزيرة.

قرّر أن يذهب إليه ويعطيه أي مبلغ يريده مقابل الذهاب إلى الشرطة بمفرده ليشهد بذلك، لأنه لا يستطيع أن يذهب هو بنفسه، ربما لو ذهب للاعتراف بأنه لم يقتلها يحبسونه أربعة أيام على ذمة التحقيق، وإلى أن تتم براءته سوف يمرُّ وقتٌ طويلٌ، هذا إن استطاع إثبات براءته من الأساس، وأخذت النيابة والمحكمة بأقوال أبو طالب. ولكن على أي حال رأى أنه يجب عليه الآن أن يذهب إلى مرجان أبو طالب ليطلب منه الذهاب للشرطة للإدلاء بأقواله. نهض ليرتدي ملابسه التي اشترتها له ابتسام التي وقفت في الشرفة تفكر في أي حل، ورغم كل تلك المشاكل التي تحيط به ابتسم حين وجد أن الملابس التي اشترتها على مقاسه تمامًا، لكن الوقت ليس مناسبًا لأي دهشة أو حتى تعبير عن الشكر.

- يلّا يا ابتسام نسحب فلوس ونروح لمرجان أبو طالب.

رغم أنه لم يطلعها على ما كان يفكر فيه لكنها فطنت له بسرعة:

- علشان هو الشاهد الوحيد دلوقت على إنك كنت في الجزيرة.. طبعًا خلاف إني حشهد أنا كمان.

- بالظبط.. قالها ملتقطًا هاتفَه بالباور بانك ونزل إلى ردهة الفندق، سحبت ابتسام عشرة آلاف جنيه في حين فتح كريم هاتفه ليتصل بمرجان أبو طالب، لكنه لم يجبه، فقرَّر الانتقال إلى آخر مكان تركه فيه، ربما يكون هناك، وإن لم يجده هناك فبالتأكيد سيجد ألف شخص يدلُّه عليه. بعدما سحبت ابتسام المبلغ طلبت منه أن يرتدي النظارة الشمس كي تُخفي ملامحه قليلًا فلا يستطيع أحد التعرف عليه، فوجد أنها على حق. ثم طلبت منه أن ينتظرها في الخارج إلى أن تحضر سيارتها القابعة في جراج الفندق.

حينما وصلا إلى المكان الذي تركا فيه مرجان أبو طالب وجدا هناك زحامًا غير عاديٍّ، اقتربا من الزحام أكثر وأكثر وحاولا اختراق الحشد الموجود حتى استطاعا تمييز الشخص الملقى على الأرض، فوجدوه الشاهد الوحيد الذي كان مُحتملًا أن يشهد له أنه كان في الجزيرة وقت وقوع الجريمة، مرجان أبو طالب..! مُلقى على الأرض، مقتولًا وسط بِركة من الدماء. مطعونًا أكثر من أربع طعنات نافذة. وحوله بعض الصيادين يتمتمون فيما بينهم، إلى أن سمعا أحدهم يقول إن آخر من كانوا معه هو رجل وامرأة..

سمعا تلك الجملة ورمقا بعضهما البعض ثم سحبا نفسيهما من بين الحشد بهدوءٍ قبل أن يلمحهما أي شخص فيتعرّف

عليهما. وركبا السيارة قاصدين عنوان عادل مهدي الذي أعطاه له مرجان أبو طالب رحمة الله عليه.

***

في نفس اللحظة..

كان عادل مهدي جالسًا في الشرفة ينظر إلى البحر ويشرب فنجان قهوة وهو ينظر إلى الساعة والوقت الذي يمر كرصاصة أُطلِقَت من كلاشينكوف، أخذ يفكر في طريقة يتخلص بها من حَمِيه وزوجته قبل أن يخرجا من المستشفى وينتقما منه، وفي نفس الوقت يفكر في الملايين التي سيطلبها من سمر والبطاوي. حينها رنَّ هاتفه وأجاب على الفور:

- إنت ابن حلال والله يا عمر بيه، كنت لسه بفكر فيك.

- إنت فين في إسكندرية.. ابعتلي لوكيشن على واتساب؟

نزعته الأمنية بداخله جعلته يشعر بالترقُّب والحذر من كل من حوله، ومن أي خطوة يتخذها دون تفكير، فهو في النهاية لا يعلم مدى قوة البطاوي، وما الذي تخبئه له سمر رغم أنها تحت سيطرته، خشي أن يرسل له مكانه قائلًا له: - لا معلش ابعتلي إنت الأول اللوكيشن بتاعك، وأول ما توصل بوابة إسكندرية اتصل بيا وهقولك تجيلي فين.

ما إن أغلق الهاتف حتى دخلت عليه سمر التي لم تنم طوال الليلة الماضية سوى نصف ساعة مُتقَطّعة، وجدت أمامه صينية عليها بعض المكسرات وزجاجة خمر، أخذت حبة فستق وتجرعت وراءها قليلًا من الويسكي، ثم أشعلت سيجارة مارلبورو أحمر من علبته، التفت إليها مندهشًا:

- طب حتى كُلي أي حاجة من التلاجة!

- مليش نفس - جلست على الكرسي المجاور له - المهم قولّي، اللي كنت بتكلمه ده عمر البطاوي؟

- آه، وجاي في السكة. لكن خلي بالك موضوع العشرين مليون ده اتلغى، بعد ما شفت الخريطة دي الموضوع بقى الضعف، يعني خمسين مليون..

سألته باندهاش مُمتزجًا بسخرية: - إيه اللي بتقوله ده.. وبعدين من إمتى كان الخمسين ضعف العشرين؟!!!

- من دلوقت.. عاجبك ولّا مش عا...

اقتطع كلامه حين رنَّ جرس الباب والتفت إليه بقلقٍ وارتياب، سألته سمر إن كان ينتظر أحدًا فأومأ لها أن لا، فقالت له بصوتٍ خافت: - ما هو أكيد عمر البطاوي مش هيلحق يكون جه أو...

أشار لها بيده أن تصمت وتدخل غرفة النوم، فابتلعت ما كانت ستقوله ثم دخلت، وما إن فتح عادل الباب حتى تفاجأ بكريم سحاب واقفًا أمامه وبجواره سكرتيرته، لم يعطه كريم فرصة لاستيعاب الأمر وباغته بلكمةٍ قوية في وجهه، كان ذلك حين لمحته سمر من وراء باب غرفة النوم فانخلع قلبها من مكانه حينها، بعدما تلقى عادل مهدي اللكمة اهتز توازنه ورجع خطوة إلى الوراء، هبَّ كريم هاجمًا عليه ليناوله الثانية، لكن عادل تفاداها ورجع بجزعه إلى الوراء وأمسك كريم من مرفقه وجذبه نحوه بقوة، ثم لفَّ ذراعه وأحكم قبضته عليه، حاول كريم الإفلات لكن حالت دون ذلك قوة بنيان عادل الذي سيطر عليه تمامًا:

- إنت اتجننت؟ إنت عارف عقوبة التهجُّم على ظابط كام سنة؟

- وهو إنت ظابط شريف أوي وبيمشي بالقانون؟!

- خلاص بلاش القانون.. إنت عارف عقوبتي ليك على اللي عملته ده إيه؟

لم يرد كريم فأردف عادل:

- القتل يا روح أمك.. إنت جاي تتهجم على ظابط في بيته

– سحب مسدسه من فوق المنضدة التي بجواره ووجَّهه

ناحية رأسه - يعني لو قتلتك دلوقت مش هاخد فيك ربع ساعة استجواب.

حاول كريم مرة أخرى استجماع قوته ليفلت من سيطرته لكن بلا جدوى، كانت ابتسام واقفة تشاهد ما يحدث مُرتعِدة وخائفة على كريم، لا تعرف ما هو أصح شيء يجب أن تفعله سوى أن تتوسل إلى عادل أن يترك مسدسه ويجلس للتحدث بهدوء، تفحصها بعينيه مُستطردًا:

- أنا هسيبك بس عشان الحلوة دي، هتقعد إنت وهي على الكنبة وتقولوا كل اللي عندكم في أقل من خمس دقايق عشان مستني ناس.. اتفقنا؟

لم يجبه كريم، لكنه توقف عن المقاومة، فأردف عادل:

- هعتبر سكوتك ده معناه اتفقنا.

تركه عادل فشعر كريم أن ذراعه تؤلمه من أثر القبضة. أخذ نفسًا عميقًا ثم جلس هو وابتسام على كنبة الصالون وجلس عادل أمامهما مُمسِكًا بمسدسه، لمح ابتسام تنظر إلى المسدس بعينين زائغتين، فقال لها مُستهزئًا: - معلش يا أستاذة أنا مش متعود أقابل ضيوفي بمسدس بس إنتي شفتي مين بدأ.

وضع المسدس على منضدة بجواره، ثم طلب منهما أن

ينهضا ليفتشهما بحثًا عن أي سلاح أو هاتف يُسَجِّل ما يدور بينهما، لم يجد في حوزتهما شيئًا يخشى منه سوى هواتفهما فأخذهما ووضعهما أمامهما بعد أن تأكد أنهما لا يسجلا، ثم سمح لهما بالجلوس مرة أخرى:

- معلش متأخذونيش.. دي دواعي أمنية بسيطة.

دخل الشرفة ليحضر علبة سجائره، مدَّ يده بها إلى كريم فأخذ سيجارة وأشعلها له عادل، ثم أشعل سيجارة لنفسه وجلس منتظرًا كريم الذي ابتدر حديثه مباشرة:

- أنا عاوزك تسلمني سمر.. وعينيا ليك في أي حاجة إنت عاوزها.

- إمممممممم.. عاوزني أسلمك سمر. كلام جميل.. طب إيه اللي يخليني أسمع كلامك؟ هل هتديني ٦٠ مليون؟

اندهش كريم مما سمعه فاستكمل عادل كلامه:

- آه نسيت أقولك إني هسلمها بعد شوية لواحد مقابل ٥٠ مليون.. أصلها بسم الله ماشاء الله سعرها بيزيد.

سأله كريم رغم أنه يعرف الإجابة:

- هتسلمها لمين؟

نظر عادل في ساعته، ليس أمامه الكثير من الوقت

ليضيعه في أي هراء معه، عمر البطاوي في الطريق إليه، في نفس الوقت هناك رجل وابنته ينتويان الانتقام منه وإنهاء مستقبله، وفي غرفة النوم توجد امرأة كالأفعى وليست سهلة، ولا يعلم كم ثمنها بالنسبة للاثنين، وفي حوزته خريطة لا يعرف قيمتها الحقيقة حتى الآن. وضع كل تلك المعطيات أمامه مُحاوِلًا ترتيبها، وبعد ثوانٍ استطاع التوصل إلى فكرة رائعة، ابتسم ابتسامة ظفر حينما وردت في عقله تلك الفكرة، حجر يقتل به عصفورين.. بل عدة عصافير. تأمّل الفكرة مرة أخرى فضحك بصوتٍ عالٍ حتى ظنَّ كريم أنه مريض نفسيّ، هز عادل رأسه مندهشًا من الأمور حين تترتب من تلقاء نفسها وتصبح لصالحه، ثم دخل في صلب الموضوع مباشرة:

- إنت طبعًا عاوز رقبة مراتك اللي شرعت في قتلك.. مش كده؟ هز كريم رأسه أن نعم. فاستطرد عادل:

- عظيم يا كريم بيه، وأنا هسلمهالك فوقها بوسة، ومن غير ولا مليم. مش عاوز فلوس.. لم يستطع كريم حينها إخفاء دهشته، فهو يعلم أن الحَدَأة لا تلقي كتاكيت، فكيف سيسلمها له دون مقابل؟! أردف عادل:

- بس عاوز منك حاجة تانية..

لم يرد عليه كريم منتظرًا أن يقول له ماذا يريد، فاقترب

منه عادل قائلًا له بصوتٍ خافت:

- إنت هتقتل..

جحظت عينا كريم حينها، وشعرت ابتسام بالإعياء، فيما استكمل عادل: - هتقتل حمايا، هديلك عنوان المستشفى ورقم غرفته، وهديلك كمان حقنة، هتدخل، تحقنها في الكانيولا وتخرج، ولا من شاف ولا من دري.

- ومين قالك إني هوافق؟

أجابه بثقة كبيرة وهو يهز رأسه مُبتسِمًا:

- هتوافق.. لأسباب كتير منها إني هحميك من واحدة عاوزة تقتلك هي والفنان الكبير.. مش هحميك منهم بس.. ده أنا كمان هسلمهالك تسليم أهالي.. متكتفة. دليفري لحد باب بيتك.

بدأ كريم يفكر في عرض عادل الذي لم يعطه فرصة وزوّد الدافع أكثر: - آه متنساش إنهم لو قتلوك مش هيتسجنوا نص ساعة.. لأن ببساطة هتكون دفاع عن النفس.. واحد قتل فنانة مشهورة وقابل جوزها في إسكندرية حاول يقتله هو كمان، لكن جوزها قتله.. دفاع عن النفس.

نظر كريم إليه وقد شعر ببعض الضيق حينما وجد أنه على

عِلم بجريمة القتل المُلفقة له، لكنه الآن أدرك أن مصر كلها عرفت. زوّد عادل العيار أكثر وأكثر ليقنعه: - لكن لو سمعت كلامي وقتلت حمايا، اللي هو أصلًا خارب بيوت ناس كتير وإنت كده هتاخد حقهم وهتعمل خير.. لو قتلته.. بالخطة اللي هقولك عليها، إنت بس مش هتنقذ نفسك، ده أنا كمان حشهد إنك كنت في الجزيرة وقت وقوع الجريمة. مكان مرجان أبو طالب الله يرحمه.. قالها مُتظاهرًا بالتأثر. ردَّ عليه كريم:

- يعني أنا عشان أثبت براءتي من جريمة قتل معملتهاش.. أقوم أقتل بجد؟

- لا ما هو براءتك من جريمة قتل نبيلة خورشيد هتاخدها بعد ما أنا أشهد إنك كنت في الجزيرة وقت وقوع الجريمة، ده غير إني هسلِّمك سمر زي ما قلتلك.. دليفري.. عرض كومبو مش هتلاقيه في مكان تاني واسأل برة. قال ساخرًا.

فكر كريم في كلامه لثوانٍ ثم قال له: - تمام بس على شرط...

- لا يا بطل الأبطال متتشرطش على عادل مهدي.. يلّا يا نجم – نظر في ساعته - قُدّامك ست ساعات.

أخذ كريم يستغرق في التفكير في الأمر أكثر وأكثر وكيف

سينفذ ذلك، فتبادر في ذهنه سؤال منطقي بعض الشيء بالنسبة إليه:

- طب إنت ليه معملتش كده؟ وليه أنا بالذات اللي أقتله؟ وليه مثلًا مطلبتش ده من حد غيري؟

أطلق ضحكة قصيرة ثم أجابه واثقًا:

- شايف كوكب الأرض ده كله؟ مفيهوش حد أقدر أطلب منه الطلب ده غيرك.. زي ما أنا الوحيد في كوكب الأرض اللي معاه إثبات براءتك ومعاه أكتر اتنين بيكرهوك وعاوزين يقتلوك، هسلمهم لك مجانًا. طب وربنا أنا رجل جدع وكريم.. يا كريم.

- اتفقنا.. قالها ونهض مُلتقطًا هاتفه وهاتف ابتسام من على المنضدة، ثم أخذ من عادل الورقة المدوَّن فيها عنوان المستشفى ورقم الغرفة وصورة لحَمِيه كي يتعرف عليه بسهولة. ثم رحلا. دخل عادل بعدها غرفة النوم حيث تجلس سمر على حافة السرير وهي تنظر له مُتوجِّسة، اقترب منها ومشى بأصابعه على شعرها ثم وضع يده على رقبتها وقال لها مبتسمًا:

- تخيلي، إنتي تمنك عند الاتنين غالي أوي.. ده غير إنك حلوة، وموديل ناجحة وشاطرة، يخرب بيت كده.. إزاي

قدرتي تجمعي بين كل ده؟

شعرت تجاهه بالتقزز ثم قالت له متأففة:

- بقولك إيه اتصل بعمر البطاوي شوفه اتأخر ليه؟ أنا زهقت من القعدة مع شخص مريض زيك.. يخرب بيت أمك والله. إنت مش طبيعي.

- هاهاهاها لحقتي تزهقي مني؟ عمومًا البطاوي أكيد دلوقت وصل عند...

لم يُكمل جملته حتى رنَّ هاتفه وكان بالفعل هو المتصل ليخبره أنه قد وصل إلى بوابة الإسكندرية، فقال له عادل أن يسير في الكورنيش المطل على البحر حتى يصل إلى فندق مكة ويتصل به، بعدما أغلق الهاتف ألقاه على المنضدة قائلًا لسمر: - بقولك إيه هو قُدَّامه حوالي نص ساعة، ما تيجي نتكلم مع بعض شوية في النص ساعة دي، قالها وهو يغمز بعينيه فأدركت ما يريده، نهضت مُبتعِدة عنه بعدما رمقته بنظرة اشمئزاز ودخلت الشرفة لتشعل سيجارة، أطلق ضحكة ولم يلحّ عليها، ثم التقط هاتفه مرة أخرى ليتصل بالمستشفى كي يطمئن على حَمِيه، فأجابه الطبيب المعالج أنه الآن نائمٌ بعدما أخذ جرعة الدواء والمهدّئ وبعض المسكنات. فشكر الطبيب واتصل بعدها بكريم ليخبره أن هذا هو أنسب وقت لإنجاز المهمة، فالمستشفى مُزدحمة

ويستطيع فعل أي شيء مُستغلًا أزمة كورونا.. كان كريم في ذلك الوقت يبحث في عدة أماكن عن محل يبيع مستلزمات الأطباء، وصف له البعض عدة محلات لكنه وجدها مغلقة مثلها مثل معظم المحال التي أغلقت في تلك الفترة، حتى وجد صيدلية يقف على بابها طبيبان، طلب من ابتسام أن تقف ليسألهما، علّهما يفيدانه بأي معلومة، وبالفعل وصفا له محل بجوار كلية طب الإسكندرية وأكدا له أنه ليس مغلقًا الآن. فانطلقت ابتسام قاصدة ذلك المحل.

بعد نصف ساعة..

اتصل عمر البطاوي بعادل مهدي ليخبره أنه أمام فندق مكة، اقترب من شباك غرفة النوم فوجد في الأسفل سيارة جيب سوداء..

- عربيتك الجيب السودا يا فنان؟

- آه.

- طب انزل منها وعدّي الشارع، ادخل العمارة اللي بوابتها إزاز أزرق، اركب الأسانسير واطلع الدور الاتناشر.

نزل البطاوي من السيارة ومعه حارسه الشخصي فقال له عادل:

- لا يا فنان، بطل الأبطال اللي معاك ده خليه يدخل تاني العربية واطلع لوحدك.

ففعل البطاوي ما أمره به عادل، وصعد له بعد أن وضع كمامة على وجهه ثم ارتدى قبعة ونظارة سوداء، وأصبح مُتخفيًا بشكلٍ كاملٍ. ما إن دخل البطاوي وقبل أن ينبس بكلمة استأذنه عادل مهدي أن يفتشه كإجراء أمني مثلما فعل منذ قليل مع كريم وابتسام، فلم يمانع وكان مُتعاونًا وصبورًا إلى أبعد حد، على عكس طبيعته في التعامل مع الناس، وجد عادل في جيبه مسدسًا كاتمًا للصوت وهاتفًا، أخذهما منه ووضعهما على المنضدة بجوار باب الشقة، ثم أشار للبطاوي أن يجلس، وما إن جلس حتى أخذ يتلَفَّت حوله باحثًا عن سمر، فبدأ عادل بالكلام مازِحًا:

- لا بس بسم الله ما شاء الله مش باين عليك السن، غير إنك أحلى بكتير من التليفزيون. العز حلو برضه.

ردَّ عليه البطاوي بابتسامة سمجة وأشار له شارعًا ذراعيه أن يبدأ في الكلام المهم، ففعل:

- دلوقت على حسب اللي عرفته إن العروسة اللي جوه معاها خريطة لحاجة معيَّنة، إيه هي الحاجة دي معرفش، بس شكلها حاجة مهمة، وبيني وبينك في ناس دافعين فيها أكتر، إنت إيه رأيـ...

- وعرفت منين إنها حاجة مهمة؟ سأله البطاوي فأجاب عادل بنبرة هادئة:

- إحساسي، وبعدين منكرش إني متعلمتش روسي أو يوناني، لكن عندي كتير ممكن يعرَّفوني، فبدل كل ده جيب من الآخر ورسِّيني على الموضوع. خلينا نتفق ونكون مع بعض في كل حاجة.

أخرج البطاوي سيجارًا من جيبه وأشعله قائلًا لعادل:

- انت قلت إنك ظابط.. مش كده؟

- بمشيئة الله..

- خلاص هديلك عرضين تختار منهم واحد. الخريطة دي مبدئيًا بتوصف مكان حاجة تمنها ملايين كتير أوي فوق ما تتخيل، ساعدنا في استخراجها، وليك التلت. أيًّا كان بقى هنبيعها بكام.. إنت نصيبك هيكون التلت، ده العرض الأول.. العرض التاني تدينا الخريطة مقابل ٣٠ مليون وإحنا معانا ربنا.

- إنت عاوز تقولّي إن الحاجة دي تمنها أكتر من ١٠٠ مليون مثلًا؟

- ١٠٠ مليون إيه يا حضرة الظابط، الحاجة دي لو فعلًا

لاقيناها في المكان اللي واصفاه الخريطة.. عندي اللي يشيلها بأكتر من ٧٠٠ مليون. كل اللي عليك إنك تأمِّن لنا الحفر بحيث إننا نخلص كل حاجة بسرعة.

- لا كده الموضوع كبير وفيه آثار.. إديني فرصة يومين تلاتة أفكر.

أجابه مباشرة:

- تفكر إيه أنا مش جاي أطلب إيد بنت خالتك.. قُدَّامك ساعة.

- طب بالليل هرد عليك.. الموضوع محتاج وقت عشان..

قاطعه البطاوي ضاغطًا عليه:

- مفيش وقت.. قُدَّامك دقيقة.

فأجابه بسرعة:

- موافق.. على الاختيار الأول.

طلب عمر الخريطة منه، تردَّد في البداية لكنه بعد تردُّد طويل دخل غرفة النوم واستخرج الخريطة من دولابه لكنه احتياطيًا صوَّرها بهاتفه عدة صور واضحة ثم خرج بها ليعطيها له قائلًا:

- بس غريبة إنك مسألتش على سمر هانم.. هي متخصكش ولَّا إيه؟

- مين دي اللي متخصنيش؟ دي عندي أهم من أي خرايط في الدنيا، هو المفروض إني همشي من غيرها ولا حاجة لا سمح الله؟

- آه بمشيئة الله، سمر عندي أمانة.. تفتكر هديهالك بالسهولة دي هي والخريطة وتمشوا؟

- إنت ليه فاكرني إني هغدر بيك أو أخونك.. إحنا بيننا اتفاق.. متقلقش أنا مش خاين..

- لا خالص أنا مش قلقان. قالها ثم نادى على سمر التي خرجت وارتمت في حضن عمر البطاوي وهي تبكي فحاول تهدئتها مُوجهًا سؤالًا لمهدي:

- إنت عملت معاها حاجة زعلتها؟

- اسألها.. وربنا ولا لمستها.

- طب عندي سؤال تاني.. أنا فعلًا كنت جاي آخد الخريطة وسمر، بس مكنتش أعرف إني همشي بالسهولة دي بدون مناقشات وجدال. للدرجة دي مستأمني؟

ضحك عادل ثم أخرج من علبته سيجارة وقبل أن يشعلها

قال له:

- يعلم الله إني مش مستأمنك لحد آخر الطرقة، لكن أنا قريت في عينيك إنك صادق، ده بالإضافة إني معايا كروت تانية هقدر أستعملها لو إنت غدرت بيا.

لم يسأله عمر وظلَّ معلقًا عينيه على ملامح وجهه مُحاولًا قراءة لغة جسده، استطرد عادل متهكمًا:

- آه صحيح نسيت أعزيك في الفنانة، والله كنت بحب أشوف أفلامها وبالذات الفيلم اللي اتقطعت فيه من الممثل الشاب ده مش فاكر اسمه.

- عاوز تقول إيه يا عادل يا مهدي؟ إيه الكروت اللي عندك؟

- عاوز أقول إني معايا كذا دليل يثبت إن القاتل مش كريم سحاب. أنا أعرف كويس جدًّا مين القاتل زي ما إنت عارف.. قالها وهو يغمز بعينيه، فلم يستطيع البطاوي إخفاء توتره رغم مهارته الفائقة في ذلك. هذا التوتر قرأه عادل جيدًا فابتسم له وأشار له أنه لن يتفوه بشيء يؤذيه. فالمصلحة بينهما واحدة.

- طيب ما علينا من الموضوع ده، يلّا نشوف موضوع الخريطة.. فأجابه عادل مهدي بنبرة جادة:

- المكان اللي بتشير له الخريطة جنب مقابر كوم الشقافة.. أرض فضا.. خرابة.. سيب موضوع الحفر ده عليا، أنا هسلكهولك.

- لو حاسس بنسبة ١٪ إنك مش هتعرف تساعدنا أو هتسوحنا قول من دلوقت.

- عيب عليك.. إسكندرية كلها بتاعتي. تحب نبدأ إمتى؟

اتفقا على أن يتقابلا في الغد، بعد الساعة الحادية عشرة مساء، على أن يستغل هذا الوقت في تجهيز كل ما سيحتاجه للتنقيب. نهض عمر البطاوي وسمر ليرحلا، صافحهما عادل مهدي وأوصلهما إلى الباب، ومن خلفه سمر وعمر البطاوي الذي التقط مسدسه الكاتم للصوت من فوق المنضدة ووجهه نحو رأسه ليطلق منه رصاصة استقرت في مؤخرة رأسه وسقط قتيلًا في الحال.. قائلًا بسخرية:

- صفقة إيه اللي أتمها معاك يا طماع يا ابن الطماعة؟!! انت اتجننت؟!

ما إن رأت سمر الرصاصة تخترق رأسه حتى شهقت وشعرت بالإعياء، التفت إليها البطاوي بعد أن وضع في جيبه المسدس والهاتف:

- طماع.. سيرة الفلوس خلِّته ينسى إن مسدسي على الترابيزة. الفلوس سلاح ذو حدين يا سمورة.

لم تسمع ما قال من أثر الصدمة، وما زالت جاحظة عينيها غير مصدقة أن أمامها قتيلًا كان حيًّا يرزق منذ قليل ويتحدث إليها، طلب منها البطاوي أن تكف الآن عن أي اندهاش أو انهيار، وتدخل لتأخذ كل مُتعلقاتها وأي شيء له علاقة بها، على أن تنتهي من كل ذلك في أقل من خمس دقائق. فنفذت ما طلبه منها على الفور، لكن ما شغلها أكثر هو العثورُ على هاتفها، أخذت تبحث عنه في عدة أماكن إلى أن تنفست الصعداء حين وجدته في درج التسريحة، بل ومشحونًا بالكامل، أشفقت على سذاجة عادل مهدي رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته!

وضعت الهاتف في جيبها وأخذت كل متعلقاتها، في تلك الأثناء راجع البطاوي هو الآخر تحركاته وكل شيء لمسه، ثم قام بالاتصال برجاله الذين ينتظرونه بالأسفل، وطلب منهم أن يغادروا الإسكندرية الآن ويذهبوا إلى مقر شركته في القاهرة لإحضار معدات التصوير التي هناك، بالإضافة إلى ثلاثين رجلًا وأربع سيارات رباعيّة الدفع. كان ذلك حين انتهت سمر من استجماع كل مُتعلقاتِها ورحلا، تاركين جثة عادل مهدي غارقة في دمائها.

كان ذلك حين وصل كريم سحاب أمام المستشفى، حاولت ابتسام تهدئته، مُشفقةً عليه مما هو مجبرٌ على فعله. ارتدى البالطو الأبيض والكمامة كي تخفي ملامح وجهه تمامًا، ثم علّق على صدره السماعة، دخل المستشفى عبر البوابة فوجد فرد أمن جالسًا في الداخل، حين رآه مرتديًا بالطو أبيض ومُعلّقًا سماعة طبية لم يشك لحظة حينها أنه أحد الأطباء بالمستشفى. دخل كريم في سلامٍ قاصدًا المصعد، وحين وصل إلى الدور الرابع خرج من المصعد وانحرف يسارًا ليجد ممرًا طويلًا، لمح حينها غرفة ٤٠٩ على مدى بصره، انخلع قلبه حينها لكنه اتجه مباشرة نحوها حتى وصل إليها، ارتدى القفاز وأمسك بمقبض الباب، لكنه وجده ينفتح قبل أن يلمسه، تسارعت دقات قلبه حينها وكاد يخرج من بين ضلوعه، خرجت إحدى الممرضات قائلة له: - أنا اديتله الحقنة التانية خلاص يا دكتور ومفترض ينام في خلال ربع ساعة. فهز لها رأسه مُحاولًا قدر استطاعته أن يبدو طبيعيًا رغم صعوبة الأمر عليه، فهو لا يعرف ما الذي يفعله الأطباء وما يقولونه، ماذا لو أطالت المُمرّضة الحديث معه أكثر من ذلك؟ أو تحدثت معه بطلاسم وسردت له اسمين أو ثلاثة من الأدوية..! لكنه حمد الله أنها اقتنعت بهزة رأسه فقط وانصرفت!

دخل الغرفة فوجد عامر قنديل راقدًا، مُغمِضًا عينيه. كان

صعبًا جدًّا عليه أن يتقبل فكرة أنه واقفٌ أمام رجل حي يرزق، وأمامه هدف واحد، هو سَلْبُ حياته، ووضع نقطة لها؛ قتله. رغم قناع الأكسجين الذي يغطي وجهه، لكنه استطاع التعرف عليه من خلال الصورة، دعا الله بينه وبين نفسه ألا يأخذ منه العدوى ويصاب بهذا الفيروس اللعين، فتح عامر قنديل عينيه بتكاسُل وسأله بصوتٍ متهدج إن كان يستطيع الخروج خلال اليومين التاليين، لكن كريم لم يجبه، مُغمِضًا عينيه، مُحاولًا استجماع قوته على فعل ما قرره، كرر عامر قنديل عليه نفس السؤال فقال له كريم بصوتٍ خافت: - اسمع يا عامر بيه، أنا هنا عشان مطلوب مني أقتلك، لكن أنا مش هعمل كده، المفرو...

انتفض عامر قنديل مفزوعًا وقاطعه: - إنت مين وعاوز إيه؟ قالها وهو يمسك بالجرس لاستدعاء طاقم التمريض، لكن كريم لحقه وانتزع الجرس من يده، مُحاولًا تهدئته، لكن بلا جدوى، أخرج كريم من جيبه الحقنة ليريها له: - المفروض إني أحط الحقنة دي في المحلول وتموت لكن أنا أقسم بالله مش عاوز أعمل كده.. أرجوك اسمعني عاوز أتكلم و...

لم يعطه عامر قنديل أي فرصة ليتحدث وشعر بالتوتر، صرخ محاولًا استدعاء أي شخص لينقذه فارتبك كريم أكثر،

وشعر أن الأمور تنفلت من بين يديه وهذا ما كان يخشاه، شعر أنه اقترب من نهايته وسيتم القبض عليه الآن ويتم ترحيله إلى القاهرة بتهمتيّ الشروع في قتل رجل لا يريد قتله من الأساس، وتهمة قتل ممثلة قد لُفِّقَت له. إعدام لا محالة. حاول أن يربت على صدر الرجل كي يهدّئه ويتكلم معه، حالِفًا له بأغلظ الأيمانات أنه لا ينوي قتلَه ويريد شرح الموضوع له، لكن الرجل بدا وكأنه قد تم صعقُه وأخذ يرتجف ويتشنج ولم يعطه فرصة، وأطلق صرخة لكن كريم قطعها واضعًا يده على فمه مُحاوِلًا تهدئته، لكنه أخذ يرفص بقدميه.. شعر كريم أنه لا محالة، يجب عليه قتله، لكمه بقوة على وجهه فسكت تمامًا بينما أطلقت شاشة المؤشرات الحيوية صافرة إنذار بعدم وجود ضربات قلب وصار الخط المتعرج مستقيمًا.. تسمَّر كريم في الأرض مكانه للحظات، لكنه سرعان ما انتزع نفسه من أي تفكير إلا في شيءٍ واحدٍ، وبالطبع هذا الشيء هو الهروب.

خرج من الغرفة مُتصنعًا هدوءًا بالكاد استحضره بداخله، المسافة من الغرفة إلى المصعد حوالي عشرين مترًا شعر حينها أنها أطول من المسافة بين القاهرة والإسكندرية. وما إن وصل إلى المصعد وجده مُعلَّقًا في الطابق الحادي عشر، انتظر تسع وعشرين ثانية شعر أنهم عشر سنين، لم يطق الانتظار أكثر من ذلك وانحرف يمينًا مستخدمًا السُلَّم. على

الأقل أسرع وأأمن، من هناك خرجَ عبر البوابة بعد أن ألقى عليه فردُ الأمن التحية مرة أخرى، كان ذلك حين دخلت الممرضة غرفة عامر قنديل وأطلقت صرخة تجمَّع على إثرها كل طاقم التمريض والأطباء..!

ما إن وطأت قدميه السيارة حتى انطلقت ابتسام بسرعة البرق، بينما خلع كريم البالطو الأبيض وألقاه هو والسماعة ثم طلب من ابتسام أن تقف لترش عليه أكبر قدر من الكحول خوفًا من أن يكون قد أصيب بكورونا بعدما لامس عامر قنديل. كان ذلك حين رنَّ هاتفه وكان المتصل شروق زوجته..! انخلع قلبه حينها وشعر أن هناك مصيبة جديد بالتأكيد، أجابها مُترقبًا:

- نعم؟ خير؟!

- نعم إيه؟ أخيرًا رديت. ولادنا مخطوفين يا كريم بيه يا قَتَّال القتلة.

***

بعد ساعة ونصف الساعة الحادية عشرة ليلًا

جلس البطاوي في غرفة نومه بشقته الفاخرة في سموحة، موصلًا هاتفه بالشاحن، مستخدمًا برنامج زووم ليتحدث إلى ابن عمه، الذي يعمل في مجال ترميم القطع الأثرية

والإثنوغرافية، ويستعين به في مثل هذه الحالات، كما استعان به ثلاث مرات من قبل. قرَّب الخريطة من الكاميرا كي يفيده بالمعلومات التي تحتويها، حينها ركز ابن عمه في الخريطة، وما إن استطاع قراءتها وفك طلاسمها حتى اتسعت عيناه اندهاشًا ونهض كالممسوس: - يا نهار إسود.. قبر الإسكندر الأكبر؟!!!

- لا الله يكرمك مش وقت اندهاش.. اخلص قولِّي مكتوب إيه وفين المكان ده؟

- حاضر.. "أقر أنا فلوتارخوس الخادم المُخلِص للإسكندر الإله، أنني نفَّذت وصيَّته بنجاح، ووضعت جثمانه في منزل محظيته الأثينية وعشيقته تائيس، التي رافقته في حملاته العسكرية، وبعد حرقه مدينة برسيبوليس جاءت معه إلى إيغيبتوس وبنى لها منزلًا في سيوة، على بُعد ٢٢٨٤ ذراع، جنوب شرق معبد التنبؤات، معبد وحي آمون، الذي زاره يومًا ما وتُوِّجَ فيه ابنًا لآمون الأعظم".

- عظيم جدًا.. عاوز أعرف بقى المكان ده فين بالتحديد؟

- ثواني.. قالها ابن عمه ثم فتح تطبيق خرائط جوجل وهو يتمتم "٢٢٨٤ ذراع يعني تقريبًا ٢ كيلو، ولو جنوب شرق زي ما الرسمة بتقول هيكون..." أخذ يفكر بصوتٍ عالٍ، بينما كان البطاوي مُنتظرًا بشوقٍ متقد ما سيقوله له، وبعد

دقيقتين أفاده ابن عمه بكل شيء:

- بُص يا بطاوي، المكان ده عند جبل الدكرور..

- تمام.. أنا هروح مع الرجالة الفجر، ولو احتجتك في حاجة هتصل بيك. ومتقلقش حقك محفوظ.

- لاااا.. حاجة زي دي لازم أكون معاك، دي مقبرة الإسكندر.

صمت عمر البطاوي لهنيهة ليفكر في الأمر ثم هز رأسه موافقًا، تهلّل حينها ابن عمه: هقابلك عند جبل الدكرور بكرة إن شاء الله. الصبح.

- حاول تكون هناك قبل ٦ الصبح، وامسح المنطقة بعينك كويس عشان نيجي على الجاهز.

نظر ابن عمه في ساعته: كده يبقى لازم ألبس دلوقت وأنزل علشان ألحق.. طب تمام.. صوّر لي الخريطة صورة نضيفة وابعتهالي واتساب.

ففعل البطاوي ثم أغلق مع ابن عمه، كانت سمر قد انتهت من حمامها وجلست بجواره تسأله عن الخطوة التالية، كان ذلك حين وصل رجال البطاوي إلى مقر شركته بالقاهرة مثلما طلب منهم، فاتصلوا به ليخبروه أنهم نفَّذوا ما طلبوه

منه بالضبط، حضَّروا الثلاثين عاملًا وأربع سيارات رباعية الدفع. ومعدات التصوير ومن بينهم جهاز لكشف الذهب والكنوز الدفينة والفراغات في باطن الأرض، يعمل هذا الجهاز على تحديد أي فراغات في أي نوع تربة، مداه أفقيًا ثلاثة آلاف متر، ورأسيًا على عمق أربعين مترًا تحت سطح الأرض.

- الله ينور يا رجالة - قال البطاوي - اشحن كل الكلام ده بقى وقابلني في طريق الساحل الشمالي عند زهران.. الساعة ٦ الصبح.

بعدما أغلق البطاوي المكالمة ظلَّ يضحك كالمجنون، سألته سمر عما يضحكه فأخبرها أن كل ما يخطط له يمشي مثلما أراد بالضبط. نهض مُقتربًا منها وضمها إلى صدره: - شكرًا يا سمر إنتي عملتي اللي عليكي وزيادة، هفوق من كل ده وأعوضك عن اليومين الزفت اللي شفتيهم.

- أما نشوف يا عمر. أنا أهو بِعت كل حاجة عشانك. يارب متخلنيش أندم.

رنَّ هاتفه فضرب على جبينه بقبضته مُتذكِرًا موعد مداخلته مع أحد مذيعي "التوك شو" المشهورين، الذي اتفق معه على مُداخلة منه ليُطَمْئِن جمهوره عن حالته بعد قتل زوجته، أجاب على فريق الإعداد الذين سألوه إن كان جاهزًا

للمداخلة مباشرة على الهواء بعد دقيقة؟ فأخبرهم أنه جاهز بالفعل، وضع الهاتف أمامه وضبطه على وضع الميكروفون، أغمض عينيه لثوانٍ ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يدخل على الهواء مُتحدثًا إلى المذيع بنبرة حزينة يشوبها نشيج بكائه، نبرة جعلت المشاهدين يتأثرون ويبكون على مدى حزنه الواضح في صوته، وهذا ما توقعونه منه بعد وفاة حب عمره نبيلة خورشيد، الحب الذي يعرفه كل الجمهور. والذي يضرب به المثل لأي اثنين يحبان بعضهما البعض. أعربَ في مداخلته عن مدى حزنه على أكثر إنسانة أحبها وأخلص لها في حياته، لدرجة أنه الآن في مكانٍ لا يعلمه أحدٌ غيره، مُتحصِّنًا بعزلته ووحدته من الحزن الشديد الذي أصابه بعد فقدان روح قلبه وسر حياته، كان حديثه مُؤثرًا جدًّا جعل رواد التواصل الاجتماعي يشاركون تلك المكالمة ويكتبون عليها عبارات الأسى والحزن. تطرّق المذيع إلى اتهام المطوِّر العقاري كريم سحاب في قتل زوجته، فقال له البطاوي إن الموضوع في يدِ الشرطة الآن وهو يثق فيهم ومعتمدٌ عليهم، ويدرك جيدًا أنهم سوف يقبضون عليه آجلًا أم عاجلًا. انتهت المداخلة ثم ألقى الهاتف على السرير وبصقَ عليه حانِقًا، بوجهٍ مرسوم عليه علامات الكره والغل والانتقام. لاحظت سمر ذلك فسألته عن سبب قتله نبيلة خورشيد، فأخبرها وهو يخلع ملابسه:

- عشان خاينة ومش سالكة، هبقى أقولك كل التفاصيل بعدين، لكن دلوقت لازم تنامي كويس عشان هننزل ٥ الفجر رايحين واحة سيوة.

اندهشت لما قاله وسألته عن السبب فقال لها إن الخريطة تشير إلى أن المقبرة في واحة سيوة، سرحت قليلًا ثم سألته: هو مش عادل مهدي قالك إنه في كوم الشقافة؟

- ومين قالك إني صدقته؟ البيه كان بيحاول يضحك عليّا ويضللني.. وأنا كنت عارف ده. عشان كده قتلته.. صداع ابن الوارمة مكنش هيسيبنا في حالنا.

***

بعدما علم كريم سحاب بخطف أولاده كاد أن يغشى عليه وشعر أن الدنيا تلف به، وزادت رغبته في الانتقام أكثر وأكثر، طلب من ابتسام أن يأخذ سيارتها ليذهب بمفرده إلى عادل مهدي، ليخبره بأنه نفَّذ الاتفاق بينهما وقتل عامر قنديل، ويطلب منه أن يسلمه سمر كما اتفقا، لأنها تعتبر الخيط الوحيد الذي سيوصله بعمر البطاوي، رأس الأفعى الذي خطف أولاده بالتأكيد. لكن ابتسام رفضت أن يذهب إلى أي مكان بدونها، فهي معه في كل خطوة يخطوها، وطالما كانت معه في اليُسر من قبل، يجب أن تكون معه أيضًا في العُسر، حياتها قبل حياته.

وصلا شقة عادل مهدي بعد أقل من ربع ساعة، اندهشا في البداية حين وجدا باب الشقة مُواربًا، لكن لا وقت لأي اندهاش أو استغراب، دفع كريم الباب بحذرٍ ومن ورائه ابتسام، فوجد عادل مهدي مُلقى على الأرض وسط بِركة من الدماء، كادت ابتسام أن تصرخ لكنه أشار لها بيدٍ متصلبة ألا تصدر أي صوت أو نأمة، وطلبَ منها هامِسًا أن تتراجع إلى الوراء لتراقب السُلّم، في حين دخل هو الشقة ليبحث عن سمر، لكنه لم يجد أحدًا. وحين عاد مرة أخرى كانت ابتسام واقفة على باب الشقة ترمق الجثة بفضولٍ وهي ترتجف، كلما تشعر بأنها مُوشِكة على التقيؤ تشيح بوجهها عنها. كان ذلك حين توقّف المصعد في نفس الطابق لتخرج منه سيدة خمسينية تسكن في الشقة المقابلة، وما إن خرجت فوجدت أمامها ابتسام وعلى مقربة منها كريم واقفًا بجوار الجثة، لم تستطع الخمسينية تمالُك نفسها، صرخت بأعلى صوت فانفتحت بعض أبواب الشقق في الأدوار العليا والسفلى وبدأت الفوضى تَعُمّ، تبادل كريم وابتسام النظر إلى بعضهما البعض فقررا نفس القرار، وهو أن يفرا هاربين ويتبخرا بسرعة البرق، حاولت السيدة أن تمسك مرفق كريم بقوة غير متوقعة لكنه لكمها في وجهها فانطرحت أرضًا وقفزوا داخل المصعد ليكونوا في الشارع بعد ٤٧ ثانية. ركبا السيارة وانطلقا مُبتعدين عن المكان.

صرخ صرخة خافته وهو يجز على أسنانه.. منذ أسبوعٍ لو أحدٌ أخبره أنه سيكون مُتّهمًا في قتل ممثلة مشهورة وضابط طماع ومراكبي مختل ومسنّ بائس ثرثار مصاب بكورونا بعد أن يُحبس في جزيرة مع زوجة خائنة ثم يُخطَف أولاده وسبائكه ومستقبله.. لَمْ ولن يصدقه..!

ظلَّ يفكر في كل تلك المصائب التي يضاف إليها مصيبة جديدة كل ساعة. سأل نفسه سؤالًا صريحًا مباشرًا واضحًا: ما هو الفعل الأنسب ليقوم به الآن؟! لم يجد أنسب من أن يتصل مباشرة بعمر البطاوي ليتفق معه رجلًا لرجل، ويحاول الوصول إلى حل، اتصل به فلم يردّ من المرة الأولى، لكنه أجاب حينما عاود الاتصال به ثانية، أجابه عمر بطريقة سمجة مُتظاهِرًا أنه لا يعرفه: - أيوه يا افندم؟ مين معايا؟!

- ولادي فين يا بطاوي؟ ولادي بره الليلة دي. ملهومش دعوة باللي بينًا. قال له مُحذرًا فاستمر في نبرة البلاهة:

- ولاد مين أنا معرفش بتتكلم عن إيه؟!

- حقك هديهولك يا عمر، هديلك الخمسين مليون، وفوقيهم خمسين تانيين زيهم عشان ترجّعلي ولادي وفوقيهم خمسين زيهم لما تسلمني سمر شعيب.

- حق إيه يا أبو حق؟ إنت متصل بيا في نُص الليل عشان

تقولِّي حق؟ أنا حقي أخدته خلاص.. أنا مش عاوز منك حاجة دلوقت، إنت خليك في جرايم القتل اللي الشرطة بتدور عليك بسببها.. كان الله في عونك. أما أنا فخلاص حقي وصلني.

- هديلك ٢٠٠ مليون يا بطاوي و....

قاطعه: الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا.. تيت تيت تيت.. قالها ثم أطلق ضحكةً ساخرةً وأغلق بعدها الهاتف، انفجر الغضب في وجه كريم وهمَّ ليلقي بالهاتف من شباك السيارة لولا أن ابتسام أمسكت يده، ثم أخذت منه الهاتف وربَّتت على كتفه محاوِلة تهدئته، ثم ضغطت على الزر المجاور لكرسيه فعاد إلى الوراء كي يرتاح قليلًا وأشعلت له سيجارةً ووضعتها في فمه. ثم أدارت محرك السيارة لتقف في مكانٍ منعزل بعيدًا عن هذا المكان القريب من قسم شرطة باب شرق، أخذ من السيجارة عدة أنفاس زفرها في عصبية لكنه سرعان ما هدأ بعد ثلاث دقائق حين توقفت ابتسام على جانب الطريق بعد أن أحسّت أنهما في مكانٍ آمن. أخذ يسترجع الكلام الذي دار بينه وبين البطاوي في المكالمة، فثارت ثائرته مرة أخرى وهرس السيجارة بين أصابعه وهي مشتعلة دون أن يشعر أو يتألم. رمقته ابتسام مُشفِقة عليه وتعتصر ألمًا لرؤيته هكذا في هذه الحال دون

أن تستطيع فعل أي شيء، سوى أنها ربتت على كتفه مرة أخرى. بكى حينها، وانهمر في البكاء، فضمَّته إلى صدرها وأخذت تمسد على شعره وصدره باكية هي الأخرى، تريد أن تفعل أي شيء لتساعده على حلّ كل مشاكله التي تورط فيها رغمًا عنه:

- كان نفسي يا كريم ألاقيلك حل، أكتر حاجة ممكن تعذبني في الدنيا دي هو إني أشوفك كده وأنا متكتفة، آه لو أعرف هما فين دلوقت.. أقسم بالله وأقسم بيك.. لأأجّر عربية مليانة ناس معاهم رشاشات آلي وأفرّغها في قلوبهم، وبالذات بنت الكلب سمر شعيب دي. أنا مكنتش مرتاح لها ولا عمري ارتاحت لها.. آه لو أعرف هما فين دلوقت و...

قاطعها كريم حين اعتدل في جلسته بعد أن أضاء كلامها فكرة في عقله، سألته باستغراب: - مالك يا كريم، بتفكر في إيه؟

وضعَ سبابته على شفتيها لتصمت ويستطيع التفكير في هدوءٍ واستجماع ما يريد تنفيذه. ولم تمر تسع ثوانٍ حتى صاح بها:

- عندي فكرة جامدة جدًا، أنا أعرف أجيب مكانهم. بس يارب الموضوع يمشي زي ما أنا عاوز.

- طب قولّي إيه الفكرة؟

- إنتي تقدري تيجي معايا القاهرة دلوقت ولّا تعبانة من اللي عملناه طول اليوم وعاوزة تنامي وترتاحي؟

- أنا راحتي في إنك تكون مبسوط.. غير إن التعب الحقيقي هو إني شيفاك كده.

- طيب يلّا بينا نسافر القاهرة حالًا.

لم تدعه يكمل جملته إلا وهي تدير محرك السيارة لتنطلق متجهة إلى القاهرة، كانت السيارة شِبه فارغة من البنزين، مرّت على أقرب محطة بنزين لتملأ خزان الوقود، وهناك دخلت المتجر الملحق بالمحطة لتشتري سجائر لها وله، بالإضافة إلى أي شيء يأكلانه في الطريق الذي كان شِبه خاوٍ من السيارات أو حتى الكمائن، وكانوا عند فيلّته بالتجمع الخامس بعد ساعتين وثلاث وخمسين دقيقة. أي الساعة ٠٥:١٧ فجرًا. لم يجد موظف الأمن أمام الفيلا فَلَم يندهش، فهو يعلم جيدًا أن كل شيء الآن ليس كما تركه منذ خمسة أيام. دخل مُتسللًا من الباب الخلفيّ للحديقة ومنها إلى المطبخ خشيةً أن يجد بالداخل شخصًا مسلحًا، لكنه لم يجد أحدًا. أول شيء فعله كان دخول مكتبه ليتأكد شكُّه، الخزينة مُنكسِرة ومسروق منها سبائك الذهب، شقى العمر، اعتصر قلبه حينها لكنه لا يملك رفاهية الوقت لأي ألم أو حسرة. ولم

يكترث أكثر من اللازم لسرقة السبائك، وإنما كان كل اهتمامه مُنصبًا على غرفة النوم، دخلها بسرعة ليبحث عن هدفه الذي رآه على السرير، اللاب توب الخاص بسمر، حينها تهللت أساريره. أوصله بالشاحن وفتحه داعيًا من الله أن تكتمل خطته كما رتب لها، فتح اللاب توب، بعدها دخل على مُتصفح جوجل كروم وأغمض عينيه حتى اكتمل تحميل الصفحة، لحظة الحقيقة.. ما إن فتح عينيه، حتى قفز عاليًا من فرط فرحته حين وجد أنها مسجلة الدخول على حاسوبها عن طريق حسابها في جوجل بالإيميل الخاص بها، والذي كان مربوطًا بهاتفها أيضًا.

دخل على Google map ومنه إلى المخطط الزمني لخط سيرها، والذي من خلاله يتم تدوين وتسجيل كل مكان ذهبت إليه. وأي مكان هي فيه الآن. ذهب مباشرة إلى اليوم الحالي، فوجد أن آخر مكان كانت فيه هو الإسكندرية.. سموحة. فتح تطبيقfind device الذي دخل بنفس الحساب مباشرة، دون طلب كلمة السر لأن الحساب مفتوحًا بالفعل على جوجل كروم، فاستطاع تحديد مكانها الحاليّ، وسيستطيع تتبع هاتفها لحظة بلحظة. حينها تحدَّد مكانهما بالضبط، لكن ما أدهشه هو تحرُّك المؤشر تجاه طريق الساحل الشمالي. لم يأبه كثيرًا طالما هو الآن على اطلاع بكل تحركاتها لحظيًا.

طلب من ابتسام أن تبحث عن الشاحن في أرجاء الغرفة وتضعه هو واللاب توب في الحقيبة الخاصة به. ثم عادَ مرةً أخرى إلى مكتبه وفتحَ الدرج، مُلتقِطًا مسدسين ماركة هيكلر USP وروجر SR9 ثم لقمَ خزانتهما بالطلقات.. كان لديه في فترة ما هواية شراء الأسلحة النارية، رغم أنه لم يكن يتوقع يومًا أنه سوف يستخدمهم أو يلجأ إليهم، لكنه كان يجمعُهم فقط للتفاخُر بين أصدقائه بأنه يقتني أسلحة نارية قيِّمة. ابتسم حينها ساخرًا من الأقدار التي جعلته مضطرًا لاستخدامهم الآن. وقد أصبح مطلوبًا للعدالة بتهمة قتل العديد من الأشخاص. وضعَ المسدسين في جيبه في نفس الوقت الذي قابلته ابتسام عند باب الغرفة لتخبره أنها وجدَتْ الشاحن ووضعته هو واللاب توب في الحقيبة. سمعَ حينَها صوتُ أقدامٍ عند باب الفيلّا، أشار لها ألا تتفوه بحرفٍ ثم تلصص النظر عبر الشباك فوجد شخصًا معلّقًا طبنجة ميري في جنبه، واقفًا أمام باب الفيلّا ويتفحص المكان على ما يبدو، أشار لابتسام بيده أن تتبعه إلى إحدى الغرف دون إصدار أي صوت.

***

كان ذلك حين قابل عمر البطاوي رجاله ومعهم السيارات رباعية الدفع والعمال والمعدات، فأشار لهم أن يتبعوه،

مُتجهين إلى واحة سيوة، في الطريق الصحراوي لمح البطاوي لجنة تفتيش، اضطربت سمر لكنه بدا هادئًا مطمئنًا، أخرج أوراقًا من جيبه وأشار إلى السائق أن يقف ووراءه باقي السيارات، ما إن أنزل زجاج السيارة لمحه الضابط وتعرَّف عليه فرحب به:

- عمر البطاوي بذات نفسه معدي من الكمين عندنا.. الكمين نوَّر يا فنان.

- شكرًا جدًّا لذوقك.

- البقاء لله في مدام نبيلة.. زعلت جدًّا عشانها والله.

- ونعم بالله.. كلنا زعلنا عشانها.. الله يرحمها.

- على فين كده حضرتك؟

- رايحين نصوَّر في لوكيشن بواحة سيوة، وآدي التصاريح اللازمة.

اطلع الضابط على الأوراق المزورة ثم هزَّ له رأسه وسأله إن كان يريد أحد أفراد الأمن معه لتأمين التصوير فشكره البطاوي، وقال له إنه ليس بحاجة إلى ذلك. ثم استكمل طريقه.. وبعد أربعين دقيقة تقريبًا وصلوا إلى جبل الدكرور، وقابلهم هناك ابن عمه الذي تهلل حين رآه. ثم أشار إلى

المكان الذي تحدده الخريطة بالضبط:

- بقالي هنا ساعة ونص رايح جاي في المنطقة ملقيتش صريخ ابن يومين.. المكان شبه مهجور.

قال له ابن عمه، وهذا ما لاحظه البطاوي أيضًا، فالمنطقة ليست إلا أرضًا خاوية واسعة شبه مستوية، على مقربة من الجبل، بعد أن حددوا المكان بدقة، أعطى البطاوي جهاز تحديد الفراغات في باطن الأرض لأحد رجاله المدربين جيدًا على استخدامه، فهي ليست أول مرة يبحثون فيها عن آثار، غير أن تلك المرة ليست كأي مرة، فالبحث الآن عن أهم اكتشاف يمكن أن تعرفه البشرية. مقبرة الإسكندر الأكبر.

***

بعدما تأكد كريم أن الضابط الذي كان يتفحص الفيلَّا في الخارج قد غادر، طلبَ من ابتسام أن تخرج أولًا عبر الباب الخلفي وتركب سيارتها وتقف أمام باب الحديقة، ففعلت ما طلبه منها، وقف عند باب الفيلَّا فأصبح بينه وبين باب الحديقة عشرة أمتار، والشارع في الخارج هادئ تمامًا، وما إن توقفت ابتسام حتى خرج بسرعة وركب سيارته فانطلقت مبتعدة عن الفيلَّا. في الطريق سألها إن كانت شقتها خالية أجابته أن نعم، فطلب منها أن يختبئ فيها إلى أن تذهب إلى جراج الشركة بسيارتها وتعود بسيارته الهامر رباعية الدفع

موديل ٢٠٢٠، ليبدآ رحلتهما نحو المكان الذي سيحدِّده لهم جوجل ماب وتطبيق find my device المتصل به. حينها ترددت ابتسام بعض الشيء، واقترحت عليه خيارًا أأمن من ذلك:

- كريم، إنت عارف إني بخاف عليك قدّ إيه، لكن تفتكر إنه صح إننا نروحلهم مكان مجهول منعرفش فيه إيه؟

- طب إيه المفروض نعمله؟.. أروح أسلِّم نفسي؟

- ليه لأ؟

- آه.. وأقولهم إني بريء من قتل نبيلة خورشيد ولّا مرجان أبو طالب ولّا عامر قنديل ولّا الكلب عادل مهدي؟.. طب أنا موافق أعمل كده.. هل ده هيرجَّع لي ولادي؟.. هل هيصدقوني ويكدِّبوا عمر البطاوي؟ عمر البطاوي خطف ولادي يا ابتسام.. لازم أروح له مكان ما هما موجودين لأنه أكيد مليون في المية مخبيهم فيه.

لم تجد ما تقوله له حينها أو تلومه، فهو لديه كل الحق ومُتفهمة جيدًا خوفه على أولاده، مثلما هي متفهمة ومدركة جيدًا خوفها عليه. زمَّت شفتيها وهزت له رأسها موافقة، أوصلته إلى شقتها وأعطته المفاتيح، وبينما صعد انطلقت هي إلى الشركة. لم تأخذ أكثر من نصف ساعة، مَّدد جسده

فيها ظنًا منه أن بعض التعب سوف يزول منه لكن ما حدث هو العكس، فقد زاد عليه الإرهاق أكثر، وكلما يمر الوقت يزيد التعب أكثر وأكثر. فتح اللاب توب ليطمئن فوجد أنها استقرت في مكان ما بواحة سيوة.

***

- دلوقت المكان اللي هنحفر فيه هنا.. في المنطقة دي..

قال البطاوي للرجل المُمسِك بجهاز كشف المعادن والفراغات.. أنا عاوزك تمسحها كويس جدًا وأول ما تحدد فراغ في بطن الأرض قولّي عشان نخلي الرجالة تحفر. ما إنت خبرة وعارف مش هقولك يعني.

أمسك الرجل الجهاز وضبطه وأخذ يمسح الأرض جيدًا، كان يعمل في منطقة مساحتها سبعون مترًا عرضًا ومائة متر طولًا.. أي بحجم ملعب كرة قدم تقريبًا. لم تمر أكثر من نصف ساعة حتى أعطاه الجهاز صافرة إنذار لوجود فراغ في منطقة ما. تهلّل حينها البطاوي.

كان ذلك حين سمعوا صوت سيارة قادمة بها شرطيّان، سألاهم عما يفعلونه هنا، فأخرج له البطاوي التصاريح: - حضرتك إحنا هنصور هنا كذا مشهد لفيلمي الجديد.

ظلَّ يتطلع إليهما وإلى الرجال الذين معه ومعدات

التصوير، كان ذلك حين تجمع بعض من الأهالي، بعدما تفحص الشرطي الأوراق أعطاها له وسأله إن كان يريد شيئًا، فشكره البطاوي:

- شكرًا جدًّا لحضرتك، أنا بس كنت عاوزك تكلم الناس اللي واقفين دول يبعدوا عن المكان تمامًا، عشان نعرف نصوَّر بدون إعادات، وعشان نلحق ننجز الخمس ست سبع مشاهد قبل ما الشمس تروح مننا ونضطر نكمل بكرة.. وكل ده يعتبر مصاريف إنتاج زيادة.

أومأ له الضابط موافقًا وفعل ما طلبه منه البطاوي ورحل..

اقترب حينها البطاوي من سمر متهكمًا:

- أفضل حاجة إنك تقومي بشغلك واللي يخدم عليكي هي الحكومة بذات نفسها.. إحساس ممتع. قالها ثم أعطى أوامره لرجاله. والتي كانت ضرورة الحفر بكل جد واجتهاد والانتهاء من ذلك قبل حلول الليل. ولو استطاعوا فعل ذلك سوف يعطي لكل شخص فيهم عشرة آلاف أخرى فوق العشرة آلاف المُتَّفق عليها، هذا يعني عشرين ألف جنيه في يومٍ واحدٍ.

نظر الرجال إلى بعضهم البعض مندهشين، فسأله أحدهم إن أنجزوا عملهم قبل ذلك ماذا سيعطيهم، فأخبرهم أنهم إذا أنجزوه في خلال اثنتي عشرة ساعة سيعطيهم مليون ومائة

ألف، وهذا يعني أن نصيب الفرد منهم سيكون أربعين ألف جنيه. لم يكمل كلامه حتى انقض الرجال على السيارات وأخرجوا منها معداتهم وانتظروا تحديد الرقعة التي سيعملون فيها، والتي كانت عبارة عن ثلاثة أمتار عرضًا ومثلهم طولًا.. بدأوا العمل على الفور بعد أن وضعت لهم سمر خطة لتنفيذ مهامهم بشكلٍ أسرع وقسَّمَتهُم إلى قِسمين، قسم الحفر وقسم نقل الرمال بعيدًا، على أن يتناوبون العمل ويتبادلون الأدوار كل ساعة. تفاجأ عمر البطاوي من خبرتها في مثلك هذه الأمورة، وسألها من أين اكتسبت تلك الخبرة، فلم تجبه مكتفية بابتسامة خفيفة متذكرة ما حدث قديمًا في الإسكندرية مع إخوتها...

***

سمع كريم طرق الباب فانخلع قلبه من صدره حينها، اقترب منه بحذر ليرى مَن الطارق عبر العين السحرية وكانت ابتسام التي عادت بالسيارة الهامر ومعها وجبتان كومبو من ماكدونالدز. ألحت عليه أن يأكل أي شيء قبل أن يغادرا، لكنه رفض أن يجلس أكثر من ذلك:

- هناكل في الطريق، المهم إحنا هنطلع دلوقت على واحة سيوة.. هما هناك.

التقط الحقيبة فوقعت عيناه حينها على صورته داخل إطارٍ

ذهبيٍّ مُعلَّقة على الحائط بجوار صور أخرى لها. رمقته وهو ينظر إلى الصورة مُبتسمًا ثم نظر إليها فأشاحت بنظرها عنه وقد شعرت بالخجل. اقترب منها وما زالت الابتسامة مرسومة على وجهه، نظر إلى عينيها، فحاولت الهروب منه مرة أخرى، لكن سرعان ما تلاقت عيونهما، لم يفعل شيئًا سوى أنه قبّلها قبلةً حارة، بكت حينها، أحست أنه شعر أخيرًا بما بداخلها وما تكنّه له، تحوّل بكاؤها إلى نشيجٍ فتألم لها وضمها إلى صدره كي تهدأ ارتجافة جسدها ثم اقترب من أذنها هامِسًا بنبرةٍ هادئة: - إزاي مكنتش شايفك طول الفترة دي، إزاي مكنتش حاسس بجدعنتك وحبك وخوفك عليا؟ - ثم استطرد مازحًا - تبًا لحماقتي والله.. فانطلقت منها ضحكة رقيقة في عز بكائها رغمًا عنها ومسحت دموعها قائلة له: - طيب عمومًا مش وقت الكلام في الموضوع ده خلينا نشوف موضوع عمر البطاوي وولادك الأول..

أضاف شاردًا وقد ارتسمت على ملامح وجهه الرغبة في الانتقام:

- وسمر شكري شعيب.

لمح الإرهاق على ملامح وجهها وقد ظلت أكثر من ٣٥ ساعة لم تذق فيها طعم النوم، وقد بدا ذلك جليًا عليها، مشى بيده على شعرها قائلًا:

- أنا عارف يا ابتسام إنك منمتيش، ادخلي إنتي أوضتك نامي وأنا هروح المشوار ده لوحدي.

- استحالة.. رجلي على رجلك. مش هسيبك.

سكتت للحظات حين تقابلت مرة أخرى عينيها بعينيه الممتلئتين بالذعر والخوف مما هو قادم، خوف لا يقل عن الخوف الذي لمحه في زوايا عينيها، فهي تعرف جيدًا أن نسبة إنقاذ أولاده لا تتعدى خمسة بالمائة، لا لشيء إلا لأنها تعرف جيدًا عمر البطاوي، وتعرف أنه رجل بلا قلب، لا يتردد في فعل أي شيء من أجل الحصول على ما يريد، حتى لو قتل. وتعرف أيضًا أن لديه رجالًا كثيرين، لكن لا يوجد أمامها أي خيار آخر، حينما يتعلق الأمر بأكثر رجل أحبته في عمرها. استطردت قائلة:

- هنروح مع بعض.. وهنرجع بالأولاد إن شاء الله.

لم يستطع الرد على ما قالته، ورأى أنه مهما قال لها لن يوفّيها ربع ما تستحقه، فاكتفى بابتسامة لحقها بقبلة أخرى ثم اتفق معها أنه سوف يقود السيارة وتنام بجواره ساعتين أو ثلاث ساعات ثم يفعلان العكس، الوصول إلى واحة سيوة سيتطلب خمس ساعات تقريبًا. أدخل اللاب توب والشاحن والمسدسين في الحقيبة مرة أخرى ونظر إليها.. سألها بعينيه إن كانت جاهزة فأومأت رأسها أن نعم. غادرا الشقة بعد أن

أخذت معها الوجبتين وزجاجات مياه معدنية ومسكنات ومهدئ ثم انطلقا قاصدين طريق الواحات..!

***

بعد ثلاث ساعات..

بينما كان عمر البطاوي جالسًا داخل سيارته يبتلع قرص دواء الضغط بقليل من القهوة وبجواره سمر شعيب النائمة، صاح أحد العمال الذين يعملون في الموقع.. "يا عمر بيييييه.. يا بيييييه.. لاقينا المقبرة.."

انتفض البطاوي من مكانه فاستيقظت سمر في الحال واتجها إلى العمال الذين أخذوا يصيحون بعدما لمحا بوادر مقبرة بالفعل، أخذ يشجعهم ويحثهم على مواصلة العمل، مُحاولًا إخفاء فرحته العارمة بأن المقبرة موجودة بالفعل، ووعدهم بحافز إضافي فوق الذي وعدهم به، حينها اقترب منه أحد رجاله محذرًا:

- إنت كده هتطمَّعهم فيك يا عمر بيه خلي بالك. كتير أوي كل واحد ياخد المبلغ ده.

- ومين قالك إني هدفع لهم حاجة؟ احنا بعد ما ننتهي من الحفر ونطمن على المقبرة هنسلمها زي ما هي لشوكت عبد الرسول، أنا اتفقت معاه إمبارح وهو قاعد في فندق قريب

من هنا، بيتًا وبينه مفيش ١٥ كيلو. هتروح تجيبه ويستلمها زي ما هي ويسلمنا الفلوس. والرجالة دي هنرجع من غيرهم.

- هنرجع من غيرهم ازاي؟

- شفت المكان اللي اتقابلنا فيه على الطريق؟.. هنقتلهم هناك، ومحدش هيحس بينا. إنت مجنون فاكرني هسلمهم رقبتي؟

-..... لم يجد الرجل كلامًا يقوله له، فأردف البطاوي:

- أقسم بالله لو أضمن إن مفيش واحد فيهم هيضرني أنا كنت إديتهم اللي وعدتهم بيه وسيبتهم، بس دي مقبرة الإسكندر الأكبر.. الإسكندر الأكبرررر.. مش حتة تمساح ولّا جعران هنطلعه من نزلة السمان.

- عندك حق يا عمر بيه..

- يلّا روح الفندق هات شوكت عبد الرسول وتعالى، عقبال ما الرجالة دول الله يرحمهم مقدمًا.. يخلصوا ويوصلوا لباب المقبرة.. وإوعى تلفت انتباه حد عشان ميمشيش وراك وتعملنا مشاكل. متسيبش الطريق الأسفلت وتدخل الصحرا إلا وإنت متأكد إن محدش وراك.

أخذ الرجل تعليماته وركبَ سيارته قاصدًا فندق سيوة..

بينما صاح البطاوي في الرجال ليحفزهم ويحمسهم أكثر وأكثر قبل أن يعود مرة أخرى إلى السيارة وأمسك وجه سمر شعيب وأخذ يُقبِّلها وفرحة الدنيا لا تسع قلبه. سألته حينها:

- هناخد كام في الليلة دي كلها بقى؟

- مليار و٢٠٠ مليون تقريبًا.

- وأنا ليا كام؟

- ليكي كام إيه؟ كلهم ليكي يا حبيبتي.. أنا وانتي هنستمتع بيهم ونبدأ حياة جديدة برة المخروبة دي. وحياة أمك لأخليكي تمثلي في هوليوود مع ويل سميث.

***

استيقظت ابتسام بعد ساعتين ونصف وقد وصل كريم إلى منتصف الطريق تقريبًا، ما إن لمحها حتى ابتسم لها معاتبًا إياها على أنها استيقظت قبل موعدها: "حبيبتي غمضي عنيكي شوية كمان عشان خاطري".

التقطت سيجارة من علبته وأشعلتها ثم أشعلت له واحدة ووضعتها في فمه: أنا كده زي الفل يا حبيبي.. إحنا قُدَّامنا قد إيه؟

- حوالي ٢٩٠ كيلو على المكان اللي هما فيه..

طلب منها إخراج اللاب توب من الحقيبة وتتبع آخر مكان وصلوا إليه، ففعلت ما طلبه منها قائلة: لسه في واحة سيوة يا حبيبي.

- كانت فكرة حلوة إننا جينا بالعربية الهامر. بتاكل في الأسفلت أكل.

لم ترد عليه، كل ما فعلته أنها قبّلته وطلبت منه أن يجلس مكانها وينام قليلًا، على أن تقود هي السيارة، فأومأ لها رأسه وقال لها إنهما سوف يبدلا الأماكن بعد أول محطة بنزين لملء خزان الوقود. وبالفعل بعدما غادر محطة الوقود قادت هي السيارة ونام بجوارها قليلًا، كانت ابتسام تسترق النظر إليه بين الحين والآخر وقد أصدر شخيرًا يَنُم عن تعب وإرهاق الأسبوع الماضي كله، تنظر إليه مُشفقة عليه مما هو فيه، داعية الله أن يخلصه من كل ذلك وينصره.

في تلك الأثناء كان عمر البطاوي واقفًا بجوار سمر شعيب بشوقٍ مُتقد لرؤية باب المقبرة حين يظهر أمامهم، المقبرة التي طالما بحث عنها العالم كله، السر الذي سيغيِّر مجرى التاريخ، رغم أن البطاوي كان مُتعجِلًا لذلك لكنه كان ينبه عليهم بين الحين والآخر أن ينقبوا برفق كي لا يكسروا أو يتلفوا أي شيء ذا قيمة، كانت دقات قلبه تزداد قوة كلما يمر الوقت، هنا، حيث كان يتردد الإسكندر الأكبر على عشيقته

التي طالما أحبها، لدرجة أنه أوصى بوضع جثمانه في منزلها.

سمع صوت سيارتين تأتيان من بعيد وكانت سيارة مساعده وسيارتين تابعتين لشوكت عبد الرسول، وقد جاء مُتشوقًا أكثر من عادل البطاوي نفسه، مُستعِدًا لتحويل المبلغ فورَ معاينة المقبرة، وقد كان الاتفاق بينهما أن المبلغ المتفق عليه مقابل جثمان الإسكندر الأكبر، بمحتويات مقبرته، مهما كانت تلك المحتويات. ركنت السيارات أمام عمر البطاوي الذي قابله بترحاب:

- أهلًا أهلًا بالكبير.

- أهلًا بيك يا فنان، بقالنا زمان متعاملناش مع بعض من ساعة آخر عملية بتاعة سقارة.

- كنت حالِف متصلش بيك تاني إلا في حاجة كبيرة تليق بمقامك.

- والله من ساعة ما قُلتلي موضوع الإسكندر الأكبر ده وأنا مش عارف أتلم على أعصابي مش هكدب عليك.

كانت المقبرة مدفونة على عمق أربعة أمتار ونصف تحت سطح الأرض، والعمال يحفرون بجد واجتهاد وعزيمة، مدفوعين بالحافز الكبير الذي وعدهم به البطاوي، مجموعة

من العمال يحفرون، فتنقل المجموعة الأخرى الرمال بعيدًا، ويتناوبون فيما بينهم بانسجام تام دون أي مشاكل، وتقف على مقربة منهم سمر شعيب وشوكت عبد الرسول والبطاوي مع رجاله. مترقبين ظهور أي بوادر، حتى مرت حوالي ساعة وربع ليجد أحد العمال درج سلم للأسفل، ظلوا يحفرون لتتبع السلم الذي كان عبارة عن سبعة درجات تؤدي في النهاية إلى باب، أخذوا يحفرون حوله وبموازاته مستخدمين أدوات رفيعة وبسيطة، إلى أن أصبح فتحه يسيرًا. حينها أشار لهم البطاوي أن يبتعدوا جميعًا لمدة ربع ساعة حتى تتهوى المقبرة جيدًا ويخرج منها أي غازات أو روائح مختزنة لأكثر من ألف وستمائة عام، في خلال هذا الوقت كان جميعهم واقفين مملوئين بلهفة وشوق لرؤية هذا الاكتشاف الذي سيغير مجرى العالم، كان شوكت عبد الرسول في ذلك الحين يفكر في كيفية تسليمه لعملائه الأجانب وكيفية خروجه من مصر، وقد كان الاتفاق بينهم أنه لو كان هذا الاكتشاف حقيقيًا وأن المقبرة بداخلها فعلًا الإسكندر سينقلونه سرًا بالتأكيد على متن شاحنة بحرية على أجزاء وبأوقات متباعدة، إلى أن يتم نقلها بالكامل إلى إحدى الدول الأوروبية، وهناك ستجد عشرات المشتريين بعشرات المليارات. كلما فكر شوكت أكثر كلما لمعت عيناه من المكسب المادي الذي سيناله بعد عملية كهذه، فلو كان

سيعطي للبطاوي مليار جنيه فسوف يبيعه بعد نصف ساعة بأكثر من ثلاثة مليارات وربما يصل المبلغ إلى خمسة مليارات. ميزانية دولة..! حينما فكر في ذلك المكسب تهلّل فرحًا قائلًا للبطاوي بنبرة يملؤها الشوق ولهفة:

- مش يلّا بقى يا فنان ولّا إيه؟ قلبي هيقف من الفرحة.

نظر له البطاوي مُبتسِمًا، مُستغلًا لهفته تلك، طالبًا منه أن يزيد المبلغ المتفق عليه إلى مليار جنيه ومائتين مليون جنيه، وكأنه كان يسمع ما بداخله، لكنه ليس بحاجة لمعرفة ما كان يفكر فيه، لأنه قرأه في عينيه. لم يتردد شوكت في الموافقة، وهز له رأسه مُوافقًا:

- مش هنختلف يا بطاوي.. مش خسارة فيك. ومش خسارة في أبو إسكندر حبيبنا.

كانت سمر على مقربة منهما يتهلل قلبها فرحًا حين سمعت حديثهما. فحياتها سوف تتغيّر بعد هذا اليوم بالتأكيد. نظر لها البطاوي فقرأ أيضًا في زوايا عينيها ما تفكر فيه، أشارت له أن يدخلوا فأومأ لحراسه أن يبعدوا العمال عن المقبرة لأكثر من خمسين مترًا، ودخلوها.

كانت المقبرة من الداخل عبارة عن غرفة أربعة أمتار طولًا وثلاثة أمتار عرضًا، هذا ما بدا لهم في البداية، على الجدران

منقوشٌ رسومات للإسكندر الأكبر مع عشيقته، من ضمن هذه النقوش كان هناك نقشٌ لها وهي راكعة أمام قدميه وتقدم له كأسَ نبيذٍ، معظم النقوش تدل على أن الإسكندر كان متقمصًا دور الملوك الفراعنة، مرتديًا نفس ملابسهم. وثمة ثلاثة توابيت مغلقة بجوار بعضهما البعض، ارتدوا الأقنعة الواقية من الغازات وفتح شوكت بخبرته التابوت الأول فوجد به مومياء امرأة، بيد أنها عشيقته، والتابوت الثاني ممتلئ بالقلائد والمصوغات الذهبية، همَّ بفتح التابوت الثالث متوقعًا أنه سيحتوي بالتأكيد على الإسكندر؛ لكنهم حين فتحوه وجدوه فارغًا! جن جنونه حينها، ورغم كل الكنوز التي وجدوها في التابوتين الأول والثاني إلا أن خيبة الأمل أصابتهم جميعًا حينها، استخدموا جهاز التنقيب وظلوا يبحثون في أرجاء الغرفة عن أي بابٍ سريٍّ أو أي شيء يدل على وجود غرفة مجاورة لكنهم لم يجدوا. نظر شوكت إلى البطاوي الذي أشار له بذراعيه أنه لا يعرف ماذا يفعل، ولا حيلة له في ذلك. خرج شوكت من المقبرة غاضبًا يتمتم بكلامٍ غير مفهوم، فخرج وراءه البطاوي وسمر، نزع الرجل القناع صائحًا بالبطاوي:

- مكنش ده اتفاقنا يا بطاوي.. أنا هشيل المقبرة مفيهاش نقاش، لكن كده المبلغ مش هيكون مليار ومتين مليون زي ما اتفقنا.

- يعني إيه يا حبيبي؟ وهو ده ذنبي؟ هو أنا مش فتحت المقبرة قُدّامك ولّا فتحتها قبل ما تيجي وخبيته في جيبي مثلًا!!!

- بقولك إيه أنا مبحبش أتكلم كتير، المليار كان عشان الإسكندر.. مليش دعوة بعشيقته ولا شوية الهلاهيل التانية اللي معاها في التابوت التاني. اسمع.. هشيل المقبرة مقابل ٢٥٠ مليون - أخرج هاتفه من جيبه ملوحًا له: هاااا.. أحول المبلغ لحسابك دلوقت ولّا كل واحد يروح لحاله؟

كان العمال قد بدأوا يقتربون منهم محاولين استراق سماع الحديث الذي يدور بينهم. لم يجد البطاوي أي شيء ليقوله لشوكت، ولا يستطيع أن يلومه في ذلك. عرضَ عليه رقمًا آخر وهو يعرف جيدًا أن تاجر آثار مثل شوكت عبد الرسول لن يستطيع خداعه:

- طب خليها نص مليار.. خمسوميت مليون.

- مفيش الكلام ده.. بس عشان بحبك يا فنان. هزود ٥٠ مليون..

اقتربت سمر منه فشعر شوكت بنيران حُسنها ودلالها قد لفحت جسده، قالت له في غنج:

- طب وعشان خاطري أنا يا معلم شوكت؟

- والله يا ست الحسن والجمال كان نفسي أزود أكتر لكن كده الموضوع مش هيجازي معايا، بس ماشي، بعيدًا عن كل اللي بيتقال دة.. ليكي مني ٢٥ مليون زيادة لو عقّلتيه وأقنعتيه إنه ده أخري، هو عارف ده كويس لكن مش خسارة في جمالك وجمال عنيكي الحلوين دول ٢٥ مليون.. مكافأة.

صاح أحد العمال الذين سمعوا سيرة الملايين التي يزودونها بينما هم لن يأخذوا سوف الفتات: طب إيه يا عمر بيه؟ وإحنا فين من كل الكلام ده؟ وجّه حديثه للبطاوي: كده سعادتك هتزودنا إحنا كمان، كل واحد مننا هياخد ٥٠٠ ألف.

ثار البطاوي حينها قائلًا له بصوتٍ عال: يعني إيه يا روح أمك؟ هو أنا ناقصك؟!

هتف عامل آخر: سعادتك إحنا مش شغالين مع وزارة الآثار، دي سبوبة ولازم كل واحد مننا يخرج منها مبسوط.. ده العُرف.. وأعتقد سِيد الناس - مشيرًا إلى شوكت عبد الرسول - عارف الكلام ده كويس.

نظر له البطاوي حانقًا ثم التفت لشوكت قائلًا بنبرة هادئة: ماشي يا شوكت.. هاخد منك ٣٢٥ مليون.. وشوف الناس دي.. راضيهم. ردَّ عليه شوكت ضاحكًا:

- مش هدفع جنيه زيادة.. شوف إنت متفق معاهم على كام وده منك ليهم.. أنا مش بتعامل مع عمال تنقيب. ومش شوكت عبد الرسول اللي هيقف مع شوية عمال يتقاول معاهم!!

اشتد غيظه أكثر حينها وتبادل النظر بينه وبين مساعده الشخصي قائلًا: مش قلتلك طماعين وهيصدعونا؟ شفت بقى إن كلامي كان صح؟

قالها ثم اتجه ناحية سيارته مُلتقِطًا سلاح آلي ووجَّهه ناحية العاملين الذين تحدثا وصاحا، أطلق على كل منهما رصاصتين أردتهما مقتولين في الحال، فاهتاج باقي العمال الذين أقبلوا على البطاوي لكنه فقد أعصابه وصوابه وأطلق النار عليهم بشكلٍ عشوائي فأصاب ثلاثة آخرين، صرخت سمر حينها محاولة أن تستوقفه لكن بلا جدوى، في حين كان شوكت واقفًا بلا أي حراك، في نفس الوقت الذي تراجع فيه باقي العمال وظلوا ينظروا إلى بعضهما البعض وقد أدركوا أن نهايتهم ربما سوف تكون هنا في عرض الصحراء. أقبل عليهم حراس البطاوي وانهالوا عليهم بالضرب حتى تمت السيطرة عليهم. شعر حينها شوكت أن الأمور بدأت تخرج عن مسارها، قائلًا للبطاوي:

- اسمع يا بطاوي، لو حصل واتفقنا وخلَّصنا، الناس اللي

هتيجي تشيل مش هينفع يشوفوا الجثث دي.. فلو هنتفق أحوِّل لك الفلوس دلوقت وتمشي وتسيب المكان نضيف.

كان ذلك حين سمعوا صوت سيارة هامر قادمة من بعيد، سأله حينها البطاوي:

- إنت اتصلت بالناس تيجي دلوقت وَّلا إيه؟

- لأ.. لسه متصلتش بحد.. هما اللي جايين دول مش تبعك؟

- لأ.. أنا معزمتش حد على الغدا النهارده. قالها ثم أشار إلى أحد رجاله كي يتولَّى أمر هذه السيارة التي اقتربت أكثر فأكثر حتى توقفت أمامهم، فاندهش البطاوي حين اكتشف أنها سيارة كريم سحاب، أطلق ضحكة ساخرة حينها، وقبل أن ينزل كريم من السيارة طلب من ابتسام ألا تنزل معه لكنها رفضت ذلك وأخبرته أنها تخاف عليه وسوف تنزل وليحدث ما يحدث. بعدما نزل ونزلت بعده وقعت عيناها على العمال المقتولين فكادت أن يغشى عليها وانحنت لتتقيأ، بينما اتجه كريم ناحية البطاوي الذي أشار لرجاله ألا يتعرضوا له، وسأله ساخرًا: - عاوز إيه يا حبيبي.. إنت تايه هنا وبتسأل على بابا وماما؟

تبادل النظر بينه وبين سمر شعيب فبصق عليها ثم سأل

البطاوي:

- فين ولادي يا بطاوي؟ أنا هنا يا قاتل يا مقتول مش همشي غير بيهم.

- تبقى هتتقتل يا حبيبي، ومش هخلي البودي جاردات اللي يعملوا كده، أنا اللي هقتلك بنفسي، وقُدَّام سمر. رفع السلاح الآلي الذي في يده لكن كريم الذي ارتدى ثوب الشجاعة مدفوعًا بالخوف على أولاده ورغبته في إنقاذهم، كان أسرع منه، فانجرف مُنزلِقًا بجسده ناحيته في حركةٍ دائريّةٍ إلى أن أصبح في أقل من ثانية أمامه مباشرةً، باغته وضربه بركبته في بطنه فسقط منه السلاح بينما ثنى كريم ذراعه خلف ظهره وأخرج المسدس من جيبه الخلفيّ موجهًا فوهته صوب رأسه، أقبل الحراس عليه ليهاجموه فصرخ فيهم كريم:

- اللي عاوز دماغ الفنان بتاعكم تتفرتك يقرب خطوة تانية.. توقف حينها حراسه الشخصيين فأشار إلى ابتسام بعينيه أن تقف بجواره، ففعلت، أحكم كريم قبضته وسيطرته على عمر البطاوي الذي تألم من قوة قبضته قائلًا بصوتٍ مبحوح:

- خلي بالك اللي بتعمله ده مش هيعدي على خير لو حصل لي حاجة. أنا عندي القلب وممكن تجيلي جلطة دلوقت، مش

هقدر أستحمل اللي بتعمله ده.

- الظاهر إنك كبرت وعجزت يا بطاوي. فين العيال؟

- عيال إيه معرفش إنت بتتكلم عن إيه؟

- عيالي.. إنت مخبيهم هنا ولّا فين؟ أقسم بالله لاقتلك لو مقولتش دلوقت هما فـ...

ابتلع كريم كلامه حين هجمت سمر شعيب على ابتسام الواقفة بجواره متوترة، فاستطاعت أن تحكم سيطرتها عليها قائلة لكريم:

- الظاهر إنك مبتحرمش يا كريم.. سيب عمر دلوقت قبل ما أقتل حبيبة القلب.. ولّا مش فارقة معاك إنها تتقتـ...

لم تكمل سمر جملتها حتى سمعوا صوت سيارات قادمة من بعيد، حوالي سبع سيارة رباعية الدفع بالإضافة إلى مدرعتان، جميعهم قادمين بسرعة جنونية تجاههم يطلقون نيران تحذيرية في الهواء وإحدى السيارات بها ميكروفون يصيح فيه الضابط زياد ضرغام: "كله يسلم نفسه ويرفع إيده.. مفيش داعي لأي مقاومة" فارتبكوا جميعًا وحاول شوكت عبد الرسول ومعه بعض حراس عمر أن يهربوا، بينما صاح باقي العمال: "الله أكبر.. الله أكبر" في نفس الوقت كان كريم لم يزل مُسيطرًا على عمر. لم تمر أكثر من ثلاثين

ثانية حتى أصبحت سيارات الشرطة أمامهم ونزل الجنود محكمين السيطرة عليهم جميعًا في عملية مُداهمة ناجحة، نظيفة مائة بالمائة، خالية من أي نقطة دم، لم يستطع شوكت الهروب، تعثَّر وسقط على الأرض وهو يركض ويركض وراءه أحد العساكر وقبض عليه، وأصبح كل من البطاوي، سمر، كريم، ابتسام والحراس تحت قبضة الشرطة. واقفين بجوار بعضهما البعض رافعين أيديهما. مرَّ زياد ضرغام من أمامهم يتفرس وجوههم بعينين نافذتين كعيني نسر، مُبتسمًا ابتسامة فخر وثقة، حتى تلاقت عينيه بعيني كريم قائلًا له: هربان من تسعوميت جريمة قتل إنت.. ماشي. وحين وقف أمام البطاوي قال له بسخرية: رايح تصوير مش كده؟؟ حضرتك ما شاء الله يا فنان تاجر آثار قدّ الدنيا ولا حد يعرف.. برافو عليك والله. طب حتى استنى أما تاخد عزا مراتك الله يرحمها.. ثم جاء عند سمر فأطلق ضحكة مدوية قائلًا: طبعًا سمر شكري شعيب غنية عن التعريف. نظر بعدها إلى السماء فوجد أن الشمس قد أوشكت على المغيب فأمر بعض العساكر أن تتحفظ على المقبرة وباقي العساكر أن يودعوا كل المقبوض عليهم سيارات الترحيلات على أن يضعوا البطاوي وسمر في سيارة غير التي سيضعون فيها كريم وسكرتيرته.

ورحلت سيارات الشرطة بعدما قبضوا عليهم جميعًا..

***

في اليوم التالي.. نيابة أمن الدولة العليا

كان كريم سحاب جالسًا في محبسه يستعيد كلَّ ما حدث له منذ أن تقابل منذ ثماني سنوات مع عمر البطاوي الذي جرَّه إلى طريق كسب المال السريع، تذكَّر حينما عرض عليه أن يغسل أمواله ووافق على الفور، ظلَّ يبكي حين تذكَّر ذلك اليوم الذي وافق فيه، لم يكن يعلم حينها أن التعامل مع عمر البطاوي سيكون عبارة عن طريق واعر نهايته السجن وخطف أولاده وضياع مستقبله. تذكَّر كل ما حدث بينه وبين سمر، تلك المرأة التي أحبها من كل قلبه وأعطاها حبًا طالما عتّقه داخل قلبه لسنوات وسنوات، رافضًا أن يعطيه لأي امرأة إلا التي يحبها قلبه. ولم يحب في عمره امرأة مثلما أحبها، بل بعدما قابلها أدرك أنه لم يحب في حياته قَط. زاد بكاؤه أكثر وانهمرت دموعه على وجنتيه كالطفل. كان ذلك حين نادى عليه أحد العساكر ليخبره أن هناك شخصًا ما يريد مقابلته، خرج ليرى من هذا الشخص فوجدها زوجته شروق، والتي حينما رآها أقبل عليها وحضنها وهو يبكي مُعتذِرًا لها عن كل ما فعله معها، انحنى راكعًا يقبّل يدها طالبًا منها أن تسامحه، فانحنت هي الأخرى وسحبت يدها وهي تبكي ثم مسحت دموعه طالبة منه ألا يبكي. أقسم لها إنه لن ينام إلا

بعد رجوع أولاده، مسحت دموعه وأخبرته أن الأولاد قد عادوا بألف سلامة، نهض كالمجنون غير مُصدقٍ ما سمع، وطلب منها أن تعيد على مسامعه ما قالته، ففعلت. شعر بأن فرحة العالم لم تسع قلبه وسألها كيف، حينها دخل الضابط زياد ضرغام مُبتسِمًا، قائلًا له إنه عرف مكانهما في التحقيقات مع عمر البطاوي وذهب بقوة الشرطة ليخلصهما. أقبل عليه كريم مُنحنيًا مُقبِّلًا يده وهو يشكره على ما فعله ثم أقسم له إنه ضحية اثنين خدعاه ونكَّلا به. أشار له المقدم زياد أن يجلس على الكرسي ويهدأ حتى يستطيع التحدث معه، أعطاه سيجارة فأخذها وأشعلها ثم طلب له عصير ليمون، بينما خرجت شروق بناء على أوامر المقدم زياد. بعدما هدأ قليلًا سأله:

- إيه علاقتك بعمر البطاوي يا كريم؟

- كانت علاقة شغل حضرتك.. إدالي فلوس أشغلهاله.. بعدها طلبهم مني تاني.

- يعني ده مكانش غسيل أموال؟

أطرق رأسه لا يستطيع الإجابة، فاستطرد المقدم زياد:

- وبالنسبة لقتلك نبيلة خورشيد؟ إحنا وجدنا في مسرح الجريمة أدلة تدينك.

- في الوقت ده حضرتك أنا كنت في الجزيرة مع بنت الكلب اللي اسمها سمر، اللي كنت فاكرها زوجة محترمة. مكنتش أعرف إنه هيكون خطة لسرقتي.

- سرقة إيه؟

سرقة الـ... توقف لسانه فجأة عن الكلام وأمسكه مسيطرًا عليه، لأنه لو قال إنه كان لديه سبائك ذهب سوف تعتبر جريمة أخرى، حاول أن يلوي ذراع الحقيقة قليلًا كي لا يتورط في قضية أخرى قائلًا بالكذب:

- سرقوا مني خزنتي وكان فيها ٥ مليون حضرتك.

لم يهتم زياد بالخزينة، وكان كل اهتمامه مُنصبًا على جريمة القتل:

- طب عندك دليل على إنك كنت في الجزيرة مع سمر وقت وقوع الجريمة؟

- للأسف كان المراكبي واتقتل.. والظابط اللي جالنا هناك اتقتل برضه.. لكن أنا كنت مع سمر.

- سمر شعيب أنكرت.. قال زياد، فسكت كريم ولم يجد شيئًا يقوله، بكى بحرقة ثم تذكر ابتسام، فأخبره أن ابتسام ذهبت إلى الجزيرة لإنقاذه، لكن زياد أخبره أنه لن يأخذ

بشهادتها لأنها تعتبر مجروحة، فهي سكرتيرته وتم القبض عليها هي الأخرى لأنها متورطة معه. ثم استطرد إلى سؤال آخر:

- طب مين اللي قتل عامر قنديل؟

جحظت عيناه حينها، فقد نسي أمرَه تمامًا.. أدرك أنه مُحاطٌ بعدة قضايا، أقل قضية فيهم عقوبتها الإعدام شنقًا. هز رأسه مبتسمًا للقدر الذي رُسِمَ له كي يكون حبل المشنقة نهايته، فكر ماذا يفعل. هل يطلب محاميًا؟ ماذا سيفعل المحامي. انهار في النهاية واعترف للمقدم زياد أنه بالفعل قتل عامر قنديل بتحريض من عادل مهدي، سأله حينها المقدم زياد: عادل مهدي اللي قتلته والسكان شافوك هناك وقت وقوع الجريمة؟!

نهض صارخًا: والله ما قتلته.. والله ما قتلته.

- برضه؟ طب مرجان أبو طالب اللي إنت آخر واحد شفته قبل ما يموت.. ولّا نبيلة خورشيد اللي لاقينا في مسرح الجريمة هناك أدلة تدينك؟ ولّا غسيل الأموال؟ ولّا التهرب من الضرايب وإخفاء سبايك دهب قيمتها مليار جنيه يا كريم؟ ولّا...

بدأت الدنيا تلف به وغاب عن الوعي تدريجيًا إلى أن سقط

مغشيًا عليه.

***

بعد مدة..

كان صوت الطيور بالخارج يكاد يكون مسموعًا إلى كريم القابع داخل زنزانة انفراديّة ضيِّقة، ذات سقف عالٍ وجدران سوداء، تحتوي على رسوماتٍ عشوائية خُطَّت بيد مساجين كانوا مكانه يومًا ما، جدران متشابهة صماء إلا من نافذة تعلو عن الأرض بحوالي مترين ونصف المتر، بها قضبان تخترقها أشعة الشمس لتصل إلى عينيه فيفتحهما مفزوعًا بعدما استفاق، ظل يجول بنظره في أرجاء الغرفة فانقبض قلبه من وحشة المكان، ولكن ليس هذا أسوء شيء، فبعد أربعة ثواني سوف يعرف أكثر شيء مخيف يمكن أن يدركه الإنسان في حياته كلها. تلك اللحظة التي يدرك فيها أن حياته محكوم عليها بالانتهاء، نهض رافعًا رأسه ناظرًا عبر النافذة الصغيرة إلى الشمس في كبد السماء، قبل أن يلفت انتباهه إلى ما يرتديه، وكانت بدلة حمراء، اكفهر وجهه حينها وتجمَّد الدم في عروقه فجأة، أمسك طرفها مُدققًا النظر فيها لعلَّه يكون مخطئًا. لكنه تأكد أنه يرتدي بدلة حمراء.

لو سأله أي شخص من قبل، ماذا سوف تفعل لو حُكِمَ عليك بالإعدام، كان سيجيبه بأنه سيبكي ويصرخ بل ويملأ الدنيا

صراخًا بصوتٍ يصك الأسماع، ثم يتوقف قلبه فيسقط ميتًا قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام. لكنه الآن.. حينما وجد نفسه في قلب الواقع، لم يفعل كل ذلك. كل ما حدثَ هو أن صوت الطيور في الخارج توقف فجأة ولم يعد يسمعها، لم يسمع أي شيءٍ سوى دقات قلبه التي كانت تدق على استحياء. لم يبكِ ولم يصرخ، جلس مكانه فقط ثم رجع برأسه للوراء وأغمض عينيه مرة أخرى، كان ذلك حين سمعَ أحد العساكر يتحدث إلى زميله بأنَّ حُكم الإعدام سيكون في الغد، صباحًا.

ظلَّ هكذا في نفس وضعية جلوسه حتى هذا الوقت الذي فُتِحَ فيه باب زنزانته، ليشير له العسكري أن ينهض، كان ذلك حين سمع صوت صراخ امرأة بيد أنه من غرفة مجاورة، كرر العسكري إشارته له أن ينهض فلم يستطع النهوض، فجاء عسكريان آخران وأمسكاه من تحت إبطيه ليرفعاه عن الأرض ويجرَّاه إلى غرفة الإعدام حيث بدا الصراخ أوضح الآن، وكانت سمر شكري شعيب، التي ترتدي سترة حمراء هي الأخرى، وعلى مقربة منها عمر البطاوي نفس الشيء، لكنه كان ساكنًا، واقفًا دون أن تندّ عنه حركة، وكأنه منتظرٌ بشوقٍ أن يلتف حول رقبته حبل المشنقة. أو أن ندمه على كل ما اقترفه جعل جسده غير مستوعبٍ أنه سوف تخرج من عباءته الروح بعد قليل. ما إن رآهما ظلَّ يصرخ فيهما ويسبهما بأقذع الألفاظ، طالبًا منهما فعل ولو شيء واحد

صحيحًا، وأن يعترفا أنه لم يقتل أي شخص، فظهر حينها المقدِّم زياد مُبتسمًا بسخرية قائلًا له:

- طب هنعتبر إنك مقتلتش نبيلة خورشيد ولا مرجان أبو طالب ولا عادل مهدي.. بالنسبة للكاميرات اللي لقطتك في المستشفى وإنت بتقتل عامر قنديل؟! وبعدين أنا هتعب نفسي معاك ليه، محاكمتك قعدت ٨ شهور بحالهم - علا حينها صراخ سمر شعيب؛ فنظر لها المقدم زياد متأففًا ثم بصق عليها قائلًا:

- مفيش فايدة فيكي يا سمر.. هتفضلي طول عمرك قذرة، كنت مراقبك سنة ونص بحالهم لحد ما وقعتي. ثم التفت إلى كريم وعمر البطاوي مستطردًا بصوتٍ عالٍ:

- محاكمتكم كلكم قعدت ٨ شهور والقاضي عمره ما هيسلم أوراقكم لفضيلة المفتي إلا لما يكون متأكد مليون في المية إنكم تستاهلوا ده. هو ده قصاص الأرض، وبعد خمس دقايق من دلوقت هتقابلوا ربنا.. عشان قصاص السماء... سلام.

ما إن رحل حتى جاء فضيلة الشيخ ليسأله عن آخر أمنية له قبلما يتم تنفيذ حكم الإعدام. فطلب أن يرى زوجته ليعتذر لها ويحضن أولاده. أخبره الشيخ أنهم بالفعل في الغرفة المجاورة ويستطيع رؤيتهم لكنه سأله إن كان متأكدًا أنه يريد أن تكون هيئته تلك بالبدلة الحمراء هي آخر ما

يرونه فيه؟ خصوصًا أولاده.. هز له رأسه مُتلهفًا أن نعم، لا مشكلة لديه، على الأقل كي يكون عِبرةً لهما. فأومأ الشيخ مُشفقًا عليه وأشار إلى أحد العساكر ليحضروا له أولاده، فأقبلوا عليه مُتلهفين وعيونهم غارقة في الدموع، تركه العسكريان كي يستطيع أن يحتضنهما بحرية، حينها بكى وهما بين يديه، قبَّل يد زوجته وأخذ يلمس وجوه أولاده بأنامله، اللمسة الأخيرة، وكل شيء يفعله الآن سيكون المرة الأخيرة له.

- سامحوني يا ولادي، أنا بعدت عنكم ومتاع الدنيا شغلتني عن احتوائكم، عرفت كل حاجة دلوقت، لكن متأخر.. سامحوني يا حبايبي.. سا...

قاطعه العسكريان اللذان أمسكاه مرة أخرى من تحت إبطيه، خرج الأولاد وشروق وهم يصرخون ويبكون، اقتادوه هو وسمر والبطاوي إلى منصة الإعدام، كانا هما آخر شخصين رأتهما عيناه قبل أن يرى السواد والظلام من خلف الكيس القماشيّ الأسود، هنا.. حيث سينتهي كل شيء...

ورفع عشماوي اليد فانزلق الأجساد الثلاثة متدليين..

من حبل المشنقة.

***

المستشفى السعودي الألماني

شهق كريم سحاب ثم أطلق صرخة مدوية حين نهض مُستيقظًا مُتعرقًا مفزوعًا مما رآه في حلمه وهو يُعدم شنقًا، فانتفضت زوجته التي سهرت بجواره طوال الليل، أمسكت برسغه كى لا تنكسر إبرة الكانيولا التي تخترق عروقه وأخذت تهدئ ثورته وتربت على صدره الذي يعلو ويهبط بشكلٍ مُخيفٍ، لم يستطع التحدث أو سؤالها أين هو الآن بسبب أنفاسه اللاهثة المتلاحقة، واصلت شروق تهدئته، مرت حوالي دقيقتين حتى هدأ تمامًا ثم جال بنظره في أرجاء المكان محاولًا استيعاب أين هو، حينها تأكد أنه كان يحلم. قبّلت شروق جبهته قائلة له بنبرة يملؤها حنان: حمد الله على سلامتك يا حبيبي.

لم يستطع الرد عليها مندهشًا من كل شيء يحدث حوله، وزاد اندهاشه أكثر حين دخل أولاده مُهلّلين:

- بابا.. بابا.. بابا.. حمد الله على السلامة. قالوها وهما يجلسان حوله ويقبلانه.. أبعدتهما شروق بلطفٍ قائلة لهما: حبايبي سيبوا بابا دلوقت عشان تعبان، اقعدوا برة مع جدو. يومين وهيرجع لكم البيت.

لفتت انتباهه آخر كلمتين، خاف أن يسألها ماذا تقصد فتخبره أنها لم تقل شيئًا ويكتشف أنه سمع ما قالته بالخطأ.

هذا ما كان يدور في خلده وبدا على وجهه المتوجس، وهو ما شعرت به شروق دون حتى أن تلتفت إليه. ناداها باسمها فنظرت له وانطلقت منها ضحكة رقيقة، ضحكة طالما افتقدها ولم يرها منذ سنوات، أو بالأحرى لم يعطِ لها أو لنفسه الوقت والفرصة كي يراها. لهذا خلق الله أوقات المِحَن، كي يعرف المرءُ قيمة أبسط وأقل الأشياء. وأجمل الأشياء، ناداها مرة أخرى باسمها: شروق..

كانت جميلة جدًّا، هكذا رأتها عيناه، رمشت بعينيها ثم نظرت في السقف قبل أن تنظر إليه مرة أخرى قائلة له والابتسامة على شفتيها: أيوه يا كريم.. اللي سمعته مني صح.. ممكن بقى تغمض عينيك وتنام لحد الساعة ١٢ الضهر عشان تصحى تاخد الدوا وتخف بسرعة عشان تخرج من هنا وترجع على بيتك؟

- أرجع على بيتي؟!! أرجع على بيتي إزاي؟

كان ذلك حين سمع خارج الغرفة صوت أقدام تدب على الأرض مُقبلة عليه، مصحوبًا بصوتٍ أنثوي ساحر، لسيدة لا يقل جمالها سحرًا عن صوتها الذي يعرفه جيدًا وميَّزه بسهولة: - من غير إزاي يا كريم.

التفت بنظره ناحية الباب فرأى سمر.. سمر شكري شعيب.. قائلة وقد افتر ثغرها عن ابتسامةٍ أخَّاذةٍ آسرة:

- زي ما سمعت من شروق مراتك.. يومين تلاتة وهتخرج من هنا على بيتك.

قالتها وهي تغمز له بعينيها ثم غادرت.

سَمَرْ شُكْري شُعَيْب

حين بدأ المقدم زياد التحقيق في جريمة قتل الرجل اليوناني، استطاع عن طريق تحرياته أن يصل إلى أن هذا الرجل تقابَل مع نبيلة خورشيد في إحدى السهرات، ذهب إليها في مقر شركتها في الحال، كانت هناك بمفردها، واجهها بما توصلت إليه تحرياته فأخبرته أنها ليست مَن قتل أثناسيوس كزانثوبولوس بل الذي فعل ذلك هو زوجها، عمر البطاوي. وعلى أتم استعداد أن تثبت

له ذلك، فهو قادمٌ في الطريق، وتستطيع أن تستدرجه في الكلام، على أن يختبئ في أي غرفة ويسمع ما سيدور بينهما، وأخبرته أيضًا أنه ليس متورطًا في قتل الرجل اليوناني فقط، بل متورطًا في جرائم أخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر غسيل الأموال، وتجارة الآثار مع شوكت عبد الرسول، وإقامة حفلات شذوذ ودعارة يدعو فيها رجال أعمال آخرين وأسماء معروفة والكثير والكثير. أخبرته أنها طالما حذرته من فعل ذلك لكنه لم ينصت إليها.

فكر في الأمر لوهلة ثم وافق. لم تمر أكثر من ربع ساعة حتى سمعا صوت سيارته في الشارع، نهض المقدم زياد بسرعة واختبأ في غرفة مجاورة يستطيع منها سماع ورؤية كل شيء، دخل البطاوي مع الحارسين الخاصين به وكان

مُتعجلًا، جلست نبيلة خورشيد على مكتبها تبحث عن بداية لحوار تستدرجه به، فابتدر كلامه معها:

- فكرتي هنروح إزاي الجزيرة دي ونجيب منها الخريطة ولّا لأ؟

- لا مفكرتش.. كل اللي بفكر فيه إزاي قلبك طاوعك تقتل الرجل الغلبان ده. مصعبش عليك؟

- ميصعبش عليكي غالي يا حنينة.. اللي يصعب عليكي يفقرك. خير جه لحد عندنا، هنقول له لأ؟

- تقوم تقتله؟ طب حتى كنت شوفه بأي حاجة وتخليه يرجع بلده.

- كان هيطمع ويتجاشع ويبلغ عننا بعدها. وبعدين سيبك من زفت ده دلوقت أهو غار وزمان جثته السمك كلها في النيل.. أنا عاوزك في موضوع تاني بفكر فيه من إمبارح. عاوزك تروحي لسمر شكري شعيب.. مرات كريم سحاب، تتكلمي معاها وتعرفي ميّتها إيه. نقطة ضعفها يعني.

- إشمعنى؟

- بفكر في خطة.. لو اتحققت زي ما أنا عاوز هنشوف خير مشفناهوش في حياتنا قبل كده! هنسرق السبايك اللي في

فيلّا كريم، وناخد الخريطة.. مليارات. عارفة يعني إيه مليارات؟

- مش هروح أقابل حد.

- بقى كده؟! تمام.. بس متزعليش من رفضك ده. هروق لك بس مش دلوقت. أنا همشي دلوقت هروح لها أنا. وإنتي ليكي روقة. اصبري عليا.

قالها ثم أشار إلى رجاله وغادر. بعدما تأكد زياد من مغادرته خرج من الغرفة وهو يفكر في كل ما سمعه، سألته نبيلة مندهشة لماذا لم يظهر في الوقت المناسب ويواجهه ويقبض عليه، فأخبرها أن هذا يحدث فقط في الأفلام التي تمثلها.. لكنه قرر ألا يقبض عليه الآن قبل أن يستدرجه في جرائم أخرى ويقبض عليه مُتلبِّسًا. وأيضًا يريد أن يعرف قصة هذه السبائك التي يريد سرقتها من فيلّا كريم، ثم طلب منها ألا تخبر أحدًا بذلك. وإلا سيعتبرها شريكته في كل جرائمه..

خرج من شركتها مُتوجهًا إلى رئيسه، اللواء عماد نور الدين، أخبره بكل ما توصّل إليه واستأذنه ألا يقبض عليه الآن، لأن الموضوع أكبر بكثير من مجرد جريمة قتل رجل، قضية من الممكن أن يعترف فيها أي رجل من رجاله على نفسه بسهولة ويتولاها عنه، ويخرج هو منها كالشعرة من العجين، وأنه من الأفضل أن يتريّث قليلًا ليتم القبض عليه مُتلبِّسًا، أو على

الأقل بعدما يقوده إلى متهمين آخرين في شبكته الإجرامية، أولهم شوكت عبد الرسول الذي أفلت من رجال الشرطة من قبل. لم يفكر اللواء عماد كثيرًا وأعطاه الضوء الأخضر ليفعل ما يراه صوابًا، وأخبره أنه يثق فيه وفي قدرته ثقة عمياء.

- اتكل على الله يا زياد، شوف محتاج مين يساعدك من رجالتنا وابدأ في شغلك بالشكل اللي تشوفه مناسب ليك. أنا واثق فيك وفي شغلك.

***

خرج عمر البطاوي من شركته قاصدًا شركة سمر شكري شعيب للدعاية والإعلان، عرض عليها أن تستدرج كريم زوجها إلى جزيرة نيلسون ليضربا عصفورين بحجرٍ واحدٍ.. الأول هو إبعاده عن الفيلّا كي يتسنى له وقتًا كافيًا ليكسر الخزينة ويسرق السبائك، والثاني الحصول على الخريطة من الجزيرة إن كانت موجودة بالفعل. استطاع عمر البطاوي إيجاد نقطة الضعف الوحيدة لدى سمر، وهي حب المال – أو هكذا خُيِّلَ إليه - وبهذا العرض أقنعها أنها ستحصل على مليار ونصف المليار على أكثر تقدير، أو على الأقل خمسمائة مليون. وفي الحالتين الموضوع يستحق المجازفة والمغامرة.

لم يكن البطاوي مُخطئًا حين تسلّل إليها من ثغرتها ونقطة

ضعفها، المال. لكنه كان مخطئًا في التوقيت، فقد جاء مُتأخرًا؛ لأنه لو كان فعل ذلك قبل خمس سنوات لكان الأمر مُختلِفًا بالتأكيد، لكن سمر الآن غير سمر التي كانتها عام ٢٠١٧. بعد أن أدركت لذة ومتعة طريق المال الذي يأتي بعد كدٍ وتعبٍ. أصبح الأمر مختلفًا لديها تمامًا. بالإضافة إلى استحالة أن تخون كريم، لأنها أَحبَّته بالفعل، وكانت تنوي أن تكمل معه حياتها إلى أن تموت. كان هذا شعورها قبل مقابلة المقدم زياد..!

بعد عرض عمر البطاوي المُغري والذي يستحيل رفضه، انفردت سمر بنفسها لتفكر مليًا في الأمر، ولم تحتج أكثر من خمس دقائق في التفكير لتقرر رفض العرض، أمسكت الهاتف لتتصل بالبطاوي كي تخبره برفضها لكنها خشيت بطشه، فما رأته من نفوذ يتمتع به وما حكاه لها كريم، وما سمعته عنه من أشخاص بالوسط الفني، جعلها تفكر ألف مرة قبل أن تعاديه بشكلٍ مباشرٍ. وما شعرت به في لهجته الانتقامية، جعلها تدرك كم أن هذا الرجل خطرًا ولن يقبل رفضها بالسكوت. وحتمًا سوف يضعها في قائمته الانتقامية بعدما عرفت من كلامه أنه لا يوجد غيرها من يستطيع فِعْل الأمرين معًا في وقتٍ واحدٍ؛ إبعاد كريم عن الفيلّا عدة أيام، وفي نفس الوقت البحث عن تلك الخريطة البائسة في جزيرة في عرض البحر المتوسط.

فكرت في أن تصارح كريم بما طلبه منها عمر البطاوي ليأخذ حذره، لكنها خشيت بطشه هو الآخر وأن يتصرف أي تصرف أحمق فيعرف البطاوي أنها أخبرته ويؤذيها أو يقتلها أو يشوّه وجهها كما هددها، بالإضافة إلى كلامه عن كريم أنه يغسل أموالًا بعشرات الملايين وله ممارسات كثيرة غير مشروعة، بعدما علمت بذلك بدأت تراه رجلًا آخر غير هذا الرجل الذي عشقته وفضّلته عن رجالٍ كثيرين رفضت الزواج منهم. وتحوّل كل هذا الحب الذي كانت تدخره له إلى كره وتقزُّز واشمئزاز. وزاد هذا الشعور حينما بلّغ عن نفسه بلاغًا كيديًا، بدأت تخاف منه وانعدم شعورها بالأمان معه. بعد تفكير طويل قررت ألا تتصل بالبطاوي لتخبره برفضها، وفي نفس الوقت لن تصارح كريم بما حدثَ بينها وبين البطاوي، لكن المشكلة ما زالت قائمة، سألت نفسها حائرة ماذا ستفعل الآن! كان ذلك حين ذهب إليها المقدم زياد وعرّفها بنفسه، شعرت أن قدومه هو رسالة من الله كي تستنجد به وتخبره بكل شيء، لكنه قال لها إنه يعرف كل ما ستقوله، طالبًا منها أن تساعده.

- أنا تحت أمرك طبعًا يا افندم.. بس أساعد حضرتك إزاي؟ ده أنا كنت فاكرة إن حضرتك اللي هتساعدني!!

ضحك ثم أشعل سيجارة وقال لها:

- كريم سحاب مرصود من فترة، وفي ناس من رجالتنا هنا متابعينه وماسكين ملفه، اسم كريم سحاب من ضمن قايمة كبيرة لرجال أعمال مشبوهين ومرصودين. غسيل أموال وتهرب ضريبي وتلاعب في أوراق كتير. لكن مهما عمل كريم سحاب مش هيكون زي البطاوي،كان في كلام من فترة إنه بيتاجر في الآثار لكن معرفناش نمسكها عليه لأن حد من رجالته شال الليلة.

كانت سمر تسمعه وهي مصدومة، ليس فيما قاله عن البطاوي فقط، ولكن ما عرفته عن زوجها الذي أحبته وتأكدت منه بعد كلام زياد ضرغام الذي استطرد كلامه بعدما أخذ نفسًا عميقًا من سيجارته:

- لو قبضنا عليهم دلوقت يا سمر غالبًا هيطلعوا منها، مع العلم إن هدفنا فعلًا هو البطاوي، كريم عبيط، أهبل، مجرد رجل أعمال طماع، هيتقبض عليه أكيد برضه لكن لو فعلا عاوزة تساعدي، نفذي اللي هقولك عليه.

- أنا تحت أمركم في أي حاجة، المهم إن ميطولنيش أي أذى أرجوك.

- لو نفذتي اللي هقولهولك بالحرف، مش هيحصل لك حاجة.. مبدئيًا إنتي هتقبلي عرض البطاوي، يهمني أعرف إيه موضوع الخريطة دي اللي يقتل رجل بريء عشانها. وهل

فعلًا فيه خريطة ولَّا لأ. تاني حاجة عاوز أعرف إيه موضوع السبايك اللي كريم خافيها دي.

قبلت سمر مساعدته، ولم يكن إقناع كريم سحاب بالذهاب إلى جزيرة نيلسون صعبًا، وحين اتصل بالمراكبي ورتب معه كل شيء أخبرت زياد بذلك، في اليوم التالي طلب منها كريم أن تُجهز حقائبها لأنهما سيسافران فجر الخميس ٢٦ مارس ٢٠٢٠م. لم يكن أولوياتها أخذ ملابسها قدر ما كان أولوياتها أخذ أدوات للحفر مسافة متر أو أكثر، على أن تكون تلك الأدوات خفيفة ويسهل إخفاؤها، بالإضافة إلى أن يكون استخدامها مُريحًا. ذهبت بنفسها إلى شارع الجمهورية بوسط البلد، وجدت جاكوش ومجرفة وأجنة، تساءلت في قرارة نفسها هل هذه الأدوات ستساعدها فيما ستفعله أم لا..! وهل سيكون لديها الوقت الكافي لفعل ذلك بهذه الأدوات؟ وهل سوف تستطيع استخدامهم أصلًا..؟! حاولت أن تبحث عن أدواتٍ بديلة في المحل إلى أن رآها صاحب المحل واقفة حائرة فأقبل عليها يسألها:

- أؤمري يا أبلة، القمر ساب السما ونزل الأرض في عز الضهر بيدوّر على حاجة معينة؟

لم تأبه لطريقته في الكلام ولا لعينيه المُتسمّرتين على جسدها وسألته عن أداة للحفر ويكون استخدامها مريح

وصغيرة الحجم. فكر قليلًا ثم نادى على صبيه: - واد يا مشرط... إنت ياض. روح للمعلم شقاوة هات منه المكنة الجديدة بتاعت الحفر اللي جابها من المورد التركي.

ذهب مشرط وغاب ربع ساعة قدَّم فيها صاحب المحل لسمر عصير قصب طعمه أشبه ببول الحمير، ثم عاد ومعه تلك الماكينة وملحق معها أداة حديدية حلزونية "بُنطة" صلبة للثقب، يتم تركيبها في الماكينة وتمسك بيدين يمينًا ويسارًا لتبدأ الحفر، تستطيع عمل حفرة قطرها ٥٠ سم وعمقها ٩٠ سم في أقل من دقيقة، نظرت إليها لثوانٍ مُتأملة شكلها، ورغم أنها أعجبتها لكنها أخبرته أنها لا تريدها، سألها منفعلًا عن السبب فأخبرته أنها سوف تكون في مكان ليس به كهرباء. فضحك الرجل قائلًا:

- لا يا أبلة دي مش بالكهربا، دي لامؤخذة بيتحطلها بنزين سعادتك وتشدي الحبل اللي على جنب ده وهتشتغل بالصلاة على النبي.

لمعت عيناها من فكرة عملها ووزنها الذي لا يتعدى تسعة كيلو جرامات، وفرحت فرحًا شديدًا لاحظه صاحب المحل فاستغل ذلك حين سألته عن الثمن فقال لها: - خمستلاف وخمسوميت جنيه يا قمر، عليا الطلاق من مراتي أنا كده مش كسبان فيها حاجة و...

قاطعته سمر بإشارة من يدها وأخرجت من حقيبتها ما طلبه، ثم طلبت منه أن يُعلِّمها كيفية فكها وتركيبها كي تأخذ أقل مكان ممكن. فأخبرها أن هذه الماكينة يمكن فكها لثلاثة أجزاء صغيرة وعلَّمها كيفية الفك والتركيب. حينها قررت أنها سوف تأخذها معها وتضعها في حقيبة سفر كبيرة وتغطيها ببعض من ملابسها، وتضع ٢ لتر بنزين في ثلاث زجاجات صغيرة مُحكَمة الغلق جيدًا وتدسهم بين ملابسها في حقيبة أخرى. وبهذا تكون قد فعلت كل ما في وسعها لتخفي عن كريم أمر هذه الماكينة. غير أنها فكرت في رد مناسب إن حدث واكتشف أمرها في الجزيرة ورآها وسألها عنها، فستجيبه حينها أنها أحضرتها لعمل ثقوب في الأرض لغرز الأوتاد التي ستثبت الخيمة. إجابة ربما لا تكون مقنعة لكنها ستستطيع إلقاءها أمامه بشكلٍ مقنع، وهذا لن يكون صعبًا عليها. وبالفعل اندهش حين عاد في الليل ورأى الحقيبة الكبيرة وسألها عن هذا الحجم فقالت له بغنج:

"هو إحنا هنشيلها فوق راسنا.. وبعدين دي يادوبك نُص الحاجات اللي عاوزاها، ثم إيش عرفك إنت في حاجات الستات.. مش واجب عليا أدلعك برضه؟" قالتها وهي تغمز له فحضنها وقبّلها ودخل ليحضر حقيبته هو الآخر.

كانت العقبة الوحيدة أمامها بعد ذلك هو الوقت، متى

سوف تحفر لتبحث عن تلك الخريطة المزعومة، لقد أخبرها البطاوي أنها مدفونة داخل الممر هناك، في نهايته، وعلى مسافة قريبة، متر ونص إلى مترين. بعد أن خبأت المعدات في حقيبتها دخل كريم ليأخذ حمامًا، حينها أرسلت رسالة إلى البطاوي على واتساب، لتخبره أنهما سيسافران في الفجر، فأرسل لها:

- ربنا معاكي يا حبيبتي، متنسيش، الممر في الجزء الجنوبي للجزيرة، هتدخلي نهاية الممر ده وتحفري.

- إنت متأكد إن الرجل اليوناني ده كلامه صح أصلاً؟ ما يمكن مجنون.

- متأكد بنسبة ٨٠٪ إنه كلامه صح.. وحتى لو مش صح يا حبيبتي آدينا هناخد سبايك الزفت كريم. وفي الحالتين كسبانين.

- ربنا يستر.. سلام دلوقت.

بعدما أغلقت الهاتف اقتربت من باب الحمَّام لتطمئن أنه لم ينته بعد، فاتصلت بعد ذلك بزياد لتخبره بأن كل شيء يسير على ما يرام.

- تمام يا سمر، ربنا يوفقك، بصي، موضوع الخريطة والحفر والكلام الفاضي ده أنا مش متأكد منه، المهم عندنا

هو استدراج عمر البطاوي بعد ما يسرق خزنة كريم. سرقة السبايك دي هي الخيط اللي هيوقعهم كلهم في بعض وبعدها يتقبض عليهم ونريح العالم من شرهم.. خلي بالك من نفسك.

- هو في حد منكم هيكون في الجزيرة؟

- لا طبعًا، الجزيرة كلها على بعضها صغيرة، إنتوا هتقضوا اليومين تلاتة هناك ولما ترجعي هتلاقينا متعاملين مع عمر البطاوي.

أخذت معها أقراصًا مُنوِّمة قويّة كي تدسّها لكريم في قهوته لينام، وضعتها له بعد منتصف الليل، لم تمر سوى نصف ساعة حتى غفا وغاب في سباتٍ عميق لمدة عشرين ساعة، كان وقتًا كافيًا لتفعل كل ما يحلو لها في الجزيرة، بعدما اطمأنت أنه انفصل عن الواقع أخذت مُعدَّاتها وبحثت عن الممر فلم تبذل جهدًا كبيرًا حتى وجدته، ولم يكن بينه وبينها أكثر من سبعة عشر مترًا غربًا. أضاءت المصباح ودخلت، شعرت حينها بالخوف يدب في أعماقها، علاوة على أن صفير الرياح مع صوت الأمواج المتلاطمة كان من المفترض أن يزيدها خوفًا فوق خوفها، لكن ما حدث هو العكس؛ كانت تستأنس بهما، أو هكذا أقنعت نفسها.

كي تدخل الممر يجب أن تنحني قليلًا لأنه لا يتسع لشخصٍ

يقف منتصبًا، كان قطره متر وعشرين سم تقريبًا، سارت حوالي ثلاثة أمتار إلى الداخل حتى وصلت إلى نهايته وبدأت الحفر، لم تجد حافزًا يشجعها لتبدأ، وسمعت صوتًا يقول لها إن فكرة الحفر هنا ستكون ساذجة، فمن يدريكِ أن هذه النقطة التي ستحفرينها ستجدين فيها الخريطة، جاهدت ذلك الصوت الذي يسري بداخلها لكن بلا جدوى، وقفت مع نفسها لثوانٍ مُتذكِّرة ما قاله لها زياد أن أمر هذه الخريطة ليس هو الأولوية، فشعرت بأن الموضوع صعبٌ بالفعل والإحباط بدأ يساورها، فقررت حينها الخروج والعودة مرة أخرى إلى الخيمة. تناولت ساندوتش همبرجر قبل أن تخرج سيجارة من علبة كريم وفتحت زجاجة عصير بطيخ شربتها وهي تسير بمحاذاة الشاطئ لخمس دقائق تفكر في الأمر.

حين عادت مرة أخرى إلى الخيمة، وجدت كريم ما زال نائمًا بنفس وضعيته لم تند منه حركة! وقد ساعد شعوره بالإرهاق على أن يكون مفعول المنوم ذا تأثير مضاعف. بعدما انتهت من سيجارتها شعرت بالملل ومددت بجسدها بجواره محاولة أن تنام، ظلت تتقلب يمينًا ويسارًا كي يجافي عينيها النوم، لكنها لم تستطع، حدَّثتها نفسها أن تنهض وتذهب إلى الممر لتكمل ما كانت تفعله، فها هو الرجل نائمٌ بجوارها كأهل الكهف، وها هي الفرصة سانحة أمامها، ما

الضرر من المحاولة؟! أنصتت إلى الصوت الذي جاء أخيرًا يشجعها وعادت إلى الممر، بعد أن أخذت معها هاتفها لتشغِّل بعض الموسيقى بينما تعمل.

وضعت البنزين في القِربة وفعلت كما علّمها الرجل، شدت الحبل فاشتغلت الماكينة بسهولة، كان صوتها عاليًا فخشيت أن يسمعه كريم ويستيقظ من سباته، ولكي تطمئن لذلك تركت الماكينة تعمل وذهبت إليه لترى مستوى الصوت فوجدت أنه ليس واضحًا، لأن صوت أمواج البحر أعلى في الليل، بالإضافة إلى أن المنوم الذي وضعته له قويًا. عادت مرة أخرى وبدأت تستخدم الماكينة التي كانت نتائجها مُذهِلة، بمجرد أن تضغط بها على الأرض تنزل لتحفر في ثوانٍ المكان الذي تحفره، وحينما ترفعها تخرج معها الرمال من داخل الحفرة. أقنعت نفسها أنها لن تجد الخريطة داخل أول حفرة، ولا حتى العاشرة. كي لا تفقد الأمل. وقررت أنه طالما قُطر الحفرة ٤٠ سم تقريبًا فإنها تستطيع عمل ٤ حفرات متجاورات في خمس دقائق مثلًا.. وذلك سيكوِّن حفرة كبيرة قطرها متر تقريبًا. نفذت ما قررته بالفعل وما ساعدها على ذلك رباطة جأشها وجلدها وتحمُّلها، بالإضافة إلى قوتها العضلية التي اكتسبتها من تدريباتها وتمارينها التي كانت تقوم بها، علاوة على إصرارها.

مرّت عليها حوالي نصف ساعة استطاعت فيها أن تحفر إحدى عشر حفرة متجاورة دون أن تجد شيئًا..! بدأت تفقد الأمل في أن تجد خريطة مدفونة منذ أكثر من عشرين سنة، بالتأكيد لن تجدها بسبب عوامل التعرية ومرور الزمن، لكنها تجاهلت الصوت الذي يتردّد بداخلها ليُحبِط عزيمتها، وقررت أن تواصل الحفر لمدة ساعة إضافية، وإن لم تجد شيئًا تترك الأمر، وحينما تعود إلى القاهرة تخبر البطاوي ببساطة أنها لم تجد شيئًا، هذا إن وجدته ما زال حرًا ولم يقبض عليه بعد زياد ضرغام.



في نفس الوقت بالشيخ زايد..

حينما اقتحم البطاوي ورجاله فيلّا كريم سحاب، كان كل شيء مُراقبًا من المقدم زياد ورجاله الذين انتظروا ثلاث ساعات كاملة حتى خرجوا بسلام، حاملين معهم ثلاثة صناديق يضعونهم في سيارته رباعية الدفع، فكر زياد في أن يقبض عليهم الآن. لكنه تراجع إلى أن يعرف أين سيخبِّئ هذه الصناديق، فربما هذا يقوده إلى أشياء أخرى. وطالما تحت مراقبته ولم يغب عن عينيه فلا توجد أيّ مشكلة. أصدر إشارة إلى رجاله أنه أجّل القبض عليه، وتتبع سيارته إلى أن وصل منزله، تواصل مع قيادته للحصول على إذن من

النيابة بالتفتيش والقبض. والذي يعرف أنه سوف يحصل عليه خلال ساعة أو أقل. لكن ما حدث أربك كل حساباته حين تفاجأ ببعض الفوضى وقدوم سيارات شرطة القسم التابع له، لأنه بلّغ بقتل زوجته الفنانة نبيلة خورشيد فورَ دخوله. ظلّ يفكر ماذا يفعل إلى أن استأذن مأمور القسم ومرؤوسيه أنه سوف يتولى التحقيق في تلك الجريمة كي يستطيع الإمساك بزمام كل الأمور. بالإضافة لمهارته في التحقيق بمثل تلك الجرائم. وحينما عاين وقتها مسرح الجريمة اكتشف بسهولة أن عملية القتل حدثت للتوّ، بينما هو كان في فيلّا كريم لسرقة السبائك، بالإضافة إلى أنه حين طلب مراجعة الكاميرات المُثبتة فوق بوابة الفيلّا اكتشف أن نظام الكاميرات بالكامل مُعطّل بحجة عدم مجيء شركة الأمن لصيانتها. قرر أنه سيتظاهر بتصديقه حتى النهاية، وعدم إحساسه بأنه مُراقَب أو مضغوط. فوقت الضغط لم يحن بعد.

ولم يندهش المقدم زياد حين اتهم البطاوي كريم في قتل زوجته، خصوصًا أن الأدلة المزروعة في مسرح الجريمة لتدينه موضوعة بشكلٍ واضحٍ جدًّا أنه ساذج وغير احترافيّ.

في الجزيرة

في الهزيع الأخير من الليل، كانت سمر قد استطاعت أن تحدث بآخر الممر حفرةً كبيرةً قُطرها مترين وعمقها ثمانون سم تقريبًا وما زالت لم تجد شيئًا..! قررت أن تخوض آخر محاولة، تنزل الحفرة وتفعل ما فعلته لتجعلها بعمق مُضاعَف، أي حوالي متر ونصف. شعرت حينها ببعض من الاختناق فخرجت لتستنشق بعضًا من الهواء وتذهب إلى خيمة كريم لتطمئن أن الوضع هناك كما هو. وبالفعل وجدته ما زال نائمًا في نفس وضعيته لم يتقلّب حتى، فتحت علبة مياه غازية وتجرعتها أمام الشاطئ مع سيجارة شعرت بعدها أنها جدّدت نشاطها، ثم عادت إلى استئناف عملها على الفور، حينما دخلت الممر ورأت الحفرة أُعجبت بما فعلت وشعرت بالفخر والانتشاء، حتى لو لم تجد شيئًا فيكفيها ما فعلته. نزلت الحفرة بالماكينة ووضعت السماعة في أذنها وشغلت موسيقى على هاتفها وبدأت الحفر، وجدت حينها شيئًا غريبًا، بقايا عظام لهياكل من المرجَّح أن تكون بشرية، والغريب أنها لم تخف، جمعت تلك العظام بجوارها، كلما تجد عظمة تضعها بجوارها برفق، دون أن تعرف لماذا تفعل ذلك. لكنها أمسكت بعظمة منهم وظلت تنظر إليها مُتأمِّلة، تلك العظمة التي كانت يومًا ما يكسوها عضلات وألياف ولحم، لإنسان عاش يومًا ما بأهداف، وكان هنا يومًا ما لأسباب، تلك الأسباب ربما ليست مهمة بالنسبة إليها، وليست مُتحمِّسة

لمعرفتها حتى، لكن بالنسبة إليه، في وقته وزمنه، كانت أسباب مُهِمَّة. تُرى، كيف كان آخر لقاء له مع أحبته! ما شعورُهم بعدما فقدوه، هل علموا أنهم فقدوه ومات أم لا!! ماذا كان شعوره حين أتى إلى هنا؟ ما شكل آخر لحظة في حياته؟ ماذا كان يشعر؟! ابتسمت حينها ووضعت العظمة بجوار باقي العظام واستأنفت عملها إلى أن سمعت صوتًا غريبًا غير مألوفٍ لها حين اصطدمت القطعة الحلزونية بشيء يبدو أنه حديديّ، أخذ الإدرينالين يضخ في أوردتها وحفرت بجوار هذا الشيء وبمحازاته كي تفسح له الطريق، حتى استطاعت رؤية جزء منه مدفونًا، مدت يدها لتنتشله بصعوبة، وجدته علبةً صفيحية صغيرة، فتحتها بصعوبة فوجدت بداخلها الخريطة محفوظة بداخل كيس بلاستيكي، وبحالة جيدة نوعًا ما..!

في القاهرة

بينما نُقِلَت جثة نبيلة خورشيد إلى المشرحة، عيَّن المقدم زياد فردين من أفراد الشرطة على فيلّا البطاوي، وحينما كان في المركز الطبي العالمي ذهب إليه هناك، وعرف من الأطباء أن حالته ليست حرجة لكنه مصرٌّ على أنه في حالة خطرة، فطلب منهم أن يسايروه طالما هو يريد ذلك، وألا يخبره أحدٌ أن حالته عادية. فنفَّذ الأطباء ما طلبه زياد الذي تواصل مع

أحد معاونيه طالبًا منه مراقبة فيلّا البطاوي مراقبة حثيثة، وبعد خمس ساعات أخبره أن رجال البطاوي أخرجوا الصناديق من الفيلّا ووضعوها داخل إحدى سياراتهم، فأمره زياد أن يراقبوا السيارة دون أن يشعر بهم أحدٌ، ليعرف أين سيودعونها، ويترك زميله مواصلًا مراقبة فيلّا البطاوي.

وفي الليل، بينما كان زياد يستعد لخطف ساعتين ينام فيهما، اتصل به طبيب التشريح ليخبره أن نبيلة خورشيد ماتت مُختنقة، وأن الجرح القطعي في الرقبة ليس حيويًّا، أي تم بعد موتها. راجع بعدها ما تم تحريزه في مسرح الجريمة فوجد ملابس داخلية خاصة بكريم، بالإضافة إلى كارنيه النادي الخاص به، بالإضافة إلى نتائج تحقيقاته مع الحارس وبعض رجال البطاوي الذين أكدوا رؤيتهم لكريم سحاب يخرج مُهرولًا من الفيلّا قبل مجيء البطاوي بقليل، ما جعله يدرك أنهم جميعًا كاذبون. لأنه متأكدٌ أن كريم في هذا الوقت في جزيرة نيلسون..!

جميع الأدلة توحي للوهلة الأولى أنها تدينه لكن هيئة وضعيتها في غرفة النوم غريبٌ، ويبد أنها مزروعة لتوريطه فيها. فمن الممكن أن يكون هناك علاقة بين نبيلة خورشيد وكريم سحاب، لكنه من المستحيل أن يقيما علاقة جنسية في محل إقامتها هي وزوجها. وضع زياد كل تلك الفرضيات

في حساباته وقرّر أن يُساير البطاوي في كل ما يرتبه، مُتظاهِرًا أنه اكتشف أن القاتل هو كريم. حتى يشعر بالاطمئنان أكثر وأكثر ويخوض في كل ما يفعله دون أي خوفٍ. حتى تواصل معه فردُ الأمن الذي يراقب المخزن المهجور الذي نقلوا فيه سبائك الذهب. وأخبره أنه رأى طفلين مُكمَّمين تم إحضارهما للتوّ بواسطة رجال البطاوي وأدخلوهما المخزن. في نفس الوقت الذي تلقوا فيه بلاغًا من والد شروق بخطف أولادها، فأدرك أن البطاوي يحيك خطة لتوريط كريم وتشتيته والانتقام منه.

في الجزيرة..

خرجت سمر من الكهف وهي ترقص من شدة فرحها بإيجادها الخريطة، لكنها سرعان ما بدأت تعيد اتزانها مرة أخرى حين رأت كريم بدأ يتقلب وعلى وشك أن يستفيق من سُباته. فخبأت الخريطة في حقيبتها ونامت بجواره وكأنها نائمة معه منذ البداية، وحين استيقظ ظنَّ أنه نام أربع أو خمس ساعات فقط لا غير. ولم يكتشف بعد أن يومًا كاملًا ضاع منه في الجزيرة. ولم تأبه سمر كثيرًا لذلك، لأنه حينما يكتشف ذلك ستتفاجأ مثله بالضبط. لأنها ببساطة كانت نائمة بجواره.

مددت جسدها بجواره وقد شعرت بتعبٍ شديدٍ مما فعلته

لإيجاد الخريطة، ونامت كأنها أخذت عشرة أقراص من التي وضعتها له. لكن ما كانت تحمل همه هو التظاهر بأنها ما زالت تحبه، وأن تقضي معه اليومين التاليين دون أن تُبِّين له حقيقة شعورها الذي تغيَّر ناحيته، كان ذلك يمثل عبئًا وضغطًا كبيرًا عليها.

إلى أن حدث ثلاثة أشياء لم تكن قد عملت حسابهم: عدم عودة المراكبي مرجان أبو طالب في موعده، واكتشاف كريم علاقتها بالبطاوي، والشيء الأخير هو ظهور ضابط فاسد جشع طماع مثل عادل مهدي في مسرح الأحداث!

بالنسبة للعقبة الأولى فلم تكن قلقةً منه بشكل كبير، لأنها تعلم أن المقدم زياد سوف يأتي لنجدتها إن شعر بتأخيرها أكثر من اللازم. أو في كل الأحوال لن تبقى كثيرًا في الجزيرة. العقبة التي كانت كبيرة بالنسبة إليها فعلًا هو اكتشاف كريم المحادثات التي بينها وبين البطاوي. وإيجاد نفسها مُرغمةً على التعامل معه بقوة والتصدي له، بل والهجوم عليه، مُستخدمةً مهارتها في المواجهة والقتال والدفاع عن النفس، رغم أنها فعلت ذلك مُضطرة، ربما لأنها تُشفِق عليه مما سيحدث له بعدما يغادران الجزيرة ويصلان القاهرة ويتم القبض عليه. لكنها رأت أمامها زوجًا يتهم زوجته بالخيانة، ولمحت في عينيه رغبةً في الانتقام، وربما

يستخدم مُسدَّسه ماركة بيريتا FS92، والذي وجدته بالصدفة مخبأ تحت ملابسه ونزعت منه خزينة الذخيرة حينها.

لهذا اضطرت أن تتعامل معه بالقوة، ثم تهرب منه بسرعة لتختبئ في الممر طيلة ثلاثين ساعة، ظلَّ يبحث فيها عن أيِّ أثر لها، لكنه من حُسن حظها لم يكن يخطر في باله أنها داخل الكهف، ربما لأنه لم يرَه جيدًا، أو رآه ولم يتجرأ على الدخول، لكن في كل الأحوال كانت على استعداد أن تواجهه مرة أخرى وتحكم السيطرة عليه إلى أن يأتي مرجان أو المقدم زياد لنجدتها. آملة أن يكون قد قبض على البطاوي في القاهرة وتسلّمه بعدها كريم والخريطة وترتاح من كل ذلك.

في القاهرة

بدأ يشعر زياد بالقلق لأن سمر تأخرت، وقد أخبرته أنهما سيقضيان يومين فقط، لكن قلقه لم يكن كبيرًا بعد لدرجة الانزعاج، مُفترِضًا أن كريم ربما قد قرَّر أن يقضيا يومًا إضافيًا.. وهذا شيء عاديّ ووارد. وطالما أن البطاوي وكل شيء تحت سيطرته ومراقبته الحثيثة، فلا داعي في الوقت الحالي لأي هاجس أن يقلقه.

كان ذلك حين حضر عادل مهدي إلى الجزيرة وحدثَ فيها ما حدثَ، كانت سمر حريصة على أن تغادر تلك الجزيرة

بمفردها بدون كريم، لأنه إن عاد معها سوف يقتلها لخيانتها، أو سيحتك بعمر البطاوي، مما يُفسِد خطة زياد. ومن ناحية أخرى لو كانت تضمن أن عادل مهدي سيأخذهما ويسلِّمهما في القسم فعلًا ما كانت فعلت كل ما فعلته معه وفاوضته، لكنها وجدته ضابطًا فاسِدًا طمَّاعًا، لا يأبه لأي شيء سوى المال، فاستخدمت نقطة ضعفه هذه وألقت على مائدة المفاوضات أمام وجهه صفقة بمبلغ يجعله يوافق على أي شيء. وحينما أخذت حقيبتها التي تحتوي على الخريطة قررت أنها حين تصل الإسكندرية سوف تتواصل مع زياد ليذهب إلى الجزيرة هو أو أحد معاونيه للقبض على كريم هناك، لكن ما حدث هو أنها واجهت عقبة أكبر، ألا وهي أن عادل مهدي منعها من استخدام أي وسيلة تواصل بأي شخص إلا من خلاله، بالإضافة إلى أنه وجد الخريطة واستحوذ عليها، ومن ثم بدأ يتواصل مباشرة مع البطاوي، ثم بعد ذلك التواصل مع كريم الذي عاد من الجزيرة لا تعرف كيف..! وتفاجأت حينما رأته قد حضر مع سكرتيرته ابتسام. وتساءلت متعجبة في قرارة نفسها كيف استطاعت إنقاذه! والسؤال الأهم كيف ستستطيع التواصل مع زياد رغمًا عن كل ذلك الحظر الذي فرضه عليها ابن الكلب الجشع عادل مهدي. حينها تضرعت إلى الله أن يكون البطاوي مُراقبًا من قِبَلْ زياد، وأن يستطيع إدراك أن الجزيرة الآن ليس بها أحد.

وبالفعل هذا ما حدثَ، كان هاتف البطاوي مُراقبًا، ومن خلاله استطاع زياد الوصول إلى عادل مهدي أيضًا، وحينما قرر البطاوي الخروج من المستشفى وقابلَه زياد عند الباب ليخبره أنه اكتشف أن قاتل زوجته بالفعل هو كريم سحاب، كان ذلك ليجعله أكثر اطمئنانًا ويفعل كل ما يريده دون خوفٍ أو تردُّد، وتعمَّد حينها نشر هذا الخبر في وسائل التواصل الاجتماعي والصحافة، ليزداد هذا الاطمئنان أكثر فيتصرف البطاوي بحريّة أكبر. وهذا ما حدث.

حينما انطلق إلى الإسكندرية كان وراءه زياد ضرغام الذي رآه يدخل البرج السكني القاطن فيه عادل مهدي، وعرف في أي طابق موجود، انتظره حينها مع رجاله أسفل العمارة وظلَّ يراقبه إلى أن نزل ومعه سمر شعيب وركبا سيارته. ترك زياد أحد رجاله أسفل العمارة ليراقب الوضع ثم أخذ باقي رجاله ليراقب خط سير البطاوي الذي قضى هذه الليلة مع سمر في شقته بسموحة.

في هذه الأثناء اتصل به مُعاونه الذي كان يراقب البرج الذي يقطن فيه عادل مهدي، وأخبره أنه رأى كريم سحاب مع امرأة وقد صعد في الأعلى ونزلا بعد ست دقائق مذعورين، فأمره زياد أن يترك مراقبة البرج ويراقب كريم كظِلِّه، لا يتركه طرفة عين. في نفس الوقت تلقى بلاغًا أن

البطاوي تواصل هاتفيًا مع أحد الأشخاص الذين تم القبض عليهم من قبل في قضية تجارة آثار، وهو المعلم شوكت عبد الرسول، لكنه حينها خرج منها كالشعرة من عجين. شعر حينها أن سمر بالفعل قد وجدت الخريطة، ابتسم وقتها قائلًا في قرارة نفسه: والله يا سمر إنتي مية مية. برافو عليكي والله.

كان ذلك في نفس الوقت الذي كانت فيه سمر تدعي الله أن يكون زياد على عِلمٍ بكل شيء، وانتظرت أن ينام البطاوي وأخذت هاتفها لتبعث له رسالة، تخبره بمكانها، فابتسم وبعث لها رسالة يطمئنها فيها أن كل شيء يسير على ما يرام ولا تقلق، وأمرها في آخر الرسالة أن تحذف أي مراسلات بينهما. وتساير البطاوي لا أكثر ولا أقل. تنفست حينها الصعداء ونامت هانئة، قريرة العين.

اتصل زياد بمعاونيه في القاهرة، الذين يراقبون مخزن البطاوي الذي يخبئ فيه أولاد كريم سحاب وسبائك الذهب فطمأنوه أن المراقبة مستمرة وليس هناك أي شيء جديد. اتصل بعدها بمعاونه الذي يراقب كريم سحاب فأخبره أنه في الطريق إلى القاهرة ومعه سكرتيرته. فأمره زياد أن يستمر في مراقبته وينتهز الفرصة المناسبة للقبض عليه، لأنه الآن على استعداد أن يفعل أي شيء في سبيل استعادة

أولاده، وربما يفعل شيئًا للبطاوي يُفسِد به كل خططه. فأمر معاونه أن يسيطر عليه، وحينما يصل قسم الشرطة يطمئنه أن أولاده بخير. لكن ما حدث هو أن كريم حينما لمح خطوات غريبة عند فيلّته استطاع الهروب هو وابتسام من الباب الخلفي للحديقة. ومن ثم استطاع الخروج منها والتسلل لتتبع المكان الذي به سمر. عن طريق اللاب توب.

وهروب كريم هذا هو ما جعل زياد يشعر بالقلق بعض الشيء، وطلبَ قوة من قسم الشرطة للقبض على البطاوي وضبطه مُتلبسًا هو وشوكت عبد الرسول أيضًا، فهذا وحده يعتبر صيدًا ثمينًا. بعدما رآه يقابل في الطريق السريع باقي السيارات رباعية الدفع أجرى اتصالاته مع الجهات المسؤولة ليجعل أي كمين يقابله على الطريق الصحراوي يمرره دون أي مضايقة. وهذا ما حدث بالضبط، إلى أن وصل البطاوي إلى مكان المقبرة. جبل الدكرور. أرسل إليه أحد الضباط المساعدين له ليسأله عما يفعل، مُتظاهِرًا أنه اقتنع بأن البطاوي جاء هنا ليصور فيلمًا. وهذا ما جعل البطاوي يشعر بالراحة والطمأنينة ويعمل بدون قلق؛ لأنه ضامن أن الجميع عرفوا أنه يصور فيلمًا. ولو أحرق شخصًا وتألم أمامهم سيظن الناس أنه تمثيل، دون أن يضايقه أحد. في هذه الأثناء اتخذ زياد ومعاونوه من أحد البيوت الطينية المهجورة، والتي تبعد عن البطاوي حوالي خمسين مترًا،

غرفة عمليات له.

وبدأ البطاوي الحفر، كان ذلك حين اتصلت سمر بزياد ضرغام من هاتفها وجعلت الخط مفتوحًا ليسمع كل ما يدور في الموقع وكأنه معهم بالضبط. لكن الشيء الوحيد الذي كان يقلق زياد قليلًا هو أن كريم قد خرج عن نطاق مُراقبته، لكن ما جعله مُطمئنًا قليلًا هو أن حضورَه هنا، في سيوة، من رابع المستحيلات. ولم يكن يعلم حينها أن كريم استخدم حسابها على جوجل لتتبع مكانها..!

من جهتها، كانت سمر كلما تمر أكثر من خمس وخمسين دقيقة تغلق المكالمة قبلما تنقطع وتعاود الاتصال مرة أخرى وتضع الهاتف في جيبها. حتى جاءت لحظة الحقيقة وسمع زياد أنهم وجدوا المقبرة بالفعل. حينها اندهش مُتسائلًا، هل عاش لليوم الذي سيقبض فيه على سارقي مقبرة الإسكندر الأكبر؟!! خطوة كهذه ستجعله مساعد وزير الداخلية قفزةً واحدةً. لكن ما كان يشغل باله أكثر في تلك اللحظة هو أن يُكمِل البطاوي جميله ويطلب من شوكت عبد الرسول أن يحضر بسرعة، وحين حضر شوكت عبد الرسول أغلق زياد المكالمة وأخبر أفراد القوة - الذين يبعدون عنه خمسة عشر كيلو متر - أن يحضروا للاقتحام. وأن ذلك الاقتحام سيكون بسرعة البرق. ثم اتصل بعد ذلك بمعاونيه الذي يراقبون

مخزن البطاوي كي يقبضوا على كل مَن فيه، وتحريز السبائك، وتخليص أولاد كريم سحاب. ثم استدعاء شروق ووالدها ليستلما الأولاد من قسم الشرطة.

بعد حضور شوكت عبد الرسول ومعاينته المقبرة واكتشاف خلوِّها من الإسكندر الأكبر ومن ثم خلافهما، كان على سمر أن تُطيل الكلام معهم قدر الإمكان حتى يأتي زياد ويقبض عليهم جميعًا، خصوصًا بعدما قتل البطاوي عددًا من العمال الذين حفروا في الموقع. حتى تنفست الصعداء حين سمعت صوت سيارة رباعية الدفع آتية من بعيد، وتساءلت حينها في اندهاش كيف للمقدم زياد القبض عليهم بسيارة واحدة، لكنها حينما وجدته كريم كادت أن تبكي، لأن الخطة بكاملها سوف تفسد بعد دخول كريم مسرح الأحداث. وفي عينيه انتقام شديد، وعلى استعداد أن يموت من أجل إنقاذ أولاده. شعرت بالقلق أكثر حين ارتدى ثوب الشجاعة وتمكَّن من السيطرة على البطاوي وتقييد حركته، حينها لم تجد شيئًا تفعله أنسب من أن تتهجم على ابتسام وتُحكِم سيطرتها عليها، كي تمنع كريم من قتل البطاوي. وهي تتضرع إلى الله في سرها أن يأتي زياد بسرعة وتنتهي تلك المسرحية التي أوشكت أن تفسد وتفسد معها كل التخطيطات، ولم تمر أكثر من دقيقة حتى اقتحم زياد المكان بقوته وقبض على الجميع، البطاوي الذي قتلَ ونهبَ وسرقَ. وشوكت عبد الرسول الذي لم يفلح

القبض عليه مُتلبِّسًا من قبل، وكريم سحاب، رجل الأعمال الفاسد والذي اشترك في عمليات غسيل أموال والتهرب الضريبي وإلحاق الضرر بالبلد واقتصاد مصر.

***

خرج رجل الأعمال عامر قنديل من المستشفى بعد امتثاله للعلاج واستجابته له، لم يستطع أن يستفيق بشكل كامل، لكنه على الأقل بدأ يدرك ما يحدث حوله، وأول شيء فعله بعدما علمَ بقتل زوج ابنته عادل مهدي، هو التواصل مع السُّلطات لإخبارهم بهذا الرجل الذي جاء له لينبهه بأنه مُرسَل إليه ليقتله، ارتبك حينها وخاف على حياته ظنًا منه أنه سينفذ ما أُمِرَ به، لكن ما أدهشه هو سبب تحذيره من ذلك، وماذا كان يريد أن يقوله له؟ بعد التحقيقات والتحريات ومراجعة الكاميرات عرفوا أن هذا الشخص هو كريم سحاب، وفي النهاية تواصل معه وطلب مقابلته.

حين عرف كريم أن عامر قنديل لم يمت، وأن كل ما في الأمر هو أنه حينما لكمه في وجهه، تم فصل الأسلاك الموصَّلة بين جسده وشاشة المؤشرات الحيوية. ظلَّ يبكي من فرط فرحته، فهي القضية الوحيدة المتبقية له ليخرج من السجن دون أي اتهام، وهي جريمة القتل الوحيدة التي كان مُتأكدًا أنه فعلها بيديه.. تقابَل عامر قنديل معه وسأله

مُبتسِمًا عن سبب تحذيره هذا، فأقسم له كريم إنه لم يكن يريد قتله، كل ما كان يريده هو أن يحذره من زوج ابنته فقط، ويتظاهر بأنه نفَّذ عملية القتل فعلًا ثم بعدما يأخذ منه سمر يبلغ عنه. فضحك عامر قنديل:

- شكرًا جدًا يا كريم، إنت رجل محترم، وأهو الحمد لله عادل مهدي نال جزاءه. خلينا نتقابل في يوم ونتكلم أكتر، وأتمنى في يوم من الأيام يكون بينًا بيزنس.

***

بعد القبض على كل المُتَّهمين، وجَّهت وزارة الداخلية شكرًا خاصًّا إلى سمر وأعطوها نيشان وشهادة تقدير، شعرت حينها أن كريم رغم كل شيء ليس بنفس إجرام البطاوي، والذي لم يظهر عليه أي شيء، وأحست أنه كان ضحيته، فذهبت إلى مكتب زياد ضرغام الذي كان يستعد لأخذ إجازة يقضيها في الشاليه الخاص به في العين السخنة، تعويضًا عن تلك الإجازة التي قطعها:

- صباح الخير يا زياد بيه.. مبروك الترقية.

- صباح الخير يا سمر.. ومبروك المكافأة.. عارف إنها مبلغ مش كبير لكن أكيد حسيتي إن قيمته المعنوية أكبر. أشار لها أن تجلس، فجلست ثم صمتت ثواني لترتب ما تريد قوله.

إلى أن بدأت في الحديث:

- أنا بس كان عندي طلب لو ينفع أطلبه وأتخطى حدودي.

- خير يا سمر؟

- ممكن تفرجوا عن كريم سحاب؟ والله مالوش ذنب ده كان ضحية الكلب عمر البطاوي.

نهض من كرسيه وجلس على الكرسي المقابل لها قائلًا بنبرة هادئة:

- محدش ضربه على إيده يا سمر. لكن عمومًا أنا قلتلك قبل كده إنه مش متورط أوي.. وعشان أطمنك أكتر.. متقلقيش عليه.. هو بس هيتقرص ودنه يومين في السجن، بعدها هيدفع الفلوس اللي اتهرب منها، وكفاية عليه أوي إنه خسر السبايك. وبعد اللي عملناه مش هيتسجن متقلقيش.. هو مهما كان مساهم في إنعاش حركة العقار وقت الكورونا وقبلها كمان. وفعلًا رجل أعمال مهم وسمعت إن وزارة الاستثمار وجهات تانية كرَّموه.

فرحت سمر لسماعها ذلك، لكنها حزنت حين علمت أنه سقط مُغشيًا عليه، وذهب إلى المستشفى، فذهبت لزيارته وطمأنته.

***

بعد تسعة أيام..

جلس كريم سحاب في حديقة الفيلّا، مُستمتِعًا بحرارة الشمس، وفنجان قهوته الذي استبدله بكأس الويسكي، لا لشيء سوى لأنه يريد أن يكون مُستيقِظًا جدًّا الفترة القادمة، كي يستطيع التفكير جيدًا في مستقبله ومستقبل أسرته. على ألا يتوقف عن التفكير في ماضيه، لاسيما ما حدث له في الفترة الأخيرة. كي يعي الدرس جيدًا ويتعلم منه.

أقبل عليه أولاده مبتهجين، فضمهما إلى صدره وأخذ يقبلهما وهو يعتذر لهما عن الإهمال الذي شعرا به في الفترة الأخيرة، وعن عدم وجوده معهما طوال السنين الماضية، مُنشغِلًا بعمله وبملذاته وشهواته التي تشتعل كلما يقابل امرأة جميلة.

أتت من بعيد شروق التي حرصت هي الأخرى أن تُصلِح علاقتها به، وأن تكون المرأة التي يريدها، مُتخليةً عن عنادها له وعن معاملتها الجافة. حرصت على أن تكون هناك دائمًا فرصة سانحة لوجود حوار بينهما، وأن ترى ماذا يريد وتفعله. حرصت على أن تعمل دائمًا على راحته، بقدر ما تبحث عن راحتها. حرصت على أن يكون بينهما أرض مشتركة دائمًا، ولا تقابل انفعاله بانفعالٍ أكبر، بل تحاول أن تحتويه وتحتوي

غضبه وانفعاله حتى يهدأ، ثم بعد ذلك تجلس معه في هدوءٍ وتلفت انتباهه إلى كل ما فعله من قبل وضايقها. لا شيء أفضل من وجود حوار دائم بين الزوجين، وهذا ما علَّمته لنفسها وما قرَّرت أن تفعله بعد ذلك. أقبلت عليه في نفس الوقت الذي جاءت فيه الخادمة بصينية الفطور، فأخذتها منها لتضعها أمامه بنفسها، وتضع قليلًا من كريمة الفستق الذي يحبها على قطعة خبز توست وتعطيها له، فأخذها منها ووضعها مرة أخرى على الصينية ثم ضمها إلى صدره مُعتذِرًا لها عما فعله معها طوال السنوات السابقة.. سألته في غنج:

- يعني خلاص مش هتتجوز عليا تاني؟

أجابها مازحًا:

- مين قال كده؟ أكيد هتجوز عليكي تاني.

بدأت ملامح الحزن تظهر على وجهها فضحك وأسرع في إصلاح الموقف:

- لا لا لا بهزر معاكي.. عمري ما هعمل كده تاني يا حبيبتي.

- طب يلَّا بقى احكيلي على اللي حصلك الأسبوع اللي فات.. واحكيلي قدرت إزاي توصل للممثل ده اللي اسمه عمر..؟

نظر إلى البعيد مُبتسمًا، مُتذكرًا ذلك اليوم:

- عرفت مكانهم عن طريق جوجل ماب.

***

في نفس الوقت.. العين السخنة

بالقرب من شاليه زياد ضرغام

بينما كان جالسًا فوق صخرة على البحر مُمسِكًا بصنارة مُترقِبًا، مُنتظِرًا - للساعة الثالثة - فرج الله لتهتز معلنة اصطياد ولو سمكة صغيرة كي لا يشعر بالإحراج أمام أولاده وزوجته! لكنه اعتاد أن يصبر دائمًا، حتى ينتهي به الأمر أن ينال مراده. منذ أن جاء العين السخنة وهناك أمر يشغل باله ويفكر فيه كثيرًا، لذلك أمرَ أحد معاونيه أن يقوم بعدة مهام ليتأكد شكُّه من عدمه، وما إن اهتزت الصنارة فرفعها ليجد أنه اصطاد سمكة كبيرة حتى اهتز هاتفه في جيبه، سحب الصنارة ووضع السمكة في طبقٍ بجواره قبل أن يخرج هاتفه من جيبه، فوجد أن المتصل أحد معاونيه، لم يقل له سوى جملة واحدة باقتضاب: نظريتك كانت صح يا زياد بيه.

عاد لأولاده وزوجته بالسمكة معتذرًا لهم لسببين، الأول هو أنه اصطاد لهم سمكة واحدة فقط، لكنه على أي حال أثبت لهم مازحًا أنه صياد ماهر..! والسبب الثاني هو أنه سيتركهم

الآن ليعود إلى القاهرة، على أن يرجع إليهم بعد يومين.

في فيلّا كريم سحاب

- عرفت مكانهم عن طريق جوجل ماب.

لم تفهم شروق ما قاله، هزت رأسها مُستفسرة، فانطلقت منه ضحكة:

- عارف إنك مش هتفهمي.. بصي يا حبيبتي...

أخذ هاتفها، وطلب منها أن تفتحه ببصمتها ففتحته وقد صُرَّ بين حاجبيها مندهشة مما سيفعله، فتح تطبيق الخرائط قائلًا لها وهو يضمها إلى صدره:

- طول ما إنتي مُتصلة بالنت، أي مكان بتروحيه بيتسجل هنا في المخطط الزمني في خرائط جوجل.. يعني بصي مثلًا...

ما إن فتح التطبيق حتى بدأت تفهم وتستوعب ما سيقوله لها.. فسحبت منه الهاتف بسرعة قائلة له إنها فهمت ما يقصده، اندهش كريم من خطفها الهاتف فجأة من بين يديه وسألها مُستغربًا لماذا فعلت ذلك، لم تجبه محاولة تغيير الموضوع وسألته عن الأيام التي قضاها في السجن، لكنه لم يزل مُندهشًا من رد فعلها، أبعدها عن صدره وكرر عليها نفس

السؤال مُتوجسًا:

- إنتي خطفتي موبايلك من إيدي كده ليه؟.. عَوَث ذئاب الشك بداخله، فنهض قائلًا لها:

- هاتي الموبايل كده عاوز أشوف حاجة.

- عاوز تشوف إيه؟ سألته وهي تنهض هي الأخرى وأخبرته أنها سوف تذهب لإحضار الفطور لأولادهما، حاول أن يأخذ منها الهاتف فسحبت يدها محاولة الابتعاد عنه، طلب منها أن تقف فلم تفعل وركضت بهاتفها، ركض وراءها حتى لحق بها، أمسكت هاتفها بقوة فأمسكه وهو بين يديها مُحاولًا تخليصه من قبضتها، حتى استطاع الحصول عليه وطلب منها أن تفتحه فرفضت، صفعها على وجهها فسقطت على الأرض، أحكم السيطرة على يدها ومن ثم إصبعها ففتح به الهاتف ثم دخل على تطبيق خرائط جوجل، حاولت منعه لكنه صفعها مرة أخرى إلى أن غابت عن الوعي، راجعَ تحركاتها في الفترة السابقة، اكتشف حينها أنها ذهبت إلى فيلّا عمر البطاوي..! تحديدًا في اليوم الذي قتلت فيه نبيلة خورشيد.

تحفَّظ عليها واتصل بالمقدِّم زياد ضرغام، الذي كان يشك في أن شروق لها يد فيما حدث لنبيلة خورشيد، ووضعها داخل دائرة اهتمامه، وحين كانت في المستشفى مع كريم استطاع أن يحصل على الكوب الذي كانت تشرب فيه وأخذ

عينة الـDNA الخاصة بها، وقارنها بالعينة التي كانت في ملابس كريم الداخلية التي تم زرعها في مسرح الجريمة كي يتم تأكيد أن بينهما علاقة. بالإضافة إلى الاستعانة بمهندسي تكنولوجيا المعلومات الذين استطاعوا ترميم الكاميرات المثبتة في فيلّا عمر البطاوي بعد أن تم تخريبها عمدًا. وبعد تفريغ الكاميرات لفت انتباهه شخص دخل الفيلّا قبل الجريمة بيومين، لم يستطع زياد تحديد وجهه، لكنه لاحظ أن الحذاء يشبه ذلك الحذاء الذي كانت ترتديه حينما حقّق معها من قبل. بالإضافة إلى الخادمة التي غيّرت اعترافاتها في التحقيق، مؤكدة أنها رأت امرأة قبل الواقعة بأربع ساعات، تدخل خلسة من باب الحديقة الخلفيّ ووقفت مع البطاوي لبعض الوقت ثم أعطته حقيبةً. وحين عرَض عليها أحد معاوني زياد صورتها تعرفت عليها مؤكدة أنها هي.

اليوم الذي تأكد فيه لزياد أن شروق متورطة فيما حدث، كان نفس اليوم الذي اتصل فيه كريم ليخبره بنفس الشيء، فترك صنارته وسمكته وقطع إجازته ليعود إلى القاهرة، ويجري تحقيقاته مع شروق، وبعد الضغط عليها انهارت مُعترِفة أنها ساعدت البطاوي على زرع أدلة تدين بها زوجها كريم، كي تنتقم منه على ما فعله معها. ليس هذا وحسب، بل كانت على عِلمٍ بخطف أولادها كي تشتت كريم عن أي خطة ينفذها. تم إيداعها في السجن بتهمة التستر على قاتل

ومساعدته وتضليل العدالة، وحكم عليها بالسجن عشرة أعوام. وعلى شوكت عبد الرسول بالسجن المؤبد، والفنان عمر البطاوي بتحويل أوراقه إلى فضيلة المفتي..

تم تسليم السبائك التي تُقدَّر بمليار جنيه لإعادتها إلى خزينة الدولة..

وتم إيداع الآثار التي وجدت في مقبرة سيوة، بالإضافة إلى الخريطة في المتحف الملحق بمكتبة الإسكندرية.

***

بعد كل ما سبق..

وبعد تخلصه من كل التهديدات التي كانت تُحلِّق فوق رأسه؛ كان على كريم أن يجلس قليلًا مع نفسه ويراجع دائرة معارفه جيدًا ليفرز منها من كان يحبه لشخصه ومن كان يفعل ذلك لمصلحةٍ ما، بعدما انتهى من الفرز السريع لم يجد شخصًا كان يخاف عليه أكثر من ابتسام القاضي، فتح هاتفه وأخذ يُقلِّب صورها معه في المناسبات التي كان يقيمها في الشركة. تذكَّر حين رآها لأول مرة في الإسكندرية وعرضَ عليها أن تعمل معه فوافقت، ولم تأخذ أيَّ مقابل أول شهرين. ابتسم حين تذكَّر تلك الليلة التي أجّرا فيها تلك الشقة الصغيرة في الطابق الأرضي بالإسكندرية، لم يكن معه حينها

أجرة لعاملة نظافة كي تُجهِّز المكان وتهيئه، حينها شمَّرت وطلبت منه أن يذهب ليحضر أدوات النظافة لتفعل هي كل هذا، بعدها نظفت الغرفة الأولى وفرشت على الأرض بطانية وطلبت منه أن يدخل لينام، إلى أن تنتهي من تنظيف باقي الشقة. لتكون جاهزة لوضع مكتبيهما في الصباح. والآن مكتبها في شركته ضِعف مساحة تلك الشقة..! كلما يتذكر موقفًا معها يدرك كم هي مُخلِصة ومُتفانية، فيبتسم، قرَّر حينها أن يعرض عليها الزواج ويعيش معها وهو متأكدٌ أنها سوف تعتني بأولاده وستكون خير أم لهما. وخير زوجة له. تطلَّع إلى السماء حامدًا الله على نجاته من عش الأفاعي الذي كان بداخله والخطر يحدق به من كل ناحية دون أن يدري. رغم خسارته تلك السبائك التي صادرها زياد والتي كانت شقى عمره، لكنه لم يندم عليها كثيرًا، فبعد ما رآه وما حدثَ له أصبحت الدنيا في عينيه أحقر من أن يحزن عليها المرء. كان يظنُّ أنه البطل الرئيسي في كل الأحداث المحيطة به، لكنه اكتشف في النهاية أنه لم يكن سوى كومبارس، دَورُه ليس سوى عدة سطور في رواية كبيرة سطَّرها وكتبَ حبكتها آخرون غيره.. ألقى كل ذلك وراء ظهره، وأعطى النسيان تصريحًا ليسدل على الماضي ستائره القاتمة، وليطمس كل المتاعب والآلام التي عاينها وعانى منها من قبل..!

بعد سبعة أشهر..

كان كريم حريصًا على أن يكون حفلُ زواجه في نفس اليوم الذي سيتم فيه تنفيذ حُكم الإعدام في عمر البطاوي. أقام في ذلك اليوم حفلة صغيرة، أسعد امرأة في ذلك اليوم كانت ابتسام؛ التي نالت أكثر شيء تمنته في حياتها أخيرًا، وهو اقترانُ اسمها بالشخص الوحيد الذي عشقته. دعا كريم في هذه الحفلة عددًا محدودًا من أصدقائه، ولم ينسَ أن يرسل دعوة إلى زياد ضرغام وزوجته. كان الحفل رائعًا.. بل أكثر من رائع.

لم تمر سوى ساعتين حتى انتهى الحفل وقد نسي كريم ما رآه، حين صعد مع ابتسام غرفتهما بفندق الماريوت، وأغلق الباب.. ليس فقط باب الغرفة.. ولكن أيّ باب آخر قد يأتي من خلفه أيُّ شيء يُعكّر عليه صفو حياته مع زوجته وأولاده.

***

تمت

شاطئ الجزء الغربي من جزيرة جريشة "نيلسون"

أمير عاطف

١٣ إبريل ٢٠٢١ ٠٣:٢٧ م

(1) جزيرة جريشة.. أو جزيرة نيلسون

هي جزيرة تبعد عن شاطئ الإسكندرية وميناء أبو قير حوالي أربعة كيلومترات، مساحتها حوالي ٢١ ألف متر مربع، شهدت يومًا ما حربًا ضروس بين الأسطول الفرنسيّ بقيادة نابليون، والإنجليزيّ بقيادة هوراتيو نيلسون، فاز فيها الأخير فسُمِيَت باسمه! كانت هذه الجزيرة موجودة في فترة الإسكندر الأكبر وحتى من قبل مجيئه، في تلك الفترة كان يتصل بينها وبين اليابسة لسان ضيق، بعض اليابسة فيها رملي والبعض الآخر صخري، وبها ممر في الجزء الغربي منها، كان يومًا ما خزانًا للمياه الصالحة للشرب، يقصد هذه الجزيرة في الوقت الحالي هواة الغطس والصيد والباحثون عن شاطئ نظيف خالٍ من الغزو الصيفيّ الذي تشهده الإسكندرية في الصيف.

من يريد الذهاب إلى جزيرة نيلسون ليس عليه سوى الاتفاق مع أحد المراكبية هناك عند ميناء أبوقير، سواء كنت بمفردك فتأخذ مركبًا خاصة أو تنتظر قدوم مجموعة من الشباب فتركب معهم. المسافة بالمركب البخارية من الميناء إلى الجزيرة حوالي أربعين دقيقة، مليئة بالمتعة والاستمتاع

بالمناظر الجميلة في عرض البحر المتوسط.